الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

الإتجاهات السياسية في لبنان بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩م

أحمد محمد حسن الطراونة

إشراف
الدكتور عبد المجيد الشناق

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الحديث بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

حزيران-١٩٩٦

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٥ / ٦ / ١٩٩٦ وأجيزت.

أعضاء اللجنة		التوقيع
١- الدكتور عبد المجيد الشنّاق	مشرفاً	....
٢- الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة	عضواً	....
٣- الأستاذ الدكتور علي محافظة	عضواً	....

إهداء

إلى روح والدي ... رحمه الله

إلى والدتي ... أمد الله في عمرها

إلى إخوتي وأخواتي ... الأعزاء

شكر وتقدير

يسعدني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير، وعظيم الإمتنان والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد المجيد الشنّاق، أستاذ التارخ الحديث في كلية الآداب بالجامعة الاردنية، الذي تفضّل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث، وعلى ما شملني به من رعاية وإرشاد طيلة فترة إعدادي لهذا البحث، فأنار بإرشاداته وآرائه السديدة، ونصائحه القيمة أمامي سبيل البحث العلمي وجنبني أخطاء ما كنت لأتخلص منها دون عنايته وتوجيهاته، فجزاه الله عني كل الخير.

كما أتقدم بجزيل الشكر لجميع أساتذتي في قسم التاريخ، الذين كان لهم الفضل الكبير في تنمية قدراتي على البحث.

واعترافاً بالفضل أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى جميع الأخوة موظفي مكتبة الجامعة الأردنية، ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري للسيد خالد عطا الله الطراونة، وكذلك لكل من قدّم لي يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث إلى حيّز الوجود.

والله ولي التوفيق ....

الباحث

أحمد محمد الطراونة

فهرس المحتويات

الصفحة | الـمـوضـوع

الـــمـــوضـــوع الصفحة

الفصل الثالث

فهرس الملاحق

ملخّص الدراسة

الاتجاهات السياسية في لبنان
١٩١٨-١٩٣٩

أحمد محمد حسن الطراونة

إشراف : الدكتور عبد المجيد الشناق

تبحث الدراسة في الاتجاهات السياسية في لبنان (١٩١٨-١٩٣٩) مركزة على ظهور الاتجاهات السياسية في لبنان في ظل الكم العثماني، وتطور الاتجاهات السياسية اللبنانية في فترة ما بين الحربين العالميتين. مع بيان أثر السياسة الفرنسية على سير الاتجاهات السياسية في لبنان خلال فترة الدراسة.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة، تناول الفصل الأول منها ظهور الاتجاهات السياسية في لبنان (١٩٠٨-١٩١٨) مبيناً أثر اليقظة الفكرية في لبنان وأثرها على ظهور الجمعيات الأدبية والعلمية المسيسة، بالاضافة الى اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ وأثره في تنشيط الحياة السياسية وظهور الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية، واستعرضت الاتجاهات السياسية المختلفة لهذه الجمعيات مثل: الاتجاه العثماني (الاسلامي) الداعي لمنح العرب موقعاً يليق بهم ضمن الرابطة العثمانية ومساواتهم بالأتراك، والاتجاه القومي العربي النازع للاستقلال عن الدولة العثمانية واقامة حكم عربي في الولايات العربية الخاضعة للحكم العثماني، والاتجاه اللبناني الداعي لكيان لبناني مستقل تحت الحماية الأوروبية.

وتخصص الفصل الثاني في دراسة تطور الاتجاهات السياسية اللبنانية وتحولاتها خلال فترة ما بين الحربين، ويصف هذا الفصل الحالة السياسية، العامة في لبنان بعد انتهاء الحرب

العالمية الأولى وخروج الحكم العثماني منها، وقيام الحكومة العربية في دمشق وموقف اللبنانيين منها، ووقفت على الاتجاهات السياسية المتضاربة في مؤتمر فرساي ١٩١٩م، بالاضافة الى أهم الجمعيات والأحزاب اللبنانية (١٩١٨-١٩٣٩) مركزاً على الاتجاهات السياسية اللبنانية وتحولاتها المختلفة المتأثرة بأهم الأحداث الداخلية والخارجية.

أما الفصل الثالث فقد تناول أثر السياسة الفرنسية على سير الاتجاهات السياسية اللبنانية منذ انتهاء الحكم العثماني عام ١٩١٨ وحتى بداية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩، مستعرضاً جذور العلاقة الفرنسية بلبنان ومحاولة ربطه بفرنسا دينياً وثقافياً واقتصادياً، وبينت أثر الصراع الدولي في لبنان، ودور فرنسا في ضرب الحركة العربية في سوريا ولبنان باتباع سياسة التجزئة والالحاق وتعزيز الانتماءات الطائفية والعمل على انشاء وطن قومي مسيحي لبناني عام ١٩٢٠ وموقف المسلمين والمسيحيين من الكيان الجديد، وعرضت ردود الفعل التي رافقت اعلان الدستور اللبناني ١٩٢٦م، ودوره في تأكيد الطائفية اللبنانية وتعزيزها، وحللت الموقف الفرنسي من تولي مسلم رئاسة الجمهورية عام ١٩٣٢م، وأخيراً تطرقت الى اصداء المعاهدة السورية- الفرنسية والمعاهدة اللبنانية الفرنسية عام ١٩٣٦ وأثرها في التحولات السياسية في لبنان حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

المقدمة وتحليل المصادر

هذه الأطروحة دراسة تاريخية للإتجاهات السياسية في لبنان (١٩١٨-١٩٣٩)، وهو موضوع شغل تفكيري عند التقدم لتسجيل أطروحة الماجستير، وقد راق لي هذا الإختيار لما تتصف به هذه الدراسة من أهمية تاريخية، خاصةً أن الموضوع يعني بصورة مباشرة بفترة تاريخية حرجة، ليس في تاريخ لبنان فحسب، بل على صعيد الدول العربية بوجه عام، فقد شهدت تلك الفترة جلاء القوات العثمانية عن البلاد العربية وإنتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨م، بالإضافة إلى الصراع الدولي على المنطقة العربية مما احدث تغيرات سياسية أثرت على لبنان بشكل خاص ونشوء الدول القطرية، وتضارب الإتجاهات السياسية في البلاد العربية.

أما سبب إختياري لعام ١٩١٨م كنقطة بداية فيعود إلى أن هذا العام شهد نهاية الحكم العثماني عن لبنان، وانتهاء الحرب العالمية الاولى، وانبثاق إتجاهات سياسية مختلفة في لبنان، متأثرة في تلك الأحداث، والوقوف عند عام ١٩٣٩م الذي شهد بداية الحرب الكونية الثانية.

ومن الملاحظ أن تلك الفترة محل دراسة تكاد تكون نادرة، لذلك كنت أقدر عندما اخترت موضوع الدراسة أنني أختار موضوعاً غير مطروق بصورة مباشرة تقف أمام معالجته صعوبات كثيرة، ولكنني وجدت من أهمية الموضوع ومن تلك الصعوبات نفسها حوافز دفعتني للتصدي للمهمة.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع، بحثت في الفصل الاول : ظهور الإتجاهات السياسية في لبنان (١٩٠٨-١٩١٨) وبينت أهمية اليقظة الفكرية العربية ودورها في إحداث التغيير في الحياة السياسية في لبنان وبلدان المشرق العربي، وأثرها في ظهور الإتجاهات السياسية اللبنانية، وبينت أثر إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م على هذه اليقظة وبروز الإتجاهات السياسية اللبنانية المختلفة.

أما الفصل الثاني : فأفرد للبحث عن تطور الإتجاهات السياسية اللبنانية في فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨-١٩٣٩) مبيناً الأسباب التي أدت إلى هذا التطور على المستويين الداخلي والخارجي، متمثلة في إعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، وإعلان الدستور والجمهورية

عام ١٩٢٦م، وإنتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢م والمعاهدة الفرنسية-السورية والمعاهدة الفرنسية-اللبنانية عام ١٩٣٦م.

وقد خُصّص الفصل الثالث للبحث في أثر سياسة الإنتداب الفرنسية على سير الإتجاهات السياسية اللبنانية في فترة ما بين الحربين العالميتين، موضحاً جذور العلاقة الفرنسية بلبنان، ودور فرنسا في إكساب لبنان خصوصية مذهبية وإدارية وثقافية منذ أحداث عام ١٨٦٠م في جبل لبنان، كما بينت أثر إعلان فرنسا لدولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، على موقف كل من المسلمين والمسيحيين اللبنانيين تجاه الكيان اللبناني الجديد، كما بينت موقف كل من المسلمين والمسيحيين من إعلان فرنسا الدستور اللبناني عام ١٩٢٦م، وموقف السياسة الفرنسية من تولي مسلم رئاسة الجمهورية وأثرها في مورنة منصب رئيس الجمهورية اللبنانية، وتكريس الطائفية اللبنانية، كما استعرضت أثر توقيع المعاهدة الفرنسية-السورية والمعاهدة الفرنسية اللبنانية عام ١٩٣٦م على التحولات السياسية في مواقف اللبنانيين تجاه القضايا العربية والكيان اللبناني.

وانهيت الداسة بخاتمة أوضحت فيها أهم الإستنتاجات التي توصلت إليها بعد الدراسة.

وتمثلت الصعوبات التي واجهتها خلال جمعي المادة العلمية لهذه الدراسة في :

١- افتقار مكتبة الجامعة الأردنية للوثائق التي تخص هذه الفترة، ولذا فإنني أدعوا القائمين عليها بالإهتمام بقسم الوثائق لما له من أهمية كبرى في إعداد الرسائل الجامعية والبحوث العلمية.

٢- صعوبة فرز الإتجاهات السياسية اللبنانية في تلك الفترة لتداخلها وتشابكها سواء على المستوى اللبناني أو المستوى العربي والسوري. ومعالجة بعض الكتب خاصة اللبنانية لهذا الموضوع على اعتبارات طائفية الأمر الذي يعني مزيداً من الجهد والتمهل قبل إصدار الأحكام.

٣- غياب البرامج والقوانين الأساسية لبعض الجمعيات والأحزاب الأمر الذي أدى إلى الإستعاضة بما كُتب عنها في بطون الكتب المختلفة.

وقد اعتمدت في إنجاز هذه الأطروحة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع أهمها:

أولاً : الوثائق المنشورة في الكتب الوثائقية المنشورة عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، التي قام بها وجيه كوثراني وعصام كمال خليفة، وهذه الوثائق منشورة تحت رمز : .A.E.V ، وقد أفادت هذه الوثائق الدراسة بمعلومات قيمة وأسهمت في توضيح بعض الجوانب السياسية التي تتعلق بموقف فرنسا الداعم لبعض الإتجاهات السياسية في لبنان.

وتأتي أهمية هذه الوثائق للدراسة بشكل رئيسي في بيان البرامج التي وضعتها، والتحركات التي قامت بها بعض الجمعيات اللبنانية خاصة في المهجر بالنسبة لمستقبل لبنان وعلاقته بمحيطه العربي، وكشف النقاب عن الكثير من الخفايا التي تقف وراء الإتجاهات السياسية المتضاربة في لبنان، كما أسهمت هذه الوثائق في إضافة معلومات قيمة تتعلق بموضوع موقف فرنسا من الإتجاهات السياسية المختلفة في لبنان.

ثانياً : المصادر والمراجع : كما اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر العربية والأجنبية الحديثة المتوفرة، فمن ضمن الكتب العربية التي أغنت الدراسة على سبيل المثال لا الحصر :

– محمد جميل بيهم : النزعات السياسية بلبنان، عهد الإنتداب والإحتلال (١٩١٨-١٩٤٥) ويعتبر هذا المصدر من اهم المصادر اللبنانية وتعود أهميته إلى عدة أسباب منها : أن محمد جميل بيهم من المعاصرين والفاعلين في الأحداث اللبنانية في الفترة (١٩١٨-١٩٤٥)، كما يتضمن الكتاب وثائق أساسية أستقيت من مصادر الدولة وإداراتها، وهي تمثل مواطن التمايز السياسي والطائفي بين المواطنين اللبنانيين، كما يمثل هذا الكتاب الإتجاهات السياسية الإسلامية المطالبة برفع الغبن عن المسلمين، وهناك مصادر أخرى لمحمد جميل بيهم مثل كتاب : لبنان بين مشرق ومغرب (١٩٢٠-١٩٦٩)، وكتاب آخر : العهد المخضرم في سورية ولبنان (١٩١٨-١٩٢٢)، وهي تنحو نفس النحو في معالجة الموضوع، حيث أفادت هذه الكتب الدراسة في كثير من المعلومات القيمة.

– بشارة الخوري : حقائق لبنانية، (ثلاثة أجزاء)، وتأتي كتاباته على شكل مذكرات، وهو من أهم المصادر التي ظهرت في تاريخ لبنان المعاصر، وذلك لان بشارة الخوري معاصراً ومشاركا فاعلاً في الأحداث اللبنانية في موضوع الدراسة وما بعدها، ولتبوؤه الكثير من المناصب الحكومية النيابية والوزارية وأخيراً رئاسة الجمهورية، الامر الذي مكّنه من الإطلاع على مجريات الأمور اللبنانية وفهمها عن قُرب.

– جورج أنطونيوس : يقظة العرب، وهو من المصادر الهامة التي عاصرت جزء هام من فترة الدراسة، وأعطت فكرة لا بأس بها عن بدايات اليقظة العربية وبدايات تكون الإتجاهات السياسية في لبنان والبلدان العربية.

- محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة، وهو من المصادر الهامة التي استندت إليها في الرجوع إلى برامج وأهداف بعض الجمعيات وتاريخ نشوئها، وقد تضمن الكتب معلومات قيمة عن تاريخ لبنان والمنطقة العربية، ويُعد من الكتب المعاصرة للحدث.

وأضافت بعض المصادر الأجنبية مادة لا بأس بها للبحث منها :

- Longrigg . Stephen, Hemsley, : "Syria and Lebanon Under French Man Date".

وفيه معلومات قيمة أفادت الدراسة في بعض المعلومات من المصادر الاجنبية.

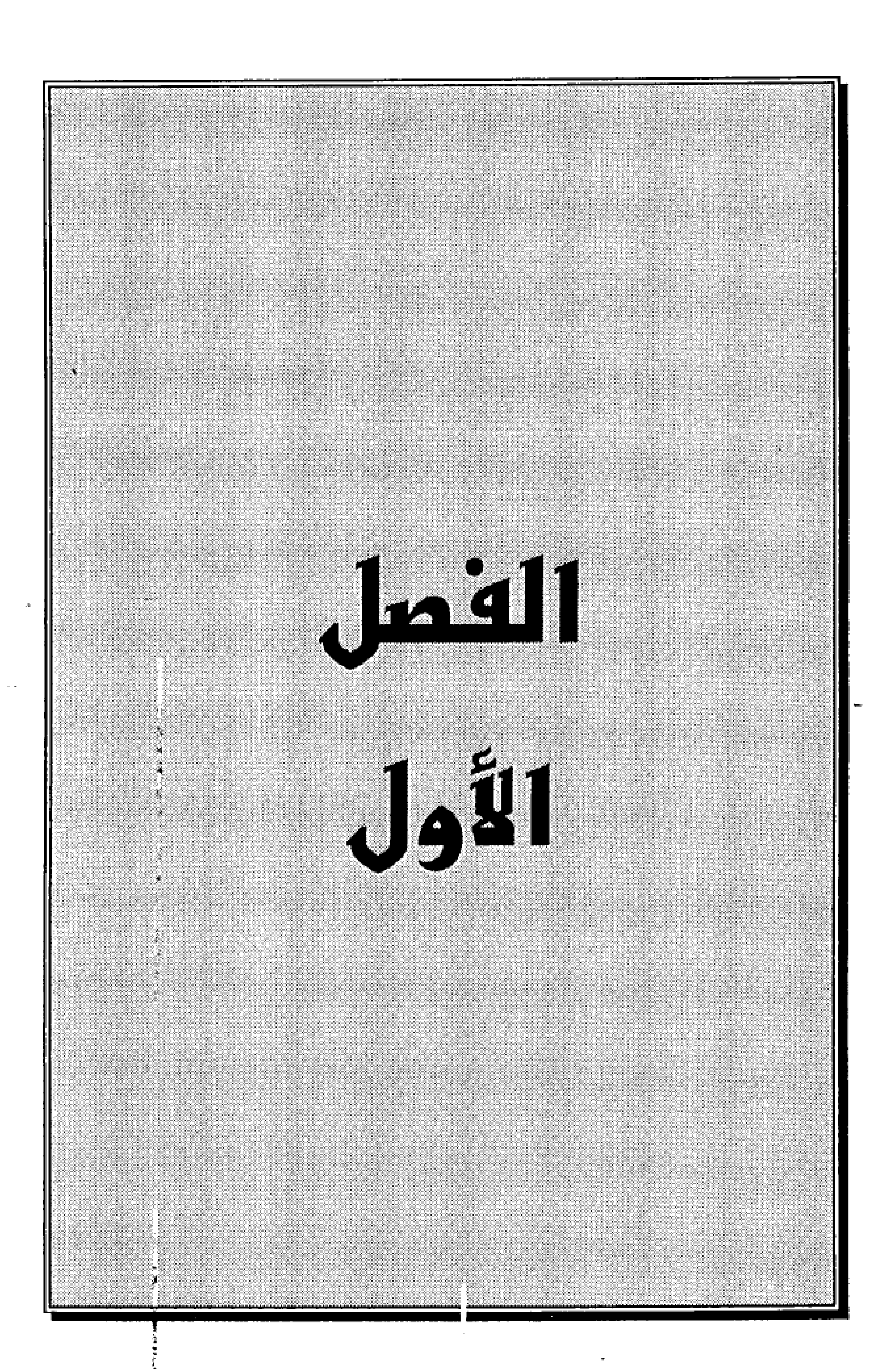
ثالثاً : الدوريات : اعتمدت الدراسة على بعض المجلات المتوفرة مثل مجلة العرفان ومجلة المنار ومجلة المقاصد الإسلامية ومجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، ومجلة دراسات تاريخية في جامعة دمشق ومجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية التي أمدت الدراسة بالكثير من المعلومات القيمة.

- **رابعاً : المذكرات** : اعتمدت في اعداد الدراسة على مجموعة لا بأس بها من المذكرات الشخصية الهامة، لعل من اهمها كتاب : مذكرات سليم علي سلاّم، وهي مذكرات تُلقى الضوء على أحداث هامة جرت في العهد العثماني في لبنان منذ عام ١٩٠٨م وحتى نهاية فترة الدراسة، وتعود اهميتها إلى ان كاتبها كان معاصراً ومشاركاً في صُنع الأحداث اللبنانية، وقد أفادت الدراسة من المعلومات الواردة فيها.

وأخيراً أتقدم بخالص شكري وعظيم إمتناني للدكتور عبد المجيد الشنّاق، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث وعلى ما شملني به من رعاية وإرشاد طيلة فترة إعدادي لهذا البحث.

كما اتقدم بخالص شكري وتقديري للأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة والأستاذ الدكتور علي محافظة، وذلك لتفضلهما بقبول مناقشتي في هذا البحث، والذي سيدعم الرسالة بالملاحظات والإشارات التي أتشرف بالعمل على إغناء الدراسة بها.

والله المستعان ...


الفصل
الأول

ظهور الإتجاهات السياسية في لبنان

١٩٠٨ - ١٩١٨

تمهيد : شهدت البلاد العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر بداية يقظة فكرية ووعي قومي، ساهم في إيقاظه عوامل داخلية وخارجية عديدة، كان أهمها على الصعيد الداخلي ظهور حركات إصلاح دينية وسياسية، هزّت كيان العرب في العصر الحديث، ففي شبه الجزيرة العربية قامت الدعوة الوهابية، وهي حركة دينية إصلاحية سلفية، ظهرت كأول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة (١) ، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المولود في قرية العيينة في نجد (١٧٠٣-١٧٩٢)، وكانت هذه الدعوة من أشد الدعوات الدينية وأعنفها في ذلك الوقت، حيث التشدد في تطبيق الشريعة الإسلامية بالعودة إلى الإسلام الصحيح وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنّة، وتنقية الإسلام من الشوائب والبدع التي علقت به. (٢)

وبالرغم من الطابع الديني الغالب على هذه الدعوة إلاّ أنها إنطوت كما يبدو على بعض الأراء السياسية، حيث دعت إلى خلافة عربية ورفض الإعتراف بالخلافة العثمانية، وكانت اول صوت عربي يرتفع بالمطالبة في الإصلاح وإعادة السلطان للعرب، ومع إخماد هذه الحركة وهزيمتها عسكرياً على يد القوات المصرية، إلاّ أنها بقيت في نفوس أتباعها وإمتد أثرها إلى مختلف البلاد العربية.

وفي المغرب العربي ظهرت حركة دينية مماثلة للحركة الوهابية، على يد الشيخ محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧-١٨٥٩)، الذي وُلد بالقرب من مدينة مستغانم في الجزائر (٣) ، وتلقى علومه الدينية في مدينة فاس، ثم تنقل ما بين مكة ومصر وشمال إفريقيا إلى أن إستقر به الأمر في ليبيا ليؤسس حركته الدينية "السنوسية"، ويبدو تأثره واضحاً بالدعوة الوهابية، حيث ركّز في دعوته على العودة إلى الإسلام ببساطته وسماحته، ورد الدين الإسلامي إلى صفائه الأول وتحرير الإسلام من الذل الذي وقع فيه، وتخليصه مما علق به من الشوائب والرواسب، والدعوة

---

(١) د. علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ١٧٩٨-١٩١٤، الإتجاهات الدينية والسياسية والإجتماعية والعلمية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٣٩ / أنظر محمود كامل المحامي : الدولة العربية الكبرى، ط٢، دار المعارف، مصر، د. ت.، ص ٣٥٦.

(٢) د. عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٤م، ص ١٢٧.

(٣) محمود كامل المحامي : المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

إلى رفض الحضارة الاوروبية وتحرير العالم الإسلامي من التسلط الأوروبي، عن طريق تشكيل وحدة سياسية هي "الجامعة الإسلامية" تكون الزعامة فيها للعرب وليس للعثمانيين، وقد إنتشرت السنوسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في السودان العربي وبأواسط إفريقيا الإسلامية. (١)

وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت حركة مماثلة في السودان هي الحركة "المهدية"، على يد محمد بن أحمد بن السيد عبدالله المُلقب بـ "المهدي" (١٨٤٤-١٨٨٥) دعت إلى العودة إلى الإسلام ببساطته الأولى، وطرد الأوروبيين ورفض حضارتهم، وبالرغم من القضاء على هذه الحركة بعد ان جهزّت بريطانيا جيشاً مصرياً أعاد فتح السودان وإحتلاله بإسم الحكم الثنائي المصري-البريطاني عام ١٨٩٩م، إلاّ إنها حرّكت الشعور العربي والإسلامي ضد الإستعمار الأوروبي وضد النظام السياسي العثماني القائم. (٢)

وإذا كانت الحركات الثلاثة السابقة ركّزت على الجانب الديني ورفضت الحضارة الاوروبية، ووقفت منها موقف العداء فقد ظهرت افكار وآراء جديدة على يد بعض المصلحين الدينيين والسياسيين في الوطن العربي الذين دعوا إلى التحرر من الجمود، وتحديث الإسلام وإطلاق العقول وإقامة نظام حكم يرتكز على الحرية والشورى، وكان من هؤلاء المفكرين الشيخ جمال الدين الأفغاني (١٨٢٨-١٨٩٨) الذي دعا إلى الجامعة الإسلامية ورأى ان تكون زعامتها لأي مسلم ولا يشترط أن تكون الزعامة للعرب (٣) ، على خلاف معظم دعاة فكرة الجامعة الإسلامية، وقد تتلمذ على يد الشيخ الأفغاني عدد من المفكرين والكتّاب العرب امثال عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤-١٩٠٢)، وهو سوري من حلب، دعا إلى مقاومة الإستبداد العثماني، وإلى الجامعة الإسلامية بزعامة عربية مقرها الحجاز، واختار الصحافة ميداناً للدعوة إلى أفكاره،

---

(١) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٨. / أنظر محمد محمود الصياد : المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، د. ط.، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٥٢.

(٢) د. علي محفظة : المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٣) زلمان ازاكوفيتش ليفين : التنوير والقومية، تطور الفكر الإجتماعي العربي الحديث، ترجمه عن الروسية بشير السباعي، د.ط.، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.، ص ١٧-١٨.

ومن مؤلفاته في هذا المجال كتابيه "أم القرى"، و"طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد"، وهو من المتأثرين بالحضارة الأوروبية. (١)

ومن أصحاب هذا التيار أيضاً الشيخ محمد عبدة من مصر (١٨٤٩-١٩٠٥)، وهو من تلاميذ الافغاني، وإشتركا معاً في إصدار "مجلة العروة الوثقى" في باريس، ويبدو أن محمد عبدة من أكثر المفكرين المتأثرين بالشيخ الأفغاني، حيث دعا إلى جامعة إسلامية ضمن الرابطة العثمانية، كما طالب بإحياء اللغة العربية والعلوم الإسلامية ودعا إلى التخلص من الإستعمار الاوروبي وإبعاد شبحه عن ديار الإسلام. (٢)

ومن دعاة الخلافة الإسلامية والشورى بزعامة عربية، الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٠) وهو من السوريين المقيمين في مصر، وقد نشر أفكاره عن الخلافة الإسلامية في كتابه "الخلافة" وفي جريدته المشهورة "المنار" التي أصدرها في مصر عام ١٨٩٨م، كما ساهم في إنشاء "جمعية الشورى العثمانية" عام ١٩٠٥م. (٣)

وقد طرح المطلب الخاص بإنشاء إمبراطورية عربية أحد الشخصيات اللبنانية وهو "نجيب عازوري" المتوفى عام ١٩١٦م، الذي دعا إلى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية وتشكيل خلافة عربية مقرها الحجاز على ان تفصل بين الدين والسياسة، وقد نشر عازوري أفكاره هذه في كتابه "يقظة الأمة العربية" الذي أصدره في باريس عام ١٩٠٤م، كما أنشأ عازوري جمعية " عصبة الوطن العربي" في باريس لهذه الغاية. (٤)

وإلى جانب العوامل الداخلية السابقة، كان هناك عوامل أخرى لها أثرها الهام في اليقظة الفكرية العربية وهز الكيان العربي في العصر الحديث، حيث الإتصال بالفكر الأوروبي، وتسرب

---

(١) عبد الرحمن الكواكبي : أم القرى، د.ط.، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٣١م، ص ١١١-١١٢. / أنظر د. سهيلة الريماوي : الجمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية (١٩٠٩-١٩١٨)، ط١، دار مجدلاوي للنشر والوزيع، عمان، ١٩٨٨م، ص ٤٩.

(٢) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٦٦. / أنظر د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٨٠-٨٢.

(٣) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، تعريب أحمد ابو ملحم، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٦.

رياح التغيير التي هبّت على العالم من أوروبا منذ نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، عن طريق الثورة الفرنسية، وما حملته من أفكار وشعارات كالحرية والإخاء والمساواة التي دخلت إلى المنطقة العربية مع الإحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م، والتي ساهمت في النزوع نحو التحرر وإنبعاث الروح الوطنية عند العرب. (١)

وقد ترافقت هذه الآراء والأفكار الجديدة مع عوامل اخرى خارجية لا تقل عنها أهمية، مثل الإرساليات الأوروبية التبشيرية وما أدخلته من علوم وافكار جديدة على المجتمع العربي وكذلك نشوء حركة الرأسمالية الأوروبية وبحثها عن الأسواق العالمية الجديدة والمواد الخام في مختلف أنحاء العالم خاصة الوطن العربي. (٢)

وإذا كانت العوامل السابقة قد أثرت على البلاد العربية بشكل عام، فقد كان لبلاد الشام خصوصيات إنفردت بها نسبياً عن باقي الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية حيث الإتصال المباشر والإحتكاك المستمر بين أهل الشام والسلطات العثمانية، بالإضافة إلى إنفراد الشام بظاهرة أخرى هي وجود أقلية مسيحية نشطة تشرّبت الثقافة الأوروبية على يد الإرساليات التبشيرية الأوروبية، مما جعل بلاد الشام مهد الفكرة العربية الحديثة وتطورها، فقد شارك أهل الشام في الحركات الإصلاحية التي قامت بها الدولة العثمانية من أجل المحافظة على تماسك الدولة العثمانية امام الأخطار الخارجية التي تتهددها، ولكن مع زيادة مساوئ الحكم التركي والإضطهاد القومي المتمثل بالإستعلاء التركي على القوميات الاخرى، وشعور العرب بأنهم أقل حظاً في المشاركة في الحياة العامة في الإمبراطورية العثمانية، طرح المثقفون العرب مسألة موقع العرب في الخلافة العثمانية كونهم أكثر القوميات الخاضعة للحكم التركي. وقد إتخذ الوعي العربي في تلك الفترة أشكالاً مختلفة تراوحت بين الدفاع عن الرابطة العثمانية والبقاء ضمن إطارها مقابل المساواة الحقيقية بين جميع القوميات الداخلة ضمن الإمبراطورية العثمانية، والدعوة لحكم لامركزي يضمن للعرب حقوقهم السياسية ويعطيهم موقعاً يليق بهم في إطار الخلافة العثمانية، ومعارضة المركزية المشددة في الدولة، كما وُجدت تيارات أخرى تطالب بالإستقلال الكامل عن الدولة العثمانية والإنفصال عنها، وقد وجدت فكرة القومية العربية رواجاً كبيراً في لبنان حيث النسبة المسيحية فيها وعلاقتها بالغرب الاوروبي وتشربهم للثقافة الأوروبية

---

(١) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، ط١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٩-١٠.

عن طريق المدارس والإرساليات التبشيرية والإرتباط الإقتصادي والعلاقة الدينية، مما جعلهم أكثر ميلاً واستعداداً للإطلاع على الثقافة الاوروبية وتبني فكرة القومية العربية والدعوة لها (١)، خاصةً وأنهم لا ينتمون إلى الدولة العثمانية دينياً كبقية العرب المسلمين الذين يرتبطون بالدولة العثمانية برابطة الدين.

لقد كان لبنان بفضل موقعه وخصوصيته الدينية وإتجاهه نحو الغرب وارتباطه به بعلاقات دينية وتجارية وثقافية، أسرع تجاوباً مع تيار الأفكار العصرية وأكثر إستعداداً لتقبل الحضارة الأوروبية في العصر الحديث، حيث طبع التغلغل الأوروبي التعليمي والثقافي لبنان بطابع مميز عن طريق المؤسسات التربوية الكاثوليكية الفرنسية، والبروتستانتية الأمريكية التي كان لها دوراً بارز في إيقاظ الحياة الفكرية في لبنان، فكان المسيحيون هم أول من تأثر فيها ونال حظه من الثقافة الاوروبية. (٢)

وقد تمثلت عوامل اليقظة الفكرية في لبنان بعدد من المدارس الأجنبية والوطنية والمعاهد والكليات والجمعيات العلمية والادبية، بالإضافة إلى المكتبات والمطابع التي رافقت هذه المدارس والكليات منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث لعبت هذه المدارس والكليات دوراً كبيراً في النهضة التعليمية والثقافية في لبنان، وخرّجت الكثير من أبناء المنطقة الذين كان لهم دور بارز في قيادة الحركات الوطنية والفكرية في المشرق العربي. (٣)

كانت الجمعيات العلمية والادبية أهم مظاهر اليقظة الفكرية في لبنان، فقد إحتضنت بيروت عدد من الجمعيات العلمية والادبية، التي نهجت نهجاً أدبياً وثقافياً مسيساً حيث كانت هذه

---

(١) محمد محمود الصياد : المصدر نفسه، ص ٣٤٤-٣٤٥

(٢) كوتلوف : تكون حركة التحرر الوطني في الشرق العربي، ترجمة سعيد أحمد، د.ط، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥٧. / أنظر ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الإستعمار، قراءة في تاريخ سورية المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ٢٣.

(٣) ومن هذه المدارس مدرسة القديس يوسف في بيروت (جامعة القديس يوسف حالياً) أسست عام ١٨٧٥م، والكلية البطريركية الكاثوليكية في بيروت عام ١٨٦٥من ثم الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الامريكية حالياً) عام ١٨٦٦م، ومن المدارس الوطنية مدرسة الحكمة بيروت عام ١٨٧٤م، الكلية الشرقية في زحلة عام ١٨٩٨م، والمدرسة النبطية عام ١٨٨٢، والمدرسة العثمانية عام ١٨٩٧م، والمدرسة الداودية عام ١٨٦٢م.

الجمعيات ذات مغزى سياسي تستر وراء شعارات اللغة والادب والثقافة (١) ، خاصةً لأن أصحاب هذه الإتجاهات لا يستطيعون إظهار هذه الجمعيات بالطابع السياسي في ظل مراقبة الدولة العثمانية التي لا تحتمل قيام حركات سياسية معارضة.

وللحديث عن الإتجاهات السياسية في لبنان، فإنه لا بد من الوقوف على اهم الجمعيات التي ظهرت في لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر، لما لهذه الجمعيات من أثر في التعبير عن مظاهر الوعي السياسي الجماعي، والتعبير عن علاقة هذه الجمعيات بالطائفية الدينية التي تحكمت أحياناً في سيرها وخطها السياسي، ومن هذه الجمعيات العلمية والادبية التي إتخذت من المظهر الثقافي المسيّس سبيلاً لها على طريق اليقظة العربية في العصر الحديث في لبنان، "جمعية العلوم والآداب" (٢) ، وترد تسميتها أحياناً تحت إسم "جمعية العلوم والفنون" (٣) ، التي أسسها مجموعة من المبشرين الأمريكيين والنصارى اللبنانيين عام ١٨٤٧م في بيروت، وغلب على هذه الجمعية الطابع المسيحي، حيث لم تذكر المصادر أعضاء غير مسيحيين إنضموا لهذه الجمعية، وتتمثل أهداف هذه الجمعية في التبشير عن طريق التعليم، وهناك جمعية اخرى أكثر اهمية تأسست في بيروت عام ١٨٥٧م، هي "الجمعية العلمية السورية" (٤) ، التي أسسها بطرس البستاني وناصيف اليازجي، ويبدو أن هذه الجمعية كانت اول مظهر من مظاهر الوعي الجماعي المشترك، حيث ضمت في عضويتها متنفذين إجتماعيين ومثقفين وأدباء من لبنان وسورية والاستانة ومصر (٥) ، ولم تقتصر عضويتها على طائفة معينة بل إشترك في عضويتها أبناء الطوائف المختلفة، وكان الرابط بينهم تقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية والإعتزاز بالتراث العربي، وتأتي أهمية هذه الجمعية في انها أظهرت الإهتمام بالتراث العربي، وعدم طائفيتها، وقد

---

(١) ناصيف نصّار : تصورات الامة المعاصرة، دراسة تحليلية لمفاهيم الامة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط٢، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢١٠.

(٢) ليفين : المصدر نفسه، ص ١٩.

(٣) جورج أنطونيوس : يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة د. ناصر الدين الاسد، د. احسان عبّاس، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦م، ص ١١٩.

(٤) توفيق برو : العرب والترك في العهد العثماني، ١٩٠٨-١٩١٤، معهد الدراسات العربية العالي، دار النهار للنشر، ١٩٦٠م، ص ١٨-١٩

(٥) محمد محمود الصياد : المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

والمجلات كانت عبارة عن صُحف حزبية تمثل وجهة نظر الحزب الذي ينتمي إليه أصحابها تجاه القضايا المختلفة في الدولة العثمانية، سواء موقف العرب من الدولة العثمانية أو من الدول الاوروبية وموقفها من الدولة العثمانية. (١)

وهناك صُحف ومجلات نشأت في بيروت وكان لها دور في خدمة الإتجاه العربي العثماني كجريدة "ثمرات الفنون" (٢) ، التي إنبرت لخدمة الامة الإسلامية وجامعتها العثمانية، ويبدو أن نشوء مثل هذه الصُحف الموالية للدولة العثمانية هو الذي مكنها من الوجود في بيروت لرضى الأتراك عن توجهاتها ومواقفها من الدولة العثمانية، كما كانت جريدة المفيد من اهم المنابر المعبرة عن الافكار القومية العربية، فقد مكنها إنتشارها الواسع في معظم الولايات العربية من أن تكون منبراً حراً يفضح سياسة الإتحاديين العنصرية وتعبر عن النزعة القومية العربية التي كانت تتصدر بعض عناوينها الرئيسية، ولما كانت هذه الصحيفة البيروتية من أهم خصوم الإتحاديين، فقد وصفوها بأنها جريدة أصحاب الأقلام المأجورة بسبب موقفها المُضاد للإستعلاء التركي، وإثارتها للنزعة القومية العربية في مقالاتها، ومعارضتها لصحيفة "طنين" التركية ذات التوجه التركي العنصري. (٣)

وهكذا ظهرت الفكرة العربية إلى جانب الأفكار الأخرى في دعوات الكتّاب والمفكرين العرب الذين طرحوا هذه الفكرة بصورة أولية مشوشة وغير واضحة المعالم، حيث تطورت عبر المراحل التي مرّت بها المنطقة العربية وفي سياق المؤثرات الداخلية والخارجية إلى صورة أخرى أكثر وضوحاً وإنجلاءاً، بمعنى أن اليقظة العربية بشكل عام خضعت إلى تطورات مختلفة عبّرت عنها إتجاهاتهم السياسية المختلفة التي سنتطرق لها في الفصول القادمة.

---

(١) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٢٠. / أنظر محمد عزت دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة، ط٢، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٤٩م، ص ٦٩-٧١.

(٢) نشأت هذه الجريدة في بيروت عام ١٨٧٥م. / أنظر روجز أوين : الحياة الفكرية في المشرق العربي في عصر النهضة، ١٨٩٠-١٩٣٩، ط١،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٨١.

(٣) إلبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة، (١٧٩٨-١٩٣٩)، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروتن ١٩٦٨م، ص ٣٣٠. / أنظر محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

شكل عام ١٩٠٨م نقطة تحول هامة في تاريخ الدولة العثمانية والولايات العربية التابعة لها، حيث تميّزت المرحلة التاريخية التي إبتدأت بالإنقلاب الدستوري عام ١٩٠٨وحتى عام ١٩١٨م، بظهور عوامل هامة ومؤثرة في إتجاه ومسار الحركات السياسية في المشرق العربي، كتشكيل الأندية والجمعيات السياسية بعد الإفراج عن دستور عام ١٨٧٦، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم عام ١٩٠٩ وما رافق ذلك من السياسة العنصرية (التتريك) التي اتبعها الإتحاديون، كما تميزت هذه الفترة بظهور عدة عوامل كان لها الأثر الهام على سير الحياة السياسية العامة في المشرق العربي تمثلت في إحتلال أوروبا لأجزاء من البلاد العربية (ليبيا والمغرب) ١٩١١-١٩١٢، وعجز الدولة العثمانية في الدفاع عن ولاياتها أمام الأطماع الأوروبية في الوقت الذي قامت فيه الحركات الإستقلالية في ولايات الدولة في أوروبا وإستقلالها عن الدولة العثمانية.

ولما كان القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين هو عصر القوميات والأفكار العصرية التحررية، فقد نشطت الحركة الفكرية في المشرق العربي وأخذت تعبر عن نفسها بإتجهات سياسية مختلفة، ساعدت سياسة الدولة العثمانية العنصرية والتدخل الأوروبي على تحفزها ودفعها للعمل السياسي للدفاع عن نفسها أمام الإستعلاء التركي والأطماع الأجنبية في البلاد العربية. (١)

وهكذا اصبح شعار الاصلاح سمة أساسيه في الفتره التي أُعلن فيها الدستور العثماني في عام ١٩٠٨م وما بعده، حيث شهدت بلدان المشرق العربي خاصة بيروت نشاط سياسي واسع

---

(١) أحمد سرحال : النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، ط١، دار الباحث بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٤.

على ضوء الملامح الديمقراطية التي رافقت إعلان الدستور العثماني، حيث نشطت الحركة الفكرية والثقافية التي اختمرت في نفوس العرب منذ القرن التاسع عشر. (١)

ونتيجة لليقظة الفكرية والثقافية التي ابتدأت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في حياة سوريا الكبرى، فقد أخذت هذه العوامل تلعب دوراً سياسياً هاماً في لبنان بشكل خاص وفي بلدان المشرق العربي بشكل عام في الفترة (١٩٠٨-١٩١٨)، موضوع دراستنا في هذا الفصل، حيث عبرت هذه اليقظة الفكرية والثقافية عن نفسها بعد أن سمحت الظروف لازاحة القناع الثقافي عن وجهها، بظهور التنظيمات السياسية (جمعيات وأحزاب) سرية وعلنية تتجاذبها تيارات سياسية متعددة ومتضاربة الى الحد الذي يصعب فيه تصنيفها وفصلها، حيث التداخل وعدم الوضوح، سواءً في مبادئ وأهداف هذه الجمعيات، أو في مجال العضوية المشتركة في هذه الجمعيات من معظم أبناء بلدان المشرق العربي، ولذلك فإننا لا نستطيع فصل لبنان عن سوريا الكبرى في هذه الفترة، مع العلم أن لبنان كانت له ميزة المشاركة الواسعة في هذه التنظيمات وكذلك احتضانه للكثير منها.

وبعد أن انكفأ الإتحاديين على شعاراتهم وخاب أمل العرب فيما كان يرجونه من إصلاحات تحقق لهم موقعاً يليق بهم في الدولة العثمانية، لجأ العرب إلى تشكيل الجمعيات السياسية السرية والعلنية من اجل مقاومة حركة التتريك التي تولتها جمعية "الإتحاد والترقي الحاكمة"ن وقد تباينت هذه الجمعيات في موقفها من الدولة العثمانية، وفي موقفها من القوى الإستعمارية الاوروبية، وظهرت بينهم عدة إتجاهات سياسية تمحورت في لبنان بشكل خاص حول ثلاث إتجاهات سياسية رئيسية هي : (٢)

أولاً- الاتجاه العربي ـ العثماني (اسلامي)

ثانياً- الاتجاه القومي العربي

ثالثاً- الاتجاه اللبناني المستقل

---

(١) مسعود ضاهر : الدولة والمجتمع في المشرق العربي، ١٨٤٠-١٩٩٠، د.ط.، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٤٧ - ٣٤٩.

(٢) عز الدين دياب : التحليل الاجتماعي لظاهرة الإنقسام السياسي في الوطن العربي، د.ط.، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٣.

أولاً- الاتجاه العربي ــ العثماني :

شكلت المرحلة التاريخية من عام (١٩٠٨-١٩١٨)، مرحلة هامة من عمر الدولة العثمانية التي حكمت البلاد العربية منذ عام ١٥١٦م، بظهور عوامل حاسمة ومؤثرة على التطورات السياسية في الدولة العثمانية، وعلى الشعوب المنضوية تحت لوائها، فقد شكل اعلان دستور ١٩٠٨، والاطاحة في السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩، وما رافقهما من أجواء قصيرة لاح فيها أفقٌ ديموقراطي، نتج عنه تأسيس عدد من الأندية والجمعيات الأدبية والعلمية ذات مغزى سياسي، وكان ظهورها بهذا الشكل خوفاً من بطش الأتراك وخوفاً على الرابطة العثمانية التي تربط العرب بالأتراك واستمر هذا الوضع حتى تكشفت السياسة العنصرية للانقلابيين الذين ركزوا على العنصر التركي ومحاولة اعطاء الدولة بكاملها صيغة تركية بحتة على حساب القوميات الأخرى بما فيها العرب. (١)

ونتيجة لهذه السياسة العنصرية للحكم التركي وما رافقها من ضعف تمثّل في عجزها في الدفاع عن الولايات العربية التي وقعت تحت الاستعمار الأوروبي، وما رافق السياسة الاستعمارية من مشروعات الالحاق والتجزئة والاستقلالية لبعض المناطق، تحرك العرب من أجل التغيير في الوضع القائم لأنقاذ الامبراطورية العثمانية وما تبعها من ولايات عربية من الوقوع تحت سيطرت القوى الاستعمارية الغربية (٢) ، وعندما كان العرب وخاصة المسلمين تسيطر عليهم العاطفة الدينية على اعتبار أن الدولة العثمانية استمرار للدولة العربية الاسلامية الأموية والعباسية فقد عبر العرب عن حرصهم على الرابطة العثمانية وعلى حقوقهم كأغلبية ضمن الدولة العثمانية بالاتجاه نحو التآخي العربي ــ العثماني بعد الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨، كأول اتجاه انبثق في هذه الفترة، وقام العرب بالتعبير عن قوميتهم المنبعثة في هذه الفترة بتأسيس عدد من الأندية والجمعيات الأدبية والسياسية، للتعبير عن الشعور القومي العربي ووجوده في ظل الرابطة العثمانية. (٣)

---

(١) مسعود ضاهر : المصدر نفسه، ص ٣٤٤.

(٢) نجيب خدوري : الإتجاهات السياسية في العالم العربي، دور الأفكار والمُثل العليا في السياسة، ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٣٠-٣١. / أنظر جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٣) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٥٠-٣٥١.

ومن أهم الجمعيات والأندية السياسية التي نادت بالاخاء العربي العثماني وأبرزت الجانب العربي القومي الى جانب القومية التركية في اطار الوحدة العثمانية الاسلامية:

جمعية الاخاء العربي ـ العثماني :

وفي اطار المطالبة بحقوق العرب ونيلهم موقع يليق بهم في الرابطة العثمانية، أسس أبناء الجالية العربيـة وجلّهم من أبناء سوريا ولبنـان (جمعيـة الاخـاء العربـي ـــ العثمـاني) (١) في الاستانة في الثاني من أيلول عام ١٩٠٨، وافتتحت هذه الجمعية رسمياً بحضور عدد من أعضـاء جمعية الاتحاد والترقي التركية، وهي أول جمعية نشأت بعد إعلان الدستور عـام ١٩٠٨م لتعبر عن مشاعر العرب القومية وموقفهم من الدولة العثمانية والأحداث التي استجدت في المَنطقة.

وظهرت الغلبة السورية واللبنانية على مؤسسي هذه الجمعيـة، فقد كـان شـفيق العظـم، وصادق العظم، وشكري الأيوبي من سوريا، وشكري الحسيني من القدس ويوسـف شـتوان مـن طرابلس الغرب، ويبدو أن فكرة انشاء الجمعية جاءت في البدايـة مـن عبد الكريـم خليـل ونـدرة مطران ورياض الصلح من لبنان وجميل الحسيني من فلسطين وشفيق المؤيد وحقي العظم ورشيد رضا وعبد الحميد زهراوي من سورية. (٢)

وتتمثل مبادئ الجمعية وأهدافها الرئيسية :

١- في المحافظة على الدستور وتوحيد جميع العناصر التي تتكون منهـا الامبراطوريـة العثمانيـة في الولاء للسلطان العثماني (٣) .

٢- السعي لإعلاء شأن العرب والعربية ضمن الرابطة العامة العثمانية وإنالة أبنـاء العـرب على إختلاف مذاهبهم ما منحتهم المساواة الدستورية من حق إحراز الوظائف والمناصب وغيرهـا مـن الحقوق المشروعة.

٣- السـعي لنشـر المعرفـة بين أبنـاء العـرب وذلـك بتأسـيس المـدارس وطبـع الكتـب والرســائل وإصدار الجرائد.

---

(١) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٢) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

(٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٧٧. / أنظر د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٣٦.

٤- حث أبناء العرب على التعاون مع سائر العثمانيين بتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.

٥- صيانة حقوق أبناء العرب في الدولة والعمل على معاونتهم في أمورهم وشؤونهم، وتمتين الروابط بين العرب وسائر الأقوام العثمانية. (١)

٦- تنمية الشعور بالمحافظة على العادات العربية والحث على إتباعها. (٢)

وقد أصدرت الجمعية صحيفة بإسمها هي "جريدة الإخاء العثماني" وكانت الجمعية مفتوحة لكل أبناء العرب على إختلاف مللهم ونحلهم، ويُلاحظ ظهور النبرة العربية بجلاء في هذه الجمعية، حيث يشير إسم الجمعية وأهدافها إلى التمايز القومي ووجود كيان عربي متميز عن الكيان العثماني العام، فبالرغم من أن إسم الجمعية وأهدافها تدللان على الرغبة في الإستمرار ضمن الرابطة العثمانية، إلاّ إننا نلاحظ تركيز أهداف الجمعية على المطالب التي تخص العرب وحقوقهم القومية، كامة واحدة ولكن ضمن إطار الدولة العثمانية، ولذلك فهي تعرّف العربي بأنه كل من ينتسب إلى العرب مولداً وموطناً. (٣)

ومع ان الجمعية إتجهت لتعزيز قضية العرب ضمن الدولة العثمانية، إلاّ أنها على ما يبدو كانت ترمي إلى إظهار النبرة العربية مقابل التركية وتنم عن شعور عميق بظاهرة التمايز بين القوميات. وبينما كانت عضوية الجمعية مُباحة لكل أبناء العرب على إختلاف مذاهبهم دون تمييز، فقد امتد نشاط الجمعية إلى البلاد العربية حيث تبعتها عدة فروع في دمشق وبيروت وبغداد. (٤)

ويبدو ان الجمعية هي التي موّلت عبد الغني العريسي (أحد الشخصيات اللبنانية المسلمة التي كان لها دور هام في مُعترك السياسة اللبنانية) بإنشاء جريدة "المفيد" في بيروت لتكون من أهم النابر الإعلامية المعبرة عن الشعور القومي العربي في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى، حيث كانت الجريدة ذات إمتداد واسع في البلاد العربية وتطورت في طرحها وانتقدت سياسة

---

(١) جورج انطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٢) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٩٨. / أنظر د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٣) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٤) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

الإتحاديين وطرحت بعض النزعات العربية القومية في صفحاتها مما جلب لها معاداة صحيفة "طنين" التركية. (١)

لم تستمر جمعية الإخاء العربي العثماني طويلاً حيث إنتهت فترة التقارب العربي العثماني بعد وصول الإتحاديين إلى الحكم في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩م، حيث تنبه الإتحاديون لخطورة الجمعية فأعلنت حل الجمعيات السياسية ومنها جمعية الإخاء العثماني، وأغلقت صحيفتها في ١٣ نيسان عام ١٩٠٩م. (٢)

وبالرغم من قصر عمر هذه الجمعية إلاّ انها كانت اول تكتل عربي علني كبير عبّر عن شعور النابهين من سكّان المشرق العربي خاصة المسلمين في ذلك الوقت من تخوفهم من القوى الإستعمارية الاوروبية وسيطرة العاطفة الدينية على تفكير الأغلبية المسلمة التي جعلتهم يتمسكون بالرابطة العثمانية شريطة الإصلاح والمشاركة في الحياة العامة في الدولة العثمانية، واقتناعهم من أن بقائهم تحت ظل السلطة العثمانية واستمرارية هذه الدولة أفضل الحلول التي تقف عائقاً أمام تدخل الدول الأوروبية في المنطقة.

جمعية الجامعة العثمانية :

أسس أبناء سوريا ولبنان في خريف ١٩٠٩م، جمعية سياسية في مدينة بيروت، وقد مارست هذه الجمعية نشاطها السياسي في بيروت وفروعها الأخرى في عدد من المدن السورية واللبنانية، الا أن فرعها في باريس كان أنشط هذه الفروع، ويرجع ذلك الى أن أعضاء فرع باريس كانوا من النخبة المثقفة التي تشربت بعض الأفكار الأوروبية الاصلاحية أمثال شكري غانم وجورج سمنة والفرد سرسق ونجيب طراد وغالبيتهم من النصارى اللبنانيين. (٣)

التقت أهداف هذه الجمعية مع أهداف "جمعية الإخاء العربي-العثماني"، فكانت أهدافها قريبة من أهداف جمعية الإخاء العربي، فقد طالبت هذه الجمعية بالدعوة الى :

---

(١) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٣) أنظر توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٨٢.

١- الحكم اللامركزي في ولايات الدولة العثمانية ليتاح للقوميات المختلفة حكم نفسها بنفسها في ظل الحكم العثماني.

٢- الإصلاح الإداري والمالي على مستوى الولايات المرتبطة بالسلطة العثمانية.

٣- الارتقاء بالعرب والنهوض بهم كأصحاب حضارة عربية إسلامية عظيمة في التاريخ، عن طريق مشاركتهم جنباً الى جنب مع الأتراك في قيادة الدولة وتوجيهها في السياسة العامة.

٤- المساواة بين جميع القوميات والأجناس المختلفة في الدولة في الحقوق والواجبات الوطنية، في إطار الجامعة العثمانية.

٥- حفظ الدستور العثماني وتطبيقه تطبيقاً عملياً.

٦- حفظ الأمن في الامبراطورية العثمانية. (١)

المنتدى الأدبي

ومن الجمعيات والنوادي التي أسسها العرب في الأستانة وكان لإبناء لبنان دوراً بارزاً في إنشائها، جمعية "المنتدى الأدبي" أو "النادي العربي" الذي أسسته النخبة المثقفة من أبناء لبنان والبلدان العربية الأخرى في صيف عام ١٩٠٩ م، كان من ابرزهم عبد الكريم الخليل -رئيس النادي- وهو لبناني من مدينة صور، ويوسف حيدر من مدينة بعلبك، وسامي رضا الصلح من بيروت، بالإضافة إلى عدد من السوريين والفلسطينيين والعراقيين ومن مختلف الطوائف الدينية (٢) ، كان منهم شفيق المؤيد وعبد الحميد الزهراوي ورفيق العظم (سورية) وعزيز علي المصري (مصر).

وقد اتخذ النادي وجهةً ثقافية وأدبية كسبيل لدعم وتقوية الحركة العربية وتوسيع دائرتها بين العرب الذين يعيشون في ظل الامبراطورية العثمانية، (٣) ومثل النادي جبهة واسعة لأبناء العرب في الأستانة حيث بلغ عدد المنتسبين له بالآلاف، وعند تحليل أهداف النادي نجد أنها عبارة عن صدى لأهداف (جمعية الإخاء العربي العثماني) السالفة الذكر. وربما أسس هذا النادي لسد الفراغ بعد أن حل الإتحاديون جمعية الإخاء العربي العثماني، حيث أكد النادي على توثيق

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٢) مصطفى الشهابي : القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م، ص ٨٢-٨٣./ أنظر محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٤.

الروابط بين العرب والأتراك مع التركيز على العنصر العربي وإظهاره بمظهر العنصر الأهم في بناء الدولة العثمانية وإصلاحها إلى جانب العنصر التركي (١) ، ويبدو أن الهدف الأساسي للنادي هو اعطاء العرب حقوقهم الطبيعية كمواطنين عثمانيين دون تفريق، كما يبدو ان النادي إتجه إلى جمع كلمة الطلاب العرب في الأستانة وبث الفكرة العربية فيهم، وتتمثل وجهته القومية فيما ألقي فيه من محاضرات وخُطب وقصائد وما كان يُنشر في مجلته. (٢)

وعلى الرغم من الصفة الثقافية للنادي إلا أنه ساهم في تطوير الفكرة القومية العربية ونقلها من مرحلة الوعي إلى مرحلة التنظير، فقد تكرر في أدبيات النادي عبارة (الأمة العربية) ككيان تاريخي وثقافي متكامل، كما أن المتحدثين في النادي كانوا يدعون إلى توحيد قوى الأمة وتجاوز الحدود الجغرافية لما في ذلك من فوائد للجميع لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق الوحدة والتكاتف، كما جاء في خطابات عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى إن من أركان القومية وروابطها (وحدة اللسان، ووحدة التاريخ، ووحدة الوطن، ووحدة المنفعة). (٣) كما أبدى الخليل تأثراً بالنظريات القومية الفرنسية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر التي كانت تدعو إلى أن إرادة الشعب ومشيئته هي الأساس الذي تقوم فوقه الأمة. (٤)

وقد كان النادي يسعى أحياناً لبث الروح القومية لدى ابناء العرب، وإظهار نوايا الترك امامهم (٥) ، وعلى لسان عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى في عام ١٩١١ وأثناء جلسة للنادي دعا الحضور الى (التعاون والإتحاد وجمع الكلمة في سبيل النهوض بالأمة العربية ليتسنى لها أن تكون عضواً عاملاً في الجسم العثماني) وفي نفس الجلسة أضاف الخليل بعض العبارات التي من شأنها عدم إثارة كراهية الأتراك وإمتعاظهم الأمر الذي ينعكس عليه في النهاية إغلاق النادي، ونتيجة للسياسة المتعقلة والذكية للقائمين على النادي فقد قال الخليل : "أن المنتدى دار علم محضة لا تعلق لها في السياسات والديانات وانها مفتوحة الأبواب لكل من أراد دخولها من أبناء العرب خاصة والعثمانيين كافة". (٦)

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٢) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) مركز دراسات الوحدة العربية : تطور الفكر القومي العربي، ندوة فكرية، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢٦

(٤) مصطفى الشهابي : المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٥) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص

(٦) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ٢٠

وتتضح هذه السياسة الداعية للفكرة العربية أساساً في نهج النادي، ودفع الظنون التركية في أن النادي أصدر مجلة بإسم (لسان العرب) ثم أُبدل هذا الإسم (بالمنتدى الأدبي) دفعاً للظنون، وقد تولت هذه المجلة نشر مبادئ النادي وتحقيق أهدافه لبث الفكرة القومية العربية في إطار الدولة العثمانية، ولإضفاء هذا الطابع العربي العثماني للنادي ولو ظاهرياً فقد بودلت الكلمات الحماسية بين العرب ورواد النادي من الأتراك، ولهذه السياسة إستمر النادي في خدمة الفكرة العربية حتى عام ١٩١٥ حيث تكشفت النوايا الحقيقية لمؤسسيه الذين كان هدفهم الأسمى إثارة الوعي القومي العربي الأمر الذي لا يتماشى وسياسة التتريك وليس أدل على ذلك من إعدام رئيس النادي عبد الكريم الخليل عام ١٩١٥. (١)

حزب اللامركزية الإدارية العثماني :

وفي إطار التوجه العربي العثماني، تأسس في القاهرة سنة ١٩١٢ (حزب اللامركزية الإدارية العثماني) الذي أسسه بعض السوريون واللبنانيون المقيمين في مصر مثل رفيق العظم رئيس الحزب ومحمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومحب الدين الخطيب وهو من سورية واسكندر عمون وداود بركات وشبلي شميّل من لبنان (٢) ، حيث الحرية المتاحة هناك والبعد عن ملاحقة السلطات العثمانية التي تتّبع الأحرار والوطنيين العرب من أبناء المنطقة العربية التابعة للدولة العثمانية حيث التعبير عن آرائهم بصراحة في مختلف الصحف ووسائل الإعلام المتعاطفة معهم، ويعتبر هذا الحزب أكثر التنظيمات السياسية السورية تبلوراً في مجال قيادة العمل القومي العربي، ووجدت آراء الحزب إستجابة واسعة في بلاد الشام لأنها مثلت أفكار الكثيرين منهم. (٣)

وقد ركزت مبادئ الحزب على الدعوة الى قيام حكومة عثمانية لامركزية تعطي الولايات التابعة للدولة العثمانية حقها المتمثل في الإستقلال الذاتي، وكانت غاية الحزب إظهار مزايا اللامركزية في الحكم في دولة واسعة، كالدولة العثمانية التي تضم أجناس مختلفة وديانات متعددة، وذلك للحفاظ على الدولة العثمانية من الأخطار الأجنبية، والمنازعات الداخلية، التي قد تحصل نتيجة لفرض سياسة واحدة هي سياسة المركز على الولايات المختلفة في الدولة العثمانية،

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٢) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٤٤. / أنظر محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

وان تطبيق نظام اللامركزية يتيح للولايات المختلفة إدارة شؤونها بنفسها وحسب رغبات وعادات اهلها ومصالحهم ولكن ضمن الإرتباط بالدولة العثمانية الأمر الذي يخلق شعوراً بالولاء لوحدة الدولة والإخلاص للعرش العثماني. (١)

نشر الحزب مبادئه في برنامج من ست عشرة مادة ركزت في مجملها على حسنات الإدارة اللامركزية والحكم الدستوري، وجاء في مادته الثانية : "القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الإدارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وعادات وأديان مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية في ولايات الدولة العثمانية". (٢)

لقد كانت فلسفة الحزب تنطلق من مضمون قومي خاص بالأمة العربية عن طريق منح الولايات العربية في الدولة العثمانية حكماً ذاتياً كاملاً، ولكن دون إندماج فيما بينها، على ان تكون لكل ولاية إدارتها الخاصة بها والمرتبطة مباشرة بالمركز (الأستانة) ويبدو ان هذا الطرح كان جدياً ويندرج تحت مسمى الحفاظ على الدولة العثمانية ولجم الحركات الداخلية في الدولة خاصة الحركات التي تطالب بالإستقلال بمساعدة ودعم القوى الأجنبية كما في جبل لبنان حيث ينزع الموارنة الى الإنفصال التام عن الدولة العثمانية تحت الحماية والمساعدة الفرنسية.

شجع الحزب دخول أي عثماني من عرب وغيرهم في الإنضمام الى الحزب حيث جاء في مادته الرابعة : "ان الدخول في الحزب مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر..... وغير مشتهر بسوء السمعة" (٣) كما جاء في برنامج الحزب ان يكون في كل ولاية لغتان رسميتان اللغة التركية، واللغة العربية، وكذلك تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها. وفي تركيزه على اللامركزية ومراعاة رغبات سكان الولايات بما يتناسب مع دينهم وعاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم فقد دشن ظهور الحزب بيان ورد فيه : "ان أفضل اشكال الحكومات هو الدستوري، وافضلُ اشكال الحكم الدستوري اللامركزي، خصوصاً في الممالك التي تعددت فيها

---

(١) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

(٢) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(٣) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

الفروق والمذاهب واللغات واختلفت العوائد والتقاليد والأخلاق، فكان من المتعذر ان تساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الأحوال، ولم ينظر معه في الحاجة والزمان والمكان". (١)

ترافق ظهور "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" مع تطبيق الاتحاديين لسياسة مركزية مشددة تعارض فكرة اللامركزية على النحو الذي طرحه حزب اللامركزيه الإدارية العثماني،لانهم رأوا في اللامركزيه عامل مفتت للدوله العثمانيه المؤلفه من عدة اجناس وان اللامركزية هي طريق تفكك الدوله وانهيارها. (٢)

وهكذا التقى حزب "اللامركزية الادارية العثماني" في مجال الاصلاح واللامركزية مع أهداف حزب "الحريه والائتلاف " التركي الذي ضم في عضويته الكثير من المعارضين لسياسة الاتحاديين من عرب وترك وشركس واكراد وارمن وغيرهم، واستقطب الكثير من الأحزاب التي أيدت مبادئ اللامركزية التي دعا إليها، بل ان تأسيسه عام ١٩١١م، كان مشجعاً لتأسيس أبناء سورية في مصر " لحزب اللامركزية الادارية العثماني" الذي ظهر عام ١٩١٢م وغيره من الأحزاب الاصلاحية، الامر الذي عرض أعضاء الحزب لملاحقة الاتحاديين لهم لتعارض سياستها مع سياسة حزب الحرية والإئتلاف التركي، مما اضطر حزب اللامركزية الاداريه العثماني السير في الكتمان والسريه خوفاً من الحكومه الاتحاديه الى مابعد الحرب العالميه الأولى، وتشكيله عدة فروع في المدن السوريه واللبنانيه وفي بغداد والبصره في العراق، مما مكنه من لعب دور بارز في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣م. (٣)

جمعية بيروت الإصلاحية :

شهدت الدولة العثمانية منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين موجة من الحركات السياسية والإصلاحية التي تدعو إلى تطوير وإصلاح احوال الولايات العثمانية، في الوقت الذي تدخلت فيه القوى الإستعمارية الأوروبية بالتعاون مع بعض القوى المحلية في شؤون الإمبراطورية العثمانية، فعلى أثر وصول الإتحاديين الى الحكم وعزل السلطان عبد الحميد عن الحكم عام ١٩٠٩ م، بدأت الولايات العثمانية في أوروبا في التمرد ثم الإنفصال عن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣٧.

(٢) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٧

جسم الدولة العثمانية، وتخلي الدولة العثمانية عن ليبيا التي لم تستطع الدفاع عنها أمام ايطاليا عام ١٩١١، وترافق ذلك مع ثورة البلقان على الدولة العثمانية وما رافقها من خسارة للدولة العثمانية وضعف هيبتها. (١)

وقد ترافق ظهور جمعية بيروت الاصلاحية مع قيام ايطاليا بضرب السواحل اللبنانية بحجة مساعدة الدولة العثمانية، لذلك خاف أبناء بيروت على مستقبل ولايتهم، وأثارت الحركات الإصلاحية قريحتهم لإصلاح أحوال ولايتهم النشطة سياسياً واقتصادياً وثقافياً خاصة وهم من أكثر سكان الولايات العثمانية ثقافة واطلاعاً على الأفكار العصرية والإنفتاح على العالم الخارجي. (٢)

ولما كانت لبنان ذا خصوصية معينة في الإمبراطورية العثمانية من حيث الإستقلال الاداري والديني لمنطقة الجبل، والإرتباط بفرنسا بعلاقات إقتصادية وفكرية منذ زمن، في حين كان المسلمون يكرهون فرنسا في الغالب، فقد ظهرت اتجاهات سياسية متباينة في لبنان، منها ما يدعو للإصلاح ضمن إطار الدولة العثمانية، ومنهم من يرى الإرتباط بالغرب خاصة فرنسا والإستقلال عن الدولة العثمانية ومثل ذلك الموارنة، في حين مثّل المسلمون على اختلاف طوائفهم في الغالب الإتجاه العثماني، ومنهم من رأى الإرتباط والوحدة مع مصر تحت حماية بريطانيا (٣) وهنا يُتهم سليم علي سلام بأنه صاحب هذا الإتجاه، حسب ما أوردته تقارير القنصلية الفرنسية (٤) ، في بيروت لرئاسة الوزارة الفرنسية، ويستبعد أن يكون سليم علي سلام قد طالب بالإنضمام ألى مصر تحت الإنتداب البريطاني، وذلك لأن سليم علي سلام هو نفسه الذي ذهب الى والي بيروت وبين له مطالب الولاية الإصلاحية واستدراك الوضع عن طريق تلبية المطالب اللامركزية والإصلاحية في الولاية خوفاً منه على تماسك الدولة العثمانية. عدا عن أنه لم يذكر ذلك في مذكراته. (٥)

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٢) علي معطي : تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، دراسة في العلاقات العربية التركية (١٩٠٨-١٩١٨)، ط١، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٤.

(٣) حسان حلاّق : مذكرات سليم على سلاّم (١٨٦٨-١٩٣٨)، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

ويبدو أن أبناء ولاية بيروت ادركوا خطورة الوضع في الولاية حيث أشارت بعض المذكرات السرية بين بعض النصارى وبين القنصلية الفرنسية [١] ، إلى نوع من التعامل والاتصال بين شخصيات لبنانية والقنصلية الفرنسية، أمثال خليل زينية وأيوب ثابت وهم من المؤسسين "لجمعية النهضة اللبنانية" والذين كانوا على صلة وثيقة بالقنصلية الفرنسية في بيروت [٢] ، كما وقّع بترو طراد مع مجموعة أخرى على مذكرة سرية ارسلت الى القنصلية الفرنسية في بيروت تطالب بضرورة الإحتلال الفرنسي لسورية ولبنان [٣] . هذا بالإضافة الى الوضع العام السيئ في الولاية وانتشار المجاعة وضرب ايطاليا للسواحل اللبنانية، فكل هذه الأمور عجّلت بمطالبة ابناء الولاية بالإصلاح وتدارك الوضع ولذلك اجتمع ابناء الولاية لتشكيل هيئةٍ اصلاحية غير رسمية ضمت في تشكيلتها البيروتيين من مختلف الطوائف الإسلامية والمسيحية للبحث في شؤون الولاية في أواخر عام ١٩١٢م. [٤]

وبالفعل قامت الجمعية في بيروت عام ١٩١٣ وتألفت من ستةٍ وثمانين عضواً من جميع الطوائف، ٤٢ عن المسلمين و ٤٢ عضواً عن المسيحيين وعضوان عن الأرمن الأرثوذوكس وعضوان عن الطائفة الإسرائيلية وتشكلت الجمعية في ١٤ كانون الثاني عام ١٩١٣ باسم (جمعية الإصلاح لولاية بيروت)، ووضعت هذه الجمعية لائحة إصلاحية تبين كيفية إصلاح ولاية بيروت وبقية الولايات العربية في الدولة العثمانية على أنه إصلاحٌ للدولة العثمانية بكل ولاياتها.

ويتلخص برنامج اللجنة فيما يلي :

١- الإعتراف باللغة العربية لغة رسمية في دوائر الولاية الحكومية، واستعمالها في البرلمان على قدم المساواة مع اللغة التركية.

٢- أن يكون رؤساء الدوائر الحكومية في الولاية ملمين باللغة العربية.

٣- أن يكون موظفي الدوائر الحكومية من أبناء الولاية.

٤- تشكيل مجلس تمثيلي وهيئات محلية في الولاية لها سلطات محلية واسعة.

---

[١] وجيه كوثراني : بلاد الشام : السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق، معهد الانماء العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٣٠.

[٢] عصام كمال خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٥م، ص١١٠.

[٣] حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ١٣٠.

[٤] جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩٠.

٥- عدم تجنيد أبناء الولاية في زمن السلم خارج ولايتهم.

٦- تعيين مستشارين أجانب في دوائر الولاية الحكومية.

٧- التمييز بين المسائل ذات الطابع المتصل بالدولة مثل الشؤون الخارجية والدفاع والمواصلات العامة وبين المسائل ذات الطابع الاقليمي مثل ادارة الولاية وايراداتها. (١)

ولم تكن لجنة بيروت الإصلاحية اللجنة الوحيدة في الوطن العربي في ذلك الوقت، فقد وجدت لجان اخرى تطالب بالإصلاح واللامركزية في الولايات العربية الأخرى المنضوية تحت حكم الدولة العثمانية، في دمشق وبغداد وفي عدد من الولايات العربية، إلا ان اهمية جمعية بيروت الإصلاحية تأتي من كونها أول هذه الجمعيات ظهوراً وأكثرها جدية في المطالبة بالإصلاح بسبب وضع الولاية السيئ انذاك كما مر معنا، وبسبب ان ابناء هذه الولاية هم من الجدارة من حيث إصلاح امور ولايتهم، لإنفتاحهم واطّلاعهم على الأفكار التحررية والإصلاحية العصرية في ذلك الوقت، كما ان برنامجها أُعتبر شاملاً لجميع ولايات الدولة العثمانية خاصة الولايات العربية، كما جاءت اللجنة تعبيراً عن اول تكتل علني كبير في بيروت على أسس غير طائفية.

ولذلك جاءت أهداف اللجنة بشكل يتفق مع شكل التقسيمات الإدارية القائمة في الدولة العثمانية آنذاك، حيث وضعت اللجنة خطة تنال بموجبها الولايات العربية في الدولة العثمانية حُكماً ذاتياً، (٢) وجاء في برنامج اللجنة "الإصلاحية البيروتية، او الجمعية الإصلاحية في بيروت" في معرض مطالبتها من الدولة العثمانية، الإعتراف بالسيادة العثمانية اعترافاً كاملاً وهنا يظهر التركيز على الرابطة العثمانية شأنها في ذلك شأن حزب اللامركزية الإدارية العثماني وحزب الإخاء العربي العثماني، ولكنها على الأرجح اقرب الى طرح حزب اللامركزية الإدارية العثماني. حيث التركيز على الخصوصية الإقليمية لكل منطقة لوحدها ولكن في سياق البقاء تحت الحكم العثماني والولاء له. ويظهر هذا الطرح في اللائحة الإصلاحية في الجمعية حيث ميزت في برنامجها بين المسائل المتصلة بالدولة والمسائل ذات الطابع الإقليمي (٣) ، ويبدو ان مثل هذا الطرح جاء تعبيراً عن وعي أبناء بيروت وقياسهم الدقيق للأمور من كل جوانبها بعد التعمق

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدرنفسه، ص ١٨٩-١٩٠/أنظر علي محافظة، المصدر نفسه ص١٤٦

(٢) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (١٨٦٠-١٩٢٠)، بيروت، معهد الانماء العربي، ١٩٧٦م، ص ٢٠٤-٢٠٥./أنظر محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

(٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩١.

والإطلاع على كل ما يحيط بهم، فهم يريدون أخذ دورهم في الإصلاح حيث هم بهذا الطرح أقدر على تحسس مشاكل ولايتهم كما أنهم اكثر تحمساً لخدمتها ومعرفة احوالها، كما أنهم احق في ايرادات ولايتهم وإدارتها محلياً، تاركة للدولة الإهتمام بالمسائل الخارجية كالدفاع والمواصلات والإقتصاد الوطني. ... (١)

ويبدو أن الدولة العثمانية وبعد المماطلة كعادتها استجابت لطلب الجمعية الإصلاحية في بيروت في بدايات عام ١٩١٣، وذلك لتوجسات الدولة العثمانية من إتصال بعض الفئات اللبنانية بالخارج سواء فرنسا ذات القبول في الوسط الماروني والمسيحي بشكل عام، ولتخوفها من السياسة البريطانية في مصر ومحاولة احتوائها للسوريين واللبنانيين المقيمين هناك وأثر ذلك على بلدان المشرق واتجاهاتهم السياسية، فقد وصف أدهم بيك والي بيروت الى المصدر الأعظم بتقرير بعثه له جاء فيه : "تتجاذب البلاد عوامل مختلفة، ولقد ولى قسم عظيم من الأهالي وجههم نحو انجلترا أو فرنسا لإصلاح الحالة التعسة التي هم فيها. فإذا نحن لم نأخذ بالإصلاح الحقيقي تخرج البلاد من أيدينا لا محالة". (٢)

وهكذا أتت جمعية بيروت الإصلاحية لتحدد حقوق الوالي ووظائفه، كما بينت حقوق المجلس العمومي للولاية ووظائفه، كما طالبت اللجنة بمطلب فريد من نوعه آنذاك كان مداراً للجدل والتكهن حيث طالبت اللجنة الإصلاحية بتعيين مستشارين اجانب تعينهم الحكومة المركزية في الولاية ضمن دوائر معينة كالمالية والجمارك والتلغراف، كما طالبت بجعل اللغة العربية لغة رسمية في الولاية واقتصار اللغة التركية على المعاملات الرسمية مع المركز. (٣)

كانت الجماعات التي تميل الى للغرب هي صاحبة مطلب تعيين المستشارين الأجانب لأن موقف المسلمين شبه الثابت من الغرب هو العداء والمعارضة لتدخلهم في المنطقة، كما ان اهمية هذه الجمعية من خلال أهدافها التي تُعد تمثيلاً لمطالب الولايات العربية ضمن الدولة العثمانية وعلى أسس سليمة معقولة في الغالب، جاءت تعبيراً عن الرغبة العامة في الولايات العربية،

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩١-١٩٢. / أنظر حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر (١٩١٣-١٩٤٣)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط.، ١٩٨٥م، ص ١٥ فما بعد

(٢) حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

لقطع الطريق على مؤيدي الحماية والإنتداب الغربي. (١) كما انها جاءت لنفس الأسباب التي أدت الى نشوء حزب اللامركزية الإدارية العثماني عام ١٩١٢م في القاهرة من السوريين المقيمين هناك، الأمر الذي يقودنا الى تبرير المخاوف العثمانية من هذه اللجنة ومن توجيه التهم لبعض الشخصيات البيروتية مثل سليم علي سلام بالإتصال في اللامركزيين في مصر ومشاركتها في المؤتمر العربي الأول عام ١٩١٣م في باريس، مما عجّل في حل الجمعية عام ١٩١٣م أيضاً.

المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣ :

شهدت ولاية بيروت والولايات العربية الأخرى حركة يقظة سياسية بعد تراجع الدولة العثمانية في تلبية مطالب العرب الإصلاحية، وحل "جمعية بيروت الإصلاحية" بعد فترة وجيزة من ظهورها، واعتقال وملاحقة بعض أعضائها، بحجة أن إنشاء الجمعية كان مخالفاً ومتجاوزاً على القوانين المرعية في الدولة العثمانية، وكان هذا الإجراء من السلطات التركية حافزاً لتزايد حركة المعارضة العربية للسياسة العثمانية التي لم تحاول ان تجرب حقيقية الإصلاح الذي ينادي به العرب في كافة ولاياتهم، بل انها تصورت هذه المطالب المنطقية والمعقولة على انها الوحش الذي يفترس جسم الدولة العثمانية وينذر بسقوطها بدلاً من اخذ هذا المطلب مأخذ الجد او على الأقل التعامل معه بطريقة مجدية.

وبتوافق هذه السياسة العثمانية وترافقها مع سياسة التتريك ومحاولة طمس معالم ومظاهر الشخصية العربية في الدولة العثمانية، والتعصب الأعمى ضد مواطنيهم العثمانيين في الإمبراطورية، وظهور التمايز العرقي واضحاً في سياستهم وتعاملهم مع العرب، حتى اصبحت كلمة "بيس عرب" اي "عربي قذر" تتردد على الأسماع في شوارع استانبول، (٢) واضحت سياسة عبد الحميد الثاني بكل سلبياتها افضل بكثير من سياسة حزب الإتحاد والترقي الحاكم، الأمر الذي جعل العرب وخاصة المتنورين منهم يبحثون عن حلّ لهذه المعضلة التي ما ان يطالبوا بحلها تأتي السلطات التركية وتتهمهم بالخيانة والتآمر على الدولة وتلاحق كل من تشك في عدم ولائه للدولة التركية.

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٩-١٩٠. / أنظر محمد عزت دروزة : المصدر نفسه، ص٤٠٠؛
(٢) حسان حلاّق : المصدر نفسه، ص ٢٦.

وهكذا قام دعاة الإصلاح من ابناء سوريا ولبنـان بـالعمل علـى إعطـاء المطـالب العربيـة الإصلاحية هالة اكبر من كل ما سبق، بحيث عملوا على تشكيل تظاهرة سياسية كبيرة على المستوى الشعبي والرسمي المتمثل في الجمعيات السياسية المختلفة في البلاد العربية وخارجها ونقل ساحة العمل السياسي الى المسرح الأوروبي، لنشرح ابعاد القضية العربية داخل الإمبراطورية العثمانية، لتعطيها على ما يبدو صفة دولية، وقد كان لدعاة الإصلاح من السوريين واللبنانيين" الذين كانوا طلاباً في مدارس باريس العالية آنذاك دور هام في إنعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣م (١) ، وقبل الخوض في اهداف المؤتمر ومطالبه فإنه يجب التركيز بأن المؤتمر إتّخذ طابعاً شامياً من حيث الأعضاء او المندوبين المشاركين في المؤتمر ومن حيث المطالب التي طرحها المؤتمر فقد كانت خاصة بالبلاد السورية (بلاد الشام)، وهذا لا ينفي مشاركة بعض المثقفين العرب بصفة ضيوف ومؤازرين للمؤتمر من مصر والعراق، ولكن بأعداد قليلة لا تتجاوز اثنان او ثلاثة. (٢)

ومن الملاحظ ان اصل الفكرة لعقد المؤتمر جاءت على يد مجموعة من اعضاء "الجمعية العربية الفتاة السرية" وجميعهم من المسلمين، في حين كان ابناء الجالية اللبنانية الآخرين الذين شاركوا في المؤتمر من المسيحيين المؤيدين للحماية الفرنسية على لبنان ومن ذوي النزعة الإنفصالية عن السلطة العثمانية، خاصة وانهم من الذين تشربوا الثقافة الفرنسية وآمنوا بها، ومن هذه التشكيلة السورية في باريس نستطيع القول اننا أمام اتجاهين سياسيين على الأغلب، مثّل فيه المسلمون الإتجاه الإصلاحي ضمن اطار الدولة العثمانية بالتركيز على المطالب العربية أمام الهوية التركية المهيمنة. في حين مثل المسيحيون الذين شاركوا في المؤتمر الإتجاه الداعي لإستقلال البلاد السورية واحياناً لبنان من الدولة العثمانية والمطالبة بالحماية الفرنسية. وإن كان مثل هذا الإتجاه يظهر بخفاء، فإن المتتبع لبعض المشاركين في المؤتمر مثل اسكندر عمون وأيوب ثابت وغيرهم قد عبّروا عن توجههم هذا في تنظيماتهم السياسية ومواقفهم العامة قبل انعقاد المؤتمر وبعده.

اتّفق عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وتوفيق فايد وهم من بيروت، المحامي عوني عبد الهادي من نابلس، جميل مردم بيك من دمشق، على تشكيل لجنة تحضيرية للإتصال

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٢) علي سلطان : تاريخ سورية (١٩٠٨-١٩١٨)، دمشق، ١٩٨٩م، ص ١٧١.

بشخصيات وهيئات عربية في الولايات العربية وفي الخارج لعقد مؤتمر عربي في باريس، يكون هدفه المطالبة بالإصلاحات على قاعدة اللامركزية، (١) على ان ترتبط هذه اللجنة بحزب اللامركزية الإدارية العثماني في مصر، وجاء اختيار حزب اللامركزية العثماني في مصر لأن يكون راعي المؤتمر لأنه يمثل نفس الإتجاه الذي يسعى اليه مؤسسي المؤتمر وينسجم مع مطالبهم في اللامركزية والإصلاح. (٢)

كانت الأوضاع العربية من السوء بحيث سهلت الدعوة لعقد اول مؤتمر عربي في باريس عام ١٩١٣، ولاقت الدعوة استجابة كبيرة على مستوىالتنظيمات السياسية وعلى المستوى الشعبي، حيث أيد بعضهم المؤتمر بالحضور والمشاركة والبعض الآخر بإرسال التأييد من خلال الصحف والعرائض المرسلة الى المؤتمر. (٣) وقد اجمع القائمون على المؤتمر بإختيار باريس مركزاً لعقد المؤتمر، وذلك لأنه يصعب عقد المؤتمر في البلاد العربية الخاضعة للسلطنة العثمانية، بسبب مضايقة الدولة العثمانية وملاحقتها لطلاب الإصلاح، الأمر الذي يحد من حرية المؤتمرين، وما حل جمعية بيروت الإصلاحية وملاحقة أعضائها إلا سبباً في العدول عن عقد المؤتمر في البلاد العربية الخاضعة للسلطنة، وقد علّل رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي اسباب عقد المؤتمر في باريس دون غيرها بقوله : " إن حوادث بيروت الأخيرة، برهنت لنا على قدر الحرية التي يمكن ان يتمتع بها مؤتمر يعقد في سوريا. ونحن لاحظنا من وجهٍ آخر ان نُسمع مطالبنا ونُفهم رأينا إلى أوروبا التي تزداد اهمية مصالحها في البلاد العثمانية يوماً بعد يوم. وقد فضلنا باريس على غيرها من عواصم أوروبا، لأن الجالية العربية فيها اكثر عدداً من غيرها من الجاليات العربية في عواصم الغرب " (٤) ، لقد كانت باريس مركز إقامة عدد من المثقفين المسيحيين الذين تركوا بيروت وجبل لبنان وبعض المناطق المجاورة، وهناك تعاطوا بعض النشاطات الثقافية والسياسية في المراكز الثقافية الفرنسية وخاصة الصحافة الفرنسية التي كانت تروّج للسياسة الإستعمارية الفرنسية وتدافع عنها وتظهرها بمظهر إنساني غايته النُبل وخدمة الإنسانية. وكان من هؤلاء شكري غانم المعروف بميوله الفرنسية، فقد طرح غانم القضية العربية بأسلوب ثقافي على مسارح باريس عام ١٩٠٢، من خلال مسرحية شعرية أسماها "عنتر"، وكان

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٣) علي سلطان : المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٤) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٢١-٤٢٢.

لشكري غانم دور كبير ايضاً في تأسيس "اللجنة اللبنانية في باريس" (١) عام ١٩١٢، بالإشتراك مع خير الله خير الله، ومنهم جورج سمنة وندرة مطران اللذان كانا قد أثّرت فيهما النشاطات الثقافية والسياسية في إطار المؤسسات الفرنسية في باريس (٢) ، وهذا ما يقودنا الى القول بأن المؤتمر كان قد حوى إتجاهين : إتجاه عربي عثماني مثّله المسلمون وإتجاه آخر يضمر الإنفصال عن الدولة العثمانية مثّله النصارى الذين جاء اشتراكهم في المؤتمر على ما يبدو في سياق اغتنام الفرص للنيل من الدولة العثمانية بالإشتراك ولو بالمجاملة مع كل من له موقف معارض من الدولة العثمانية، من اجل هز اركانها وتقويض دعائمها الآيلة للسقوط. ويدلل على هذا انه بعد ان خرج العثمانيون من المنطقة نجد انهم اصبحوا ضد فكرة العروبة، وضد حتى الوحدة مع سوريا التي هم جزء منها في الأصل، واخذوا ينشدون لفرنسا المنقذ الأعظم لهم من العرب والمسلمين بشكل عام، (٣) وان العروبة لهم تعني الإسلام وان الأتراك ما اخذوا هذا الشرع إلا عن العرب وبالتالي فهم يصلون لنتيجة واحدة سواء مع العرب او الترك من حيث الموقف.

وبالرغم من الإتجاهات المبطنة في المؤتمر، إلا ان الصفة الظاهرة الغالبة عليه هي صفة اللامركزية، فقد جاء المؤتمر تعبيراً عن جهود تجمع عريض كان بمثابة "جبهة" واسعة، احتل فيها حزب اللامركزية الإدارية العثماني موقع الصدارة، كما ان هذا المؤتمر جاء متمماً لما قامت به جمعية بيروت الإصلاحية والجمعية العربية الفتاة السرية التي مثلها المؤسسون في باريس، (٤) وكلها تنادي باللامركزية والإصلاح الإداري وحكم العرب لأنفسهم، مع بقاء الرابطة العثمانية وبهذا يكون المؤتمر اشبه بالواجهة الحزبية لهذه التنظيمات السياسية العربية العلنية والسرية.

ومن المُلاحظ أن المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣ لم يكن سوى أئتلاف للأحزاب والجمعيات السياسية العربية المناوئة لسياسة الأتراك، ونلمس ذلك من البحث في سيرة المؤسسين لفكرة المؤتمر، فإذا كان عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وجميل مردم بيك وغيرهم من المسلمين هم من مؤسسي الجمعية العربية الفتاة السرية، فإن شكري غانم وندرة

---

(١) المؤتمر العربي الأول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية في مصر، القاهرة، ١٩١٣م، ص٩-١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(٤) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

مطران وجورج سمنة من مؤسسي وأعضاء الجمعيات السرية اللبنانية في الخارج التي تنادي باستقلال لبنان او سوريا احياناً تحت الإنتداب الفرنسي، وكذلك فإن عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر ما هو إلا أبرز مؤسسي حزب اللامركزية الإدارية العثماني في مصر، ويدلل على ذلك ايضاً الدعوة التي وجهت من قبل اللجنة التحضيرية للمؤتمر الى الجمعيات العربية في دمشق وبيروت وبغداد والقدس ونابلس والقاهرة والاتصال بالجمعيات والجاليات العربية في بلدان الإغتراب خاصةً في الولايات المتحدة الامريكية وكندا وأمريكا الجنوبية. (١)

وتتضح لنا اهداف المؤتمر من خلال الدعوة التي وجهتها اللجنة التنفيذية للمؤتمر الى أبناء الأمة العربية بعد الإتفاق على تحديد انعقاد المؤتمر، فقد جاء في الدعوة : (٢) "نحن الجالية العربية في باريس قد اوقفتنا مناظرات الجرائد الأوروبية ومغامز الساسة في الأندية العمومية على استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية، وأخصها زهرة الوطن سوريا، ولم يبق بين جمهور الناطقين بالضاد من لا يعلم ان ذلك نتيجة سوء الإدارة المركزية، فحدا بنا الأمر الى الإجتماع". (٣)

كما جاء في الدعوة التي وجهها اعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر : "وبعد المناقشات ارتأت اللجنة ان تعقد مؤتمراً للعرب، تظهر فيه للأجانب ان العرب يدرأون عادية الإحتلال من اية دولة كانت ويحتفظون بحياتهم الوطنية، وتصارح الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الإصلاحات اللامركزية في بلاد العرب". كما ارتأت اللجنة التحضيرية للمؤتمر ان تدور الأبحاث في المؤتمر حول المسائل التالية :

اولاً- حقوق العرب في الدولة العثمانية.

ثانياً- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية.

ثالثاً- المهاجرة من وإلى سوريا.

رابعاً- الحياة الوطنية ومناهضة الإحتلال. (٤)

---

(١) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٢) صائب سلام : وهل فشل الإستقلال، مجلة المقاصد، العدد (١)، كانون الثاني ١٩٨١م، ص ١٦٨. / أنظر زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان، بيروت، ١٩٧١، ص٨٤

(٣) المؤتمر العربي الاول: المصدر نفسه، ص ٧-١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠.

ومن خلال المسائل التي دارت حولها الأبحاث في المؤتمر، نجد أنها صبّت في سياق اللامركزية، ولكن ضمن الرابطة العثمانية، والتلميح بموقف مسبق من العرب وخاصة المسلمين تجاه رفض الإحتلال والمطامع الأجنبية في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، كما جاء هذا التوضيح في البيان الذي وجهته اللجنة التحضيرية للمؤتمر الى أبناء الأمة العربية. (١)

ومن خلال الكلمات التي القيت في المؤتمر نجد كلمة الأمة العربية تعبر عن العرب كأمة لها ما يميزها عن غيرها من الأمم، فقد جاء في كلمة ندرة مطران (مسيحي ماروني لبناني مقيم في باريس) ان العرب امة لا تقبل الضيم وانهم انما يطالبون بحقوقهم في ظل الحكم العثماني، وان هذه الأمة اكثر الأمم تحيزاً لجنسها، ولكنه لم يدعُ صراحة للإنفصال عن الدولة العثمانية واكتفى بالقول "اننا نريد الإصلاح واللامركزية مع رغبتنا في البقاء تحت حكم الدولة العثمانية" (١) ، اما رئيس المؤتمر الشيخ عبد الحميد الزهراوي فكان اول المتحدثين وقد طالب بحق العرب في حياة حرة شريفة تضمن لهم التقدم ضمن اطار الدولة العثمانية، وفي إطار الإخاء العربي العثماني، كما طالب عبد الغني العريسي (مسلم لبناني) بحقوق العرب في المشاركة التامة مع الأتراك في الإدارة والسياسة والتشريع، داعياً العرب الى المطالبة بحقوقهم من الأتراك، وركز في كلمته على ان العرب في مقياس الأمم هم أمة وشعب وينبغي أن يأخذوا حقوقهم كاملة ضمن الرابطة العثمانية، فهم أمة وشعب بكل مقاييس ومقومات الأمة كاللغة والدين والعادات والتاريخ والوطن. (٢)

ويُعد المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس ١٩١٣، مؤتمراً عربياً بوجه سوري، فهو ليس مؤتمراً عربياً شاملاً ولا سورياً خالصاً، فقد وُصف المؤتمر من قبل اللجنة التي اشرفت على تنظيمه بأنه "مؤتمر للعرب يقوم به السوريون" كما ان بعض نصوصه جاءت في الغالب مزدوجة بين الصفتين العربية والسورية، وتداخلت فيها النزعة الوطنية السورية والفكرة القومية العربية، بحيث لا يمكن اختزال احداهما لمصلحة الأخرى. (٣) ونلمس ذلك من خلال المؤسسين والأعضاء والجمعيات المشاركة في المؤتمر وفي النصوص التي وردت في بيانه حيث جاء مثلاً: "وبالأخص زهرة الوطن سوريا" (٤) ، وفي تقديري ان ما ورد في كتاب العرب والترك في

---

(١) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(٢) المؤتمر العربي الاول : مصدر سابق، ص ١٠.

(٣) ناصيف نصّار : المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٤) المؤتمر العربي الأول : المصدر السابق، ص ٩.

العهد الدستوري لتوفيق برّو صحيح حيث يقول ان المؤتمر كان اسمه في البداية "المؤتمر السوري" لولا تدخل احد الحضور العراقيين "توفيق السويدي" ناصحاً بتسمية المؤتمر "بالمؤتمر العربي".

وقد جاءت قرارات المؤتمر وملحقاته تؤكد على الإصلاح واللامركزية للولايات العربية ضمن الدولة العثمانية، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، وان تكون معتبرة في مجلس المبعوثان، ويبدوان هذه هي مطالب ذوي الإتجاه العربي- العثماني وخاصة المسلمين، ولكننا نلحظ مطالب خاصة في قرارات المؤتمر وملحقاته تخص لبنان بالذات مثل : الطلب بتنفيذ المطالب التي تقدمت بها ولاية بيروت الإصلاحية، وتتمثل في توسيع سلطة المجالس العمومية وتعين مستشارين أجانب، كما جاء في قرارات المؤتمر وملحقاته أيضاً مطلب يتضمن كفالة الدولة العثمانية بتحسين مالية جبل لبنان. ولذلك فان هذه المطالب الخصوصية لم تأتِ من فراغ بل كان من ورائها أنصار الكيان اللبناني، ويتضح ذلك أنه عندما أثيرت هذه المطالب الخاصة بلبنان احتج عليها بعض المؤتمرين وكثر الجدال حولها وبمعنى آخر كانت فكرة فئة أو مجموعة معينة ذات اتجاه آخر معاكس ضمناً للتوجه العربي العثماني ومتطابق شكلاً مع فكرة المؤتمر الأصلية.

الجمعية القحطانية :

اشترك بعض السوريين واللبنانيين في الأستانة في تأسيس جمعية سرية في أواخر عام ١٩٠٩م، كأول جمعية سرية بعد إنشاء المنتدى الأدبي، وتأتي هذه الجمعية بشيء جديد لم يعرف على هذا المستوى من قبل، حيث اشترك في التأسيس بعض الضباط العسكريين المتحمسيين للقضية العربية (١) ، كان من بينهم الضبّاط : عزيز علي المصري (مسلم مصري) سليم الجزائري (مسلم من دمشق) علي النشاشيبي (مسلم من القدس) صفوت العوّا (مسلم من دمشق) ولطفي الحافظ (مسلم من دمشق) ومن المدنيين : عبدالكريم الخليل (مسلم من لبنان) والأميران عادل وأمين أرسلان (درزيان من لبنان) وخليل حمادة (مسلم من بيروت) وشكري العسلي (مسلم من دمشق) وأمين كزما (مسيحي من حمص). (٢)

---

(١) توفيق برو : المصدر نفسه، ص ٩٥ فما بعد.

(٢) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٦٠-٤٦٣.

ويبدو أن هذه الجمعية شبه العسكرية كانت أقوى في طرحها وأشد من باقي الجمعيات العربية الأخرى، حيث يظهر أن هذه الجمعية كانت تريد تغيير نظام الحكم في الدولة المركزية، بطرح اللامركزية من منظور جديد، حيث هدفت الجمعية الى اقامة دولة ثنائية القومية عربية- تركية على غرار امبراطورية آل هابسبورغ النمساوية-المجرية (١) ، وأن تكون الدولة العثمانية ذات تاج مزدوج، بحيث يضع السلطان العثماني على رأسه تاج المملكة العربية بالاضافة الى تاج المملكة التركية، وبذلك تصبح الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية وتكون اللغة العربية لغتها الرسمية.

وتأتي أهمية هذه الجمعية بدخول الضباط العرب في صفوفها، كما أنها مثلت في برنامجها دعوة جريئة وجديدة، كانت في تقديري مرحلة انتقالية ما بين البقاء في ظل الرابطة العثمانية أو الانفصال عنها، وتأتي على شكل آخر الحلول المفترضة مع الدولة التركية، خاصة في الولايات العربية الواقعة تحت الحكم العثماني في آسيا، حيث يغلب الطابع العراقي السوري على أعضاء الجمعية، وللخلافات بينهم والخوف من السلطة العثمانية فقد أهملت الجمعية وانتهت نشاطاتها بعد سنة من تأسيسها لظهور نزعات اقليمية قوية بين أعضائها. (٢)

جمعية العهد :

وكبديل للجمعية القحطانية السرية التي انتهت نشاطاتها حاول الضباط العرب تأسيس جمعية عسكرية سرية جديدة تعمل على خدمة القضية العربية في اطار الدولة العثمانية، ففي عام ١٩١٣م أنشئت "جمعية العهد السرية" على يد الضابط عزيز علي المصري (أحد الضبّاط العرب في الجيش العثماني) وجماعة من الضباط العرب الآخرين في الجيش العثماني من سورية ولبنان والعراق، كما ضمت عدد قليل من المدنيين (٣) ، حيث ضمت الجمعية من الضبّاط العرب في الجيش العثماني : سليم الجزائري من سورية، نوري السعيد وياسين طه الهاشمي وعبدالله الدليمي من العراق، علي النشاشيبي من القدس، ولم تقبل الجمعية في عضويتها من المدنيين إلاّ

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٧ / أنظر د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩٧.

إثنين من الموثوق بنزاهتهما وصدق وطنيتهما هما : الأمير عادل أرسلان (درزي لبناني) وخليل حمادة (مسلم لبناني). (١)

ومن خلال اهداف الجمعية ومبادئها نرى أنها كانت أقرب من حيث الصفة العسكرية الى الجمعية القحطانية، كما أنها لم تختلف عن الجمعيات السابقة التي ذكرناها حيث هدفت الجمعية الى :

١- السعي لاستقلال البلاد العربية الداخلي على أن تظل مرتبطة مع حكومة الأستانة (اتحاد المجر مع النمسا).

٢- الحفاظ على الخلافة الاسلامية كوديعة مقدسة بأيدي آل عثمان. (٢)

٣- الدفاع عن الأستانة والمحافظة على سلامتها من الأطماع الأوروبية.

ومن الملاحظ أن هذه الجمعية استمرار للجمعية القحطانية، فقد أسس الضابط المصري عزيز علي المصري هاتان الجمعيتان بالاضافة الى تكرار نفس الأسماء في التأسيس والعضوية. ولكن الفارق هو أن هذه الجمعية هي جمعية عسكرية غلب على عضويتها الطابع العسكري العراقي، وقد استمرت هذه الجمعية حتى عام ١٩١٥م، حيث وحّدت نشاطها مع الجمعية العربية الفتاة السرية.

ومن المُلاحظ أن هذه الجمعية فيها نزوع نحو القوة تجاه سياسة الإتحاديين التي تمادت في ظلم العرب، وبعد دخول الإتحاديين الحرب العالمية الاولى أخذ رجال الجمعية يتجهون إلى فكرة إستقلال العرب عن الدولة العثمانية (٣)، بعد ان لم تفلح مطالب العرب الإصلاحية للدولة العثمانية، وان مطالبهم ذهبت أدراج الرياح.

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٢) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٣) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ١٠٣ / أنظر محمد دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٧١.

جمعية العربية الفتاة السرية :

تتضارب الآراء وتتباين حول تاريخ إنشاء الجمعية العربية الفتاة السرية حتى بين الأعضاء المؤسسين لها، ما بين الاعوام ١٩٠٨م، ١٩٠٩م، ١٩١١م (١) ، ويبدو ان فكرة إنشاء الجمعية العربية الفتاة بدأت تختمر في عقول الشباب العرب منذ عام ١٩٠٩م، في الوقت الذي اتضح فيه بروز الإتجاه القومي التركي (الطورانية) عند جماعة الإتحاد والترقي غداة إستلامهم للحكم في سنة ١٩٠٩م. ويشير الدكتور عبد العزيز الدوري ان البداية كانت على يد الشباب العرب الموجودين في الأستانة عام ١٩٠٩م، وأن النشاط الفعلي للجمعية بدأ بعد سفر المؤسسين لإتمام دراستهم في باريس عام ١٩١١م (٢) وعلى الارجح فإن فكرة إنشاء الجمعية بدأت كفكرة منذ عام ١٩٠٩م وتبلورت عملياً في باريس عام ١٩١١م، حيث تشكلت اول هيئة إدارية للجمعية في ذلك التاريخ. (٣)

وقد أسس هذه الجمعية السرية سبعة من الشباب العرب وجميعهم من المسلمين الذين كانوا يواصلون دراساتهم العليا في باريس عام ١٩١١م وهم : عوني عبد الهادي (جنين)، جميل مردم بيك (دمشق)، محمد المحمصاني (بيروت)، رستم حيدر (بعلبك)، توفيق الناطور (بيروت)، رفيق التميمي (نابلس)، عبد الغني العريسي (بيروت). (٤)

وقد ضمت الجمعية الفتاة السرية في عضويتها بعد أن وسّعت نشاطها الكثير من الشباب العربي من المنتدى الادبي ومن بلاد الشام والعراق أمثال : سيف الدين الخطيب، ورفيق رزق سلّوم ويوسف مخيبر من المنتدى الادبي، والامير عارف الشهابي وعبد الغني العريسي وجميل مردم ومحمد المحمصاني من بلاد الشام، وتوفيق السويدي من العراق (٥) ، وقد تمثّلت اهداف الجمعية في :

---

(١) مصطفى الشهابي : المصدر نفسه، ص ٧٣. / أنظر محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٧٤. / أنظر جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٢) التكوين التاريخي للامة العربية : المصدر نفسه، ص ٢٠٣. / أنظر أحمد عزة الأعظمي : القضية العربية، ج٤، ط١، بغداد، ١٩٣٢م، ص ٩٧.

(٣) د. سهيلة الريماوي : المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٤) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٥) د. عبد العزيز الدوري : المصدر نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.

١- النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الامم الحية.
٢- ترقية الامة العربية من النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية.
٣- إستقلال البلاد العربية إستقلالاً تاماً بجميع معانيه الحقوقية والسياسية. (١)

وقد كانت الجمعية العربية الفتاة السرية من أهم الجمعيات السياسية العربية، حيث اسهمت اسهاماً فعّالاً في تاريخ الحركة القومية العربية، وكانت أكثر جرأة وثورية في طرح القضية العربية، فبعد أن نادت في البداية بالعمل على تحقيق مطالب العرب الاصلاحية المتمثلة في اللامركزية الادارية وحكم العرب لأنفسهم في ظل الرابطة العثمانية، الاّ أنها تدرجت في برامجها وأهدافها حيث دعت في النهاية الى استقلال العرب عن الترك، وتحرير البلاد العربية من السيطرة التركية وأية سيطرة أجنبية أخرى. (٢)

وتظهر النزعة الثورية عند الجمعية العربية الفتاة السرية في المنشور الذي وزعته في البلاد العربية في ذلك الوقت، حيث يدل المنشور على إدراك المؤسسين لهذه الجمعية لخطورة الوضع الداخلي والخارجي للدولة العثمانية والبلاد العربية التابعة لها فقد جاء في المنشور : "انظروا الى موقف بلادكم قبل أن يسلمكم تيوس الاستانة الى ذناب اوروبا" (٣) ، ويدلل على هذه النزعة القومية الاستقلالية تأكيد هذه الجمعية على اشتراط أن يكون العضو عربياً.

لقد كانت "الجمعية العربية الفتاة" من أهم التنظيمات السياسية العربية في الفترة الممتدة من تاريخ اعلان المشروطية "الانقلاب الدستوري" عام ١٩٠٨م وحتى تاريخ انتهاء هذه الجمعية بانتهاء الحكم الفيصلي في سوريا عام ١٩٢٠م (٤) ، وقد وصفها محمد عزة دروزة بأنها أهم تنظيم قومي عربي من حيث امتدادها الواسع ونشاطها على المستوى العربي، وكان محمد عزة دروزة أحد أعضائها في الفترة الممتدة من ١٩١٨-١٩٢٠، حيث انتخب مرتين عضواً في هيئتها المركزية (٥) ، ويرجع الفضل لهذه الجمعية في أنها سيطرت على الحكم في سوريا منذ دخول الجيش العربي لدمشق، حيث حافظت على سريتها وهي تمارس في نفس الوقت مهام الحكم

---

(١) د. سهيلة الريماوي : المصدر نفسه، ص ٧١-٧٢.
(٢) محمد جميل بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب (١٩٢٠-١٩٦٩)، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٥٧.
(٣) محمد جميل بيهم : المصدر نفسه، ص ١٥٧. / أنظر جورج أنطونيوس : ص ١٨٧.
(٤) محمد عزة دروزة : المصدر نفسه، ص ٤٨٠.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٧٩-٤٨٠.

والنضال فلجأت الى أسلوب تشكيل الواجهات الحزبية العلنية (١) ، مثل انشاء النادي العربي وحزب الاستقلال واللجنة الوطنية العليا، والجمعية العربية الفلسطينية، بالاضافة الى دورها في تعبئة جماهير الأمة العربية، واتصالها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة وجمعية بيروت الاصلاحية في بيروت من أجل عقد المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣م.

الإتجاه القومي السوري :

شهدت المجتمعات العربية في المشرق العربي خاصةً في سوريا ولبنان في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ظهور يقظة قوميّة متأثرة برياح التغيير التي هبّت على الدولة العثمانية من الغرب الأوروبي الطامع في أملاك الدولة، فقد مثّلت القومية اليونانية أول يقظة قومية أثارت القوميات الأخرى في الدولة العثمانية، أثارت القوميات الأخرى في الإمبراطورية العثمانية كالصرب والرومان والألبان والبلغار والجبل الأسود، مما ألهب المشاعر القومية عند القوميّات الأخرى كالعرب والأكراد من رعايا الدولة العثمانية. (٢)

وهكذا ترافق ظهور هذه القوميات مع ضعف الدولة العثمانية وانتقاص حدودها وأملاكها بالإضافة إلى سوء السياسة العثمانية في الولايات العربية، واتباعها سياسة التتريك والإستعلاء التركي على حساب القوميات الأخرى، ومحاولة طمس الهوية العربية عن طريق تدريس اللغة التركية في الولايات العربية، وابعاد العرب عن المناصب الهامة في الدولة وغيرها من مثالب الدولة التركية آنذاك، الأمر الذي ساعد على تحفز القومية العربية وتململها من نعاسها من أجل الوقوف أمام السياسة التركية العنصرية.

ولمّا كانت سوريا (بلاد الشام) من أكثر المناطق العربية إحتكاكاً بالاتراك، فقد استقطبت هذه المنطقة الفكرة العربية، وأخذت بالدعوة إلى القومية العربية والمناداة بها، وتبلورت هذه الدعوة بسوريا وطناً لهم وبالعروبة إنتماءاً لغوياً وثقافياً وتاريخياً، ولكن دون أن يتضمن ذلك تحديداً جغرافياً، لتشكل جبهة عربية موحدة من المسلمين والمسيحيين تقوم على فكرة العروبة وتقف في وجه الأتراك. (٣)

---

(١) د. سهيلة الريماوي : المصدر نفسه، ص ٩٥-٩٦.

(٢) نجيب عازوري : المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٣) وجيه كوثراني : الإتجاهات السياسية في جبل لبنان، المصدر نفسه، ص ١٢٦.

وفي الفترة الممتدة من تاريخ (١٩٠٨-١٩١٨م) من عمر الدولة العثمانية، نجد أن الدعوة القومية العربية تراوحت ما بين الرغبة في الإستقلال الكامل عن الدولة العثمانية والإنفصال عنها بغض النظر عن دوافع هذه الدعوة وممن يقفون ورائها، وبين مطالبة العرب بحقوقهم في الإمبراطورية العثمانية عن طريق الإصلاح واللامركزية والإستقلال الذاتي ولكن ضمن الرابطة العثمانية والتبعية لها، وإتضح لنا هذا في الصفحات السابقة من خلال استعراضنا لأهم الجمعيات والتنظيمات السياسية العربية في تلك الفترة، سواءً كانت علنية أم سريّة، وتبلورها في المؤتمر العربي الأول الذي عُقد في باريس عام ١٩١٣م.

ويصعُب تحديد المنطقة العربية جغرافياً على أساس الدعوة للقومية العربية آنذاك. فقد جاءت الدعوة القومية بصفة عامة دون تحديد للمنطقة العربية التي تشملها هذه الدعوة، فلم تحدد هذه الدعوة بوضوح المنطقة العربيّة وهل هي المنطقة العربية في آسيا وإفريقيا ؟ أم هي تلك التي في آسيا فقط ؟ وإن كانت آسيا هي المقصودة في الغالب عند دعاة الفكرة العربية في هذه الفترة، كما لم تحدد المنطقة ما إذا كان المقصود بدعوة العرب في آسيا كلها أم في سوريا الطبيعية ؟ أم كل بلدان المشرق العربي ؟، وإن كانت سوريا هي مهد هذه الفكرة ومسرحها، فقد كانت الدعوة عمومية، ويتضح ذلك من خلال مؤسسي هذه الجمعيات وأعضائها، وحق الإنتساب المفتوح لكل العرب دون تمييز ديني أو إقليمي.

ولمّا كانت "سوريا الطبيعية" أكثر البلاد العربية إتصالاً بالأتراك العثمانيين، حيث الإحتكاك الدائم والإتصال المستمر بين العرب والاتراك، فقد مثّلت سورية مهد الفكرة العربية الحديثة، فإلى جانب الأغلبية المسلمة في سورية، هناك نسبة مسيحية لها ثقلها في المنطقة كانت ترى عدم وجود روابط تربطها بالدولة العثمانية، سواءً دينية أو عرقية أو وطنية وتاريخية، فأخذت في التنقيب عن التراث العربي والحضارة العربية الإسلامية كروابط مشتركة بينهم وبين إخوانهم العرب والمسلمين كاللغة والتاريخ والعرق والوطن والعادات وغيرها من الروابط العربية بين المسلمين والمسيحيين العرب في ظل الدولة العثمانية محاولين بذلك تقويض الدعامة الاساسية بين العرب والأتراك ألا وهي الدعامة الدينية التي تربط العربي المسلم بالتركي المسلم ومحاولين

نفي الطابع الديني عن الحضارة العربية الإسلامية على أنها نتاج كل العرب على إختلاف مذاهبهم الدينية. (١)

وبغض النظر عن الموقف المسيحي هذا وبغض النظر عن كل ما كان يتمتع به الموارنة في جبل لبنان من إستقلال ذاتي أيام الحكم العثماني منذ عهد المتصرفية عام ١٨٦١م تحت الحماية الأوروبية وإرتباطهم بفرنسا دينياً وإقتصادياً وثقافياً (٢) -وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل الثالث تحت عنوان أثر السياسة الفرنسية على سير الإتجاهات السياسية في لبنان- فقد كانت الفكرة العربية السورية تجد لها حيزاً في الإتجاهات السياسية اللبنانية، في الفترة ما قبل الحرب العالمية الاولى.

لقد كان لبنان سبّاقاً في الدعوة إلى فكرة القومية العربية وذلك لإنفتاحه على أوروبا ولعلاقته الدينية والإقتصادية معها، منذ فترة طويلة، وبسبب إنتشار التعليم والمدارس الأجنبية والبعثات التبشيرية المختلفة، ولقيام الجمعيات الأدبية والعلمية والسياسية ذات الأهداف المتعددة (٣) ، وترافق هذه النهضة مع التدخل الأوروبي في المنطقة وسياسة الدولة العثمانية المرتبكة في ذلك الوقت، وتركيزها على العنصر التركي والمبالغة في الحط من شأن العرب ومكانتهم ومحاولة طمس هويتهم لحساب الهوية التركية، ظهرت بوادر الفكرة العربية في بلدان المشرق العربي خاصة لبنان، للتعامل مع الفكرة العربية برمزية في البدايات وذلك تمهيداً للطريق وخوفاً من الأتراك.

كان لإهمال العثمانيين اللغة العربية بل ومحاولة طمسها في الفترة الاخيرة من عمر الدولة العثمانية حافزاً لتمسك العرب وخاصة المسيحيين باللغة العربية وآدابها، وتظهر لنا اللغة بوضوح في هذه الفترة في عداد العوامل القومية، فقد أعطى المعلم بطرس البستاني وناصيف اليازجي الحركة اللغوية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان شعوراً قوياً

---

(١) رؤوف عبّاس : الفكر السياسي العروبي قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، عدد (٢٨)، السنة الرابعة، أيلول، ١٩٨٢م، ص١١٦.

(٢) نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ط١، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٢٣. / أنظر جورج انطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) ناصيف نصّار : تصورات الأمة المعاصرة، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

بدور اللغة في تمييز الشعوب وتحديد هويتها (١) ، فاهتموا باللغة العربية والتراث العربي وبمجرد هذا الإهتمام فإن ذلك لا بد أن يصدر عن نزعة قومية، فتعزيز اللغة العربية هو تعزيز للإنتماء القومي العربي، وأن تطوير الادب العربي هو تطوير للتراث العربي، وبالرغم من أن هؤلاء وأمثالهم في ذلك الوقت لم يتركوا لنا في هذه الأعمال الادبية شيئاً قاطعاً في موضوع الامة والإنتماء القومي إلا أنهم شكلوا نقطة البداية في هذا الموضوع الذي يأخذ كما سنرى لاحقاً عبر تدرجاته التاريخية مراحل مختلفة. (٢)

وعند تتبع ولادة الفكرة القومية العربية الحديثة، ونموها فإنه لا بد من إستعراض هذه الفكرة من بدايتها في لبنان والمشرق العربي، لنتعرف على المراحل المختلفة التي مرّت بها، والتنظيمات أو المؤسسات الأدبية والعلمية والسياسية التي تمثلت فيها هذه الفكرة إبتداءاً من الأدب والثقافة وإنتهاءاً بالسياسة، حيث تمثلت الفكرة العربية والوعي العربي بعدة مظاهر أدبية وعلمية وثقافية مسيسة تحولت إلى جمعيات وأحزاب سياسية فيما بعد، كان منها :

أ- جمعية الآداب والعلوم : أسس بطرس البستاني وناصيف اليازجي وهما اديبان مسيحيان من لبنان بالإشتراك مع بعض المبشرين الأمريكان جمعية الآداب والعلوم عام ١٨٤٧م في بيروت، وترد تسميتها أحياناً تحت إسم "جمعية العلوم والفنون" وكانت غاية الجمعية وهدفها هو رفع مستوى المعرفة والعلم عن طريق الإتصال بالثقافة الغربية، وتبدو هذه الجمعية جمعية طائفية خاصة بالمسيحيين إلا ان هذه الجمعية من حيث الظهور كانت بداية على طريق تشكيل الجمعيات المختلفة في لبنان.

ب- الجمعية العلمية السورية : وتتضح الغيرة على العرب وبعث أمجادهم السالفة والتلميح إلى العرب والعصبية العربية في أدبيات الجمعية العربية السورية التي أسسها مجموعة من الطلبة العرب من مختلف الطوائف في بيروت عام ١٨٥٧م، برئاسة الامير محمد أرسلان (درزي لبناني) (٣) ، وتبدو أهداف الجمعية في الإهتمام الواضح باللغة العربية والأدب العربي ونشر العلوم والفنون والثقافة بين أبناء العرب، ومن خلال نشاطات هذه الجمعية تغنى أحد أعضاء الجمعية (إبراهيم اليازجي) أديب مسيحي لبناني بأمجاد العرب وبعث ماضيهم وانشد في احدى

---

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢) وجيه كوثراني : الإتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٣) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة، المصدر نفسه، ص ٩٤

قصائده المشهورة التي أُلقيت في مهرجان أقامته الجمعية قصيدتـه الميميـة المشـهورة.والتـي جـاء في مطلعها :

سـلامٌ أيـهـا الـعـرب الكـرام — وجاد ربوع قطركم الغمـام
لقد ذكر الزمان لكـم عهوداً — مضت قُدماً فلم يضع الذمام
لعمرك نحن مصدر كل فضلٍ — وعن آثارنا أخذ الأنـام
ونحن اولو المآثـر من قديمٍ — وإن جهلت مآثـرنـا اللئـام. (١)

وفي قصيدة اخرى له عُرفت بالبائية أنشد اليازجي :

تنبهوا وأستفيقوا أيها العـرب — فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمـال تـخـدعـكـم — وأنـتـم بـيـن راحـات القنا سلب
لنطلبن بحد السيف مأربنـا — فلـن يـخـيـب لـنـا في جنبه إرب. (٢)

وبإسلوب ذي نزعة قومية ثورية أنشد اليازجي في قصيدة ثالثة :

فالتُرك قـوم لا يفوز — لديـهـم إلاّ المشـاكس
أولستم العرب الكرام — ومن هم شم المعاطس
فاستوقـدوا لقتـالهم — ناراً تـروّع كـل قابس. (٣)

وتأتي أهمية هذه الجمعية في إنها اتت على خلاف جمعية الآداب والعلوم، حيث استبعدت الجمعية العلمية السورية المبشرين من عضويتها، كما كانت اول جمعيـة اتخـذت مظهـراً جماعياً ضم شخصيات لبنانية من مختلف الطوائف.

جـ- جمعية بيروت السرية : وقد جاءت بعض الجمعيات بصفـة سياسية، مثـل جمعيـة بيروت السرية، التي أسسها بعض الطلبة المسيحيين في الكلية السورية (الجامعة الأمريكية) في بيروت، عام ١٨٧٥م (٤) ، وقد عبّرت هذه الجمعية تعبيراً واضحاً وجريئـاً عن كرهها للدولـة العثمانيـة،

(١) أنيس المقدسي : الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط٢، جامعة الدول العربية، بيروت، ١٩٦٠م، ص ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠ فما بعد.

(٤) جورج انطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٧٢.

والدعوة إلى الإستقلال السوري عن الدولة العثمانية نهائياً، وكانت أهدافها قائمة على إستقلال سورية والإهتمام باللغة العربية.

وقد نشطت هذه الجمعية سرياً وقامت بتوزيع المناشير وإلصاقها ليلاً على جدران بيروت ودمشق وصيدا وطرابلس، واتضح من خلال هذه المناشير أن أهداف الجمعية كانت ترمي إلى :

١- منح سورية الإستقلال.
٢- الإعتراف باللغة العربية لغة رسمية في سورية.
٣- إلغاء الرقابة والقيود الأخرى المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة.
٤- جعل الخدمة العسكرية محلية داخل سورية. (١)

ويظهر الإتجاه السياسي السوري الداعي لوحدة سورية وإستقلالها واضحاً في أهداف هذه الجمعية السرية، التي كانت أشد تعبير عن هذا التوجه القومي.

د- جمعية حقوق الملّة العربية : والتي أسسها عام ١٨٨١م مجموعة من المسلمين والنصارى في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا، وتأتي اهمية هذه الجمعية من كون أعضائها من المثقفين وتأكيدها على التراث العربي وتحث في منشوراتها على تنبيه العرب وتذكيرهم بأمجادهم وبحقهم بالخلافة الإسلامية التي إغتصبها الأتراك (٢) ، كما دعت إلى مقاومة السلطان عبدالحميد وإسترجاع العرب لمكانتهم أيام الخلفاء من بني أمية وبني العباس، كما نادت بالتآخي الإسلامي المسيحي ضمن الإطار القومي العربي. (٣)

وجاء في أحد منشورات الجمعية مخاطبةً العرب : " أين أنتم واين هم، من منكم اليوم أمير، ومن منكم اليوم وزير، ومن فيكم اليوم مدير، بل كل واحد منكم فقير، وكبيركم مثل صغيركم حقير، والمال والآمال في أيدي الترك، ... ". (٤)

---

(١) د. علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ١٣٠. / أنظر جورج انطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٢) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣) د. علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٤) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة، المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

هـ- جمعية جامعة الوطن العربي : وفي سياق التوجه القومي العربي أسس نجيب عازوري (وهو مسيحي ماروني من لبنان، يحمل الجنسية الفرنسية) جمعية أو رابطة (جامعة الوطن العربي) في باريس عام ١٩٠٤م، دعا فيها إلى : " تأسيس إمبراطورية عربية مستقلة تمتد من دجلة والفرات إلى خليج السويس، ومن البحر المتوسط إلى بحر عُمان " (١) ، وعبّر عن هذا التوجه في كتابه (يقظة الأمة العربية) (Le Reveil de la Nation Arabe) الذي صدر بالفرنسية في باريس عام ١٩٠٥م، وفي (مجلة الإستقلال العربي) (L' independance Arabe) التي أصدرها بالفرنسية في باريس أيضاً في الفترة من آذار عام ١٩٠٧م حتى حزيران عام ١٩٠٨م. (٢)

وقد كان عازوري أحد موظفي الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان عبد الحميد حيث كان يعمل مساعداً لحاكم القدس (١٨٩٨-١٩٠٤) (٣) ، الامر الذي أتاح له الإطلاع على مساوئ الحكم العثماني عن قرب، والتنبه لبعض القضايا الحساسة، فكان من أول الذين تنبهوا لخطورة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وركّز معظم مؤلفاته نحو هذا الخطر، فقد إستشف عازوري هذا الخطر ونبّه إليه في كتابه (يقظة الأمة العربية) وفي مؤلف آخر أفرده للحديث عن هذا الخطر كما يبدو من عنوانه (الخطر اليهودي العالمي، تصريحات ودراسات سياسية). (٤)

وتتضح أهداف جمعية جامعة الوطن العربي في برنامجها في كتاب عازوري يقظة الامة العربية حيث يقول لا شيئ أكثر تحرراً من برنامج " جامعة الوطن العربي " فهي تريد قبل كل شيئ لمصلحة الإسلام، والامة العربية فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية" (٥) ، كما دعا إلى خلافة إسلامية عامة تشمل ولاية الحجاز الحالية ومنطقة المدينة المنورة حتى العقبة على ان تكون مستقلة تماماً، ويرى أن يكون الخليفة عربي من آل الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- له سلطة روحية فعلية على كافة مسلمي الأرض، وذلك لحل مشكلة فصل السلطة المدنية عن

---

(١) نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية، المصدر نفسه، ص ٢٢٥. / أنظر زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٩٧.

(٢) نجيب عازوري : يقظة الامة العربية، المصدر نفسه، المقدمة ص ١٩-٢١. / أنظر علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) نجيب عازوري : المصدر نفسه، المقدمة ص ١٢ فما بعد.

(٤) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ١٣.

(٥) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ٢١٩.

السلطة الروحية، لأنه يرى أن : " أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الإمبراطورية العظيمة هو تركيز السلطتين المدنية والروحية والجمع بينهما في يد واحدة " (١) ، ولذلك يرى عازوري انتزاع الخلافة من الأتراك الذين اغتصبوها من العرب ويتساءل : " كيف يجرؤ التركي عبد الحميد الإدعاء أنه الخليفة وكيف يكون خليفة ولا يفهم العربية ؟ وقد بلغ الخامسة والستين من العمر ولم يؤدي فريضة الحج بعد " (٢) ، ويركز عازوري على تكرار الإشارة إلى كره العرب للترك بأسلوب يظهر فيه التمايز القومي واضحاً بين العرب والترك ويقول عازوري أن العرب يرددون على مسامع الترك أن : " النبي عربي، والقرآن عربي، ولغة السماء عربية ". (٣)

كما دعا عازوري في كتابه إلى إزالة الحكم التركي وإقامة إمبراطورية عربية تمتد من دجلة والفرات إلى خليج السويس ومن البحر المتوسط وحتى بحر عُمان، ولكنه إستثنى مصر من هذه الإمبراطورية، حيث يقول : " وتتخلى الجامعة عن فكرة الجمع بين مصر والإمبراطورية العربية في ظل ملكية واحدة لان المصريين لا ينتمون إلى العرق العربي، فهم من عائلة البرابرة الإفريقيين، واللغة التي كانوا يتكلمونها قبل الإسلام لا تشبه العربية قط، أضف إلى ذلك قيام حدود طبيعية بين مصر والإمبراطورية العربية، يتوجب إحترامها حتى لا تدخل في الدولة الجديدة بذور التنافر والهدم ... ". (٤)

ويشير الدكتور عبد العزيز الدوري إن عازوري بهذا الإستثناء لمصر يبدو وكانه يميل لإرضاء بريطانيا (٥) ، ويبدو أنه بالإضافة إلى ما قاله الدكتور عبد العزيز الدوري ان عازوري كان قاصداً هذا الإستثناء حيث شكك في عاملين هامين من عوامل القومية وهما اللغة والعرق بل وأضاف عاملاً ثالثاً وهو العامل الجغرافي كأحد العوامل القومية عند البعض، كما هو عند انطون سعادة مثلاً، وبالرغم من ذلك تأتي بعض أفكار عازوري مضطربة حيث تراجع بعد ذلك عن إستثناء مصر ويقول بتولية أحد أفراد الأسرة الخديوية المصرية أميراً على بلاد الشام ليتسنى الجمع والتنسيق بين الشطرين الأسيوي والإفريقي. (٦)

---

(١) نجيب عازوري : يقظة الامة العربية، المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٥) التكوين التاريخي للامة العربية، المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٦) نجيب عازوري : يقظة الامة العربية، المصدر نفسه، المقدمة ص ٢٤.

كما دعا عازوري إلى إحداث كنيسة عربية كاثوليكية تتوحد فيها جميع الكنائس الكاثوليكية، تحت إسم " الكنيسة الكاثوليكية العربية " على أن تستوعب الكنائس الاخرى. (١)

ويُلاحظ أن نجيب عازوري وفي إطار تفسيره للعلاقات بين المجتمعات والدول المختلفة ينظر إلى مستقبل البلاد العربية في إطار المصالح الغربية في المنطقة، كما يبدو من تحليله لسياسات الدول الاوروبية، فقد دعا إلى " إحترام مصالح اوروباوكافة الإمتيازات والمزايا التي منحها إياها الأتراك ". (٢)

كما يبدي عازوري إعجابه في فرنسا بالدرجة الاولى حيث يُثني على دورها في مضمار التعليم والثقافة عن طريق النشاط التبشيري الذي ساهم في ظهور الأدباء والكتاب والمثقفين، وأدى إلى إيقاظ الوعي القومي العربي وإستفاقة اللغة العربية (٣)، وتصل درجة إعجاب عازوري وحماسه لفرنسا إلى الحد الذي يُعطيها حق حُكم البلاد العربية حال خروج الأتراك وإحتمال تجزئة الإمبراطورية العثمانية، ويقول في هذا الصدد : " لا يملك احد الحق في حكمنا غير فرنسا، ولن نهتف بحرارة لأية دولة غيرها في الأقطار العربية يوم يتقرر تجزئة الإمبراطورية التركية ". (٤)

ومن الملاحظ ان عازوري كان يتطلع إلى جهة خارجية تساعد العرب على التخلص من الأتراك وإقامة حُكم عربي بدلاً منه من أجل صالح السلام العالمي وخير الإنسانية ولذلك دعا الدول الأجنبية (أوروبا والولايات المتحدة الامريكية) لدعم وتشجيع الحركات الإنفصالية في الدولة العثمانية، خاصةً الحركة العربية كأقوى هذه الحركات وأضمنها نجاحاً. (٥)

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٦-١٧٧. / أنظر الدكتور عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي للأمة العربية ص٢٣٠. / أنظر د. علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٢) نجيب عازوري : يقظة الامة العربية، المصدر نفسه، ص ٢١٩. / أنظر عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ٢٣١.

(٣) نجيب عازوري : المصدر السابق نفسه، ص ٢٧-٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦.

وتأتي بريطانيا في الدرجة الثانية عند عازوري من حيث تميزها وأسلوبها وتعاطفها مع الشعوب المقهورة ويرى ان أسلوبها يتميز بالتغلغل بالوسائل السلمية والبطيئة في التعامل مع الشعوب المقهورة على عكس روسيا التي لا تحترم مؤسسات ولا تقاليد البلاد التي تسيطر عليها، ويقول في هذا الصدد : " تهدف السيطرة الإنجليزية إلى إثراء الأمة وليس إلى توظيف بعض الأفراد الإنجليز يساعدهم على ذلك توفر الخبرة والعلم والرساميل الضرورية بالنسبة إلى المواطنين الفقراء المتخلفين " (١)

وبالرغم من اضطراب أفكار عازوري إلاّ انه يُسجل له تلك البصيرة النافذة بشأن التنبيه للخطر الصهيوني والهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد كان من أوائل الذين تنبهوا لهذا الخطر ، حيث تنبأ عازوري بعمق ونبّه إلى ذلك الخطر وحتمية الصراع مستقبلاً بين الحركة الصهيونية وحركة اليقظة العربية ويقول في هذا الصدد : " ظاهرتان هامتان، لهما نفس الطبيعة، بيد أنهما متعارضتان لم تجذبا إنتباه أحد حتى الآن تتوضحان في هذه الآونة في تركيا الاسيوية أعني : يقظة الامة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع، مصير هاتين الحركتين هو أن تتعارضا باستمرار حتى تنتصر إحداهن على الاخرى، وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم بأجمعه ". (٢)

إلاّ أن ما يؤخذ على عازوري هو ان أفكاره لا تخلو من التناقض أحياناً ففي الوقت الذي دعا فيه لإقامة إمبراطورية عربية مستقلة عن الأتراك تشمل الشرق الأسيوي، مستثنياً مصر منها كما مرّ معنا عاد وطرح فكرة ربط جناحي الوطن العربي الآسيوي والإفريقي، عن طريق تولي أحد الخديويين في مصر الحكم في بلاد الشام من أجل هذه الغاية (٣) ، كما ان إعجابه بفرنسا وحماسه لها لدرجة تأييده لحكم فرنسا المنطقة العربية يناقض التحرر العربي الذي نادى به ودعا إليه بالإضافة إلى موقفه المتعاطف مع سياسة الدول الأوروبية خاصة بريطانيا، وعلى العموم لم تكن أفكار عازوري ذات أثر كبير في جذب إهتمام العرب ويرجع ذلك إلى اللغة التي كتب بها

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥ فما بعد.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

عازوري وهي اللغة الفرنسية وبعده عن المنطقة ومُلاحقة السلطات التركية له والحيلولة دون وصول أفكاره ونداءاته إلى البلاد العربية. (١)

و- الجمعية السورية المركزية : إلتقت أهداف الطائفة الكاثوليكية مع مطالب بعض المسيحيين من الطائفة الأرثودكسية، والطائفة الإنجيلية، وبعض المسلمين والدروز في تأييد الوحدة السورية (الدولة السورية)، مقابل رفض فكرة إستقلال لبنان، حيث أن إستقلال لبنان بالنسبة لهم ككيان مستقل تحت الحماية الفرنسية يعني ضمناً سيطرة الموارنة والثقافة الفرنسية عليهم (٢) ، وإن الموارنة سيكون لهم نصيب الأسد في هذه الدولة، وتصورها على انها إمتيازٌ ومكافئة للموارنة مقابل ولائهم لفرنسا، والتفضيل الثابت للموارنة في السياسة الفرنسية الإستعمارية.

وعلاوة على ذلك أسس بعض المسيحيين الكاثوليك أمثال نخلة ورشيد مطران في باريس عام ١٩٠٨م وبعد إعلان الدستور العثماني (الجمعية العلمية السورية) (٣) ، التي دعت إلى إستقلال سورية إستقلالاً إدارياً ضمن إطار الدولة العثمانية، ثم تدرجت في المطالبة بإنشاء دولة سورية تحت حماية فرنسية باعتبار فرنسا حامية الديانة الكاثوليكية في الشرق. (٤)

وركّزت الجمعية نشاطها في الخارج، من أجل جمع الانصار والمؤيدين للوحدة السورية، تحت الحماية الفرنسية، وفي الداخل وخاصة عند الدروز فقد وجدوا في الفكرة السورية طريقاً للخلاص من سيطرة الأقلية المارونية والسيطرة الفرنسية حيث يتمكن الدروز في هذه الحالة من الإتحاد مع إخوانهم الدروز في حوران، حيث تتمتع عائلة آرسلان هناك بموقع ممتاز وبالتالي يشكلون في المستقبل أكثرية تجد نفسها في وضع تستطيع فيه إستعادة نفوذها في لبنان بعد أن إحتل هذا المركز الموارنة بمساعدة فرنسا. (٥)

وضمن إطار الإتجاه السوري اللبناني، تدخل أيضاً (عصبة التحرير السورية-اللبنانية) التي أنشأها أيوب ثابت في نيويورك عام ١٩١٧م، مع مجموعة من المثقفين المسيحيين اللبنانيين

---

(١) د. علي محافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٢) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٣) توفيق برو : العرب والترك في العهد العثماني، المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) إلبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة، المصدر نفسه، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٥) علي معطي: تاريخ لبنان السياسي الاجتماعي، المصدر نفسه، ص ٦٣.

في نيويورك منهم نعمة تادرس و أمين الريحاني وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي (١) ، وركزت هذه العُصبة على المسألة السورية بشكل واضح حيث دعت في برنامجها إلى إقامة (إتحاد فدرالي) في سورية يضم جبل لبنان ودمشق وحلب وغيرها من المناطق السورية واللبنانية تحت الإنتداب الفرنسي، كما دعت عُصبة التحرير السورية اللبنانية إلى فصل المسألة السورية عن حركة الحجاز، وبغض النظر عن كل الشعارات التي ترفعها الحركة الحجازية سواء كانت شعارات عروبية أم إسلامية، ومن اهدافها أيضاً تحرير سورية ولبنان من الحكم التركي بواسطة فرنسا وتحت حمايتها وإرشادها. (٢)

وتبدو عُصبة التحرير السورية اللبنانية كتنظيم طائفي مسيحي يرفض العروبة والإسلام مما يدعونا للقول أنها جاءت إنسجاما مع توجهات السياسة الفرنسية في المنطقة، حسب إتفاقيات سايكس-بيكو السرية عام ١٩١٦م، ولا يستبعد أن تكون السياسة الفرنسية وراء هذه العُصبة التي إنطلقت على ما يبدو من مصالح فرنسا في المنطقة، ويظهر حتى إسم سورية بالإتحاد مع لبنان بحكم التقارب الجغرافي بينمها ليس إلاّ، خاصة وأنها رفضت الشعارات العربية والإسلامية بل واعتبرت السوريين من غير العرب. (٣)

الإتجاه الماروني التقليدي (اللبناني) :

عرفنا كيف إكتسب جبل لبنان خصوصية معينة في ظل الدولة العثمانية، منذ إنشاء القائمقاميتين عام ١٨٤٢م على أسس طائفية، وبتدخل من الدول الاوروبية، وتأكيد هذه الخصوصية المذهبية للجبل أيضاً عام ١٨٦٠-١٨٦١م، حيث أنشئت متصرفية جبل لبنان "وإقرار النظام الأساسي للجبل" على اثر الخلافات الطائفية وتدخل الدول الأوروبية (٤) التي مارست ضغطاً على الدولة العثمانية من أجل إنشاء المتصرفية وإقرار نظام خاص بالجبل ينفرد به عن غيره من الولايات العربية الأخرى التابعة للإمبراطورية العثمانية.

---

(١) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، ج١، (١٩٠٦-١٩٢٢)، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٦-٩٧.

(٣) عصام كمال خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٤) جواد بولس : تاريخ لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ترجمة جورج حاج، ١٩٧٢م، ص ٣٥٢.

وهكذا أصبحت الخلافات الطائفية في جبل لبنان منفذاً لتدخل الدول الاوروبية في الجبل، خاصة فرنسا التي أخذت تعمل على تغذية نظام المِلل وإعطائه خصوصية مذهبية، لتخلق أنصار لها في المنطقة ترتبط بها إقتصادياً وأيديولوجياً، عن طريق التغلغل الإقتصادي والثقافي في المنطقة (١) ، وعن طريق تمتع فرنسا بحق حماية الطائفة الكاثوليكية في المشرق، وأصبح سكّان جبل لبنان منذ عهد المتصرفية يقومون بتصريف شؤونهم بانفسهم ضمن السلطنة العثمانية، وبمعنى آخر كانوا يتمتعون بحكم ذاتي ضمن السلطنة العثمانية وبضمانة أوروبية، حيث ضمنت الدول الاوروبية الخمس الكبرى تطبيق ما جاء في بروتوكول عام ١٨٦١م الذي أُقر فيه النظام الأساسي للجبل. (٢)

ونتيجة لهذه السياسة الأوروبية فقد إحتل الموارنة مكانة إجتماعية وإقتصادية مرموقة وصعدوا إلى قمة الهرم السياسي والإقتصادي للجبل بفضل الدعم الفرنسي، الأمر الذي جعلهم ينظرون إلى فرنسا على أنها الام الحنون لابناء الجبل النصارى وخاصة الموارنة.

وفي سياق الإتجاه اللبناني المستقل، فقد تمثلت إمارات الإستقلال في الجبل منذ فترة مبكرة، فمنذ عام ١٨٦١م وبموجب النظام الأساسي للجبل، أصبح سكّان الجبل يقومون بتصريف شؤونهم الخاصة ضمن إطار الدولة العثمانية، كإنفاق الضرائب المحلية على المشاريع المحلية في إمارة الجبل، وعلى موظفي المتصرفية، وظهرت إمارات الإستقلال أيضاً على نحو الضابطة المحلية التي أنشأتها إدارة الجبل من أبنائه. (٣)

كما ظهرت النزعة الإستقلالية لمتصرفية الجبل عام ١٨٧٦م، بعد إعلان السلطان عبدالحميد الدستور، حيث رفضت متصرفية الجبل آنذاك بعث مندوبين عن الجبل لتمثيله في مجلس المبعوثان العثماني في الأستانة (٤) ، بحجة إستقلال الجبل إدارياً عن الدولة العثمانية،

---

(١) وجيه كوثراني : بلاد الشام السكان والإقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٢) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٦.

(٣) أسد رستم : المصدر نفس، ص ٣٧. / انظر دز سهيلة الريماوي : الإتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٣.

(٤) علي معطي : تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، المصدر نفسه، ص ١٤.

وبحجة أن بروتوكول عام ١٨٦١م، قد كفل لهم إمتيازاتهم ومطالبهم ضمن حماية أوروبية، وأن لا داعي لإرسال مندوبين عن الجبل للخوض في مطالب الولايات الأخرى في الدولة العثمانية، مادام هناك نظاماً خاصاً بهم في المتصرفية (١) ، مما شجع على ظهور النزعة الإستقلالية المبكرة لمنطقة جبل لبنان ذات الاغلبية المارونية المرتبطة بالدول الأوروبية خاصة فرنسا، حامية الطائفة الكاثوليكية في سورية، التي أخذت تعمل على ربط المنطقة إقتصادياً وثقافياً بها، كما ساعد على تحسن أحوال سكّان الجبل الذين منحوا إمتيازات تجارية وجمركية داخل الدولة العثمانية، حيث أعفيت منطقة جبل لبنان من بعض الضرائب والرسوم التي كانت مفروضة على باقي ولايات الدولة العثمانية بما فيها العاصمة إستانبول، وليس أدل على تحسن أحوال الجبل وتميزه عن غيره من القول المأثور آنذاك : "سعيدٌ من له مرقد عنزة في جبل لبنان". (٢)

وقد إنخرط أبناء الجبل في الحياة السياسية والإقتصادية لولاية بيروت التي أنشئت عام ١٨٨٨م، كونها تستقطب المؤسسات التجارية والسياسية والتعليمية الكبرى، وتتركز فيها القنصليات الأجنبية، ولذلك دخلوا المعترك السياسي والثقافي مع إخوانهم في ولاية بيروت فاشتركوا في تأسيس الجمعيات السياسية والأدبية، ليخرجوا عن عزلتهم في المنطقة وليستطيعوا إيصال صوتهم إلى الخارج عن طريق القناصل الأجنبية الموجودة في بيروت، خاصة وأن الأخرى قد وجدت بعض الفئات التي إستفادت في تجارتها مع فرنسا. (٣)

وفي الوقت الذي إرتبط فيه الجبل بفرنسا دينياً وإقتصادياً وثقافياً، كانت المدن الساحلية الأخرى كبيروت تعتبر نفسها إمتداداً للداخل السوري، وإرتبطت به سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً. ويمكننا القول أن لبنان في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى، ومنذ نهايات القرن التاسع عشر أصبح ينتمي إلى إتجاهين هما حسب المناطق : إتجاه يعد نفسه جزءاً من الدولة العثمانية ومرتبط بها ومثّلت هذا الإتجاه المدن الساحلية التي إرتبطت بالداخل السوري، وإتجاه آخر مثّلته منطقة جبل لبنان التي تتمتع بقدر من الحكم الذاتي وبعض الخصائص الثقافية، وترتبط معنوياً بفرنسا خاصة الموارنة الذين أصبحوا أغلبية مسيطرة في الجبل (٤) ، منذ عام ١٨٠٠م.

---

(١) أحمد طربين : لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الإنتداب (١٨٦١-١٩٢٠)، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م، ص ٣٠٧.

(٢) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، د.ط، بيروت، ١٩٦٤من ص ٢٠.

(٣) جواد بولس : تاريخ لبنان، المصدر نفسه، ص ٣٦١.

(٤) هاني فارس : النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، د.ط.، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١١٣.

وقد عبّر الإتجاه اللبناني "الماروني التقليدي" عن نفسه في تلك الفترة من خلال مواقفه الشعبية والرسمية النازعة نحو الإستقلال الكامل عن الدولة العثمانيـة، والمنطقة العربيـة، داعين لقومية لبنانية خالصة، وخلق كيان مسيحي لبناني مستقل يرتبط بالدول الاوروبية خاصة "فرنسا"، لكي يقف هذا الإتجاه أمام الإتجاهات والتيّارات السياسية الأخرى المعارضة للكيان اللبناني المستقل والداعية للبقاء ضمن الرابطة العثمانية أو تلك الداعية للقومية العربية الشاملة أو للوحدة السورية، وقد وجدت هذه الآراء الإنفصالية والإستقلالية في متصرفية جبل لبنان مرتعاً خصباً لها، حيث الأغلبية المارونية المتفوقة في الجبل التي تبنّت هذا الإتجاه الإستقلالي وشجّعته منذ سنوات طويلة. وعبّرت عنه في عدة مواقف كان منها :

موقف متصرفية جبل لبنان من دستور عام ١٩٠٨م :

تجددت مسألة إشتراك أبناء المتصرفية بإرسال ممثلين عنها إلى (مجلس المبعوثان) العثماني ثانيةً على النحو الذي رأيناه بعد صدور الدستور العثماني عام ١٨٧٦م (١) ، عندما رفضت المتصرفية إرسال ممثلين عنها لمجلس المبعوثان العثماني بعد الإنقلاب الدستوري عام ١٩٠٨م، بحجة أن للجبل نظام خاص به، حسب بروتوكول عام ١٨٦١م، الذي ضمن لهم حقوقهم وإمتيازاتهم بضمانة الدول الاوروبية الخمس الكبرى آنذاك. وان تطبيق الدستور والمشاركة في مجلس المبعوثان يعني التدخل في شؤون المتصرفية، وخرقاً للبروتوكول المذكور (٢) ، وقد مثّل هذا الإتجاه الطائفة المارونية، في حين شجّع الدروز تطبيق الدستور الجديد الذي يعني لهم التمكن من الإتحاد مع إخوانهم في حوران بحيث يستطيعون في المستقبل تشكيل أغلبية درزية تحجّم مركز الموارنة وتستعيد مكانتهم السابقة. (٣)

ان موقف الدروز من تطبيق الدستور الجديد مثل الإتجاه القومي السوري، في حين مثّل الموارنة الإتجاه المغاير، حيث ان استقلاليتهم في الجبل وارتباطهم بفرنسا يعني ضمان سيطرتهم وتفوقهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وان قبولهم بتطبيق الدستور وارسال مندوبين عن الجبل لمجلس المبعوثان يعني ضمناً تنازلهم عن الإمتيازات التي يترفل بها الجبل دون سواه من

(١) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢) توفيق برو : العرب والترك في العهد الدستوري، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٣) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، المصدر نفسه، ص ١٧٥

المناطق العربية التابعة للدولة العثمانية. وبالتالي فإن هذه الموافقة تعني لهم الإندماج في الدولة العثمانية وفقدان امتيازاتهم. (١)

ويدلل على قوة الإتجاه اللبناني المستقل المدعوم من القوى الأجنبية تظاهر المعارضين لإندماج المتصرفية في الدولة العثمانية ادارياً عن طريق تطبيق الدستور وإرسال مشاركين عنهم لمجلس المبعوثان العثماني، أمام قناصل الدول الأوروبية في بيروت عام ١٩٠٨. (٢)

لم يتوان اصحاب الإتجاه اللبناني المستقل عن محاربة العروبة وفكرة تعريب لبنان كلما سنحت لهم الفرصة، لدرجة انهم اعتبروا أن أرض لبنان "أرضاً مسيحية" بل شبّهوا الموقف العربي من لبنان بموقف اليهود الذين اعتبروا كل فلسطين يهودية، ووصفوا الموقف العربي بأنه أخطر من الموقف اليهودي وقالوا بأن العرب لم يسكنوا يوماً واحداً في "لبنان المسيحي" وان تواجدهم في بعض المناطق اللبنانية كان نتيجة لتهجير وتذويب شعوب كاملة آرامية مسيحية. (٣)

كما ويبرز التركيز على الخصوصية اللبنانية في ثنايا مطالب لائحة بيروت الإصلاحية، والمؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣م، حيث نستطلع بعض المطالب الخاصة بولاية بيروت وجبل لبنان، فقد جاء في مطالب لائحة بيروت الإصلاحية عام ١٩١٣م مطلب "تعيين مستشارين أجانب من أجل الإصلاح حيث الخبرة، وتوسيع سلطة المجلس العمومية" (٤) ، كما طالب المؤتمر العربي الأول في باريس بخصوص جبل لبنان وجاء في قرارات المؤتمر "يتمنى المؤتمر من الحكومة العلية ان تكفل لمتصرفية جبل لبنان وسائل تحسين ماليتها" (٥) ويبدو ان أصحاب التوجه الإستقلالي اللبناني المرتبط بالدول الغربية كانوا وراء طرح هذه المطالب سواء في جمعية بيروت الإصلاحية او في المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣م، امثال جورج سمنة ورشيد نخلة وغيرهم من المعروفين بميولهم الإنفصالية ودعواتهم الإستقلالية للبنان،

---

(١) توفيق برو : العرب والترك، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٣) وليد فارس : التعددية في لبنان، مطبعة الكسليك، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٢٣١.

(٤) توفيق برو : المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٥) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، درعون حريصة، ١٩٦٠م، ص ٨٠.

كما نلمس مثل هذه الخصوصية عند نجيب عازوري، فبالرغم من طرحه الشمولي الا انه دعا الى احترام استقلالية جبل لبنان والإمتيازات الأجنبية فيه. (١)

وعلى مستوى التنظيمات السياسية ايضاً، يظهر الإتجاه اللبناني المستقل عن الدولة العثمانية والبلاد العربية بما فيها سوريا واضحاً من خلال الجمعيات السياسية التي ظهرت في تلك الفترة سواء في لبنان او في الخارج، ومن الجمعيات اللبنانية التي مثلت هذا الإتجاه :

جمعية الإتحاد اللبناني في القاهرة :

أنشأت هذه الجمعية عام ١٩٠٩م، من ابناء الجالية اللبنانية في القاهرة، وتهدف هذه الجمعية الى :

- استقلال لبنان.
- توسيع حدوده السياسية (تكبير لبنان).
- المحافظة على حقوق وإمتيازات جبل لبنان. (٢)

وقد تعاملت هذه الجمعية مع حزب اللامركزية الإدارية العثماني في مصر ويظهر التركيز على المطالب اللبنانية الخاصة في الكثير من المذكرات والرسائل التي بعثتها الجمعية إلى الباب العالي والدول الأوروبية الضامنة للنظام الأساسي لجبل لبنان، فقد بعثت الجمعية بمذكرة إلى الباب العالي في نيسان عام ١٩١٢م تضمنت بعض المطالب اللبنانية منها :

- ان تنظر المحاكم المدنية بالدعاوي التجارية.
- زيادة مداخيل إدارة الجبل عن طريق زيادة عدد السكان بضم اراضي جديدة الى الجبل. (٣)

---

(١) نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية، المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(٢) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

ومن مطالب الجمعية التي تقدمت بها إلى الدول الاوروبية الضامنة لنظام لبنان الأساسي مايلي :

١) تطبيق الإستقلال الذاتي في لبنان بشكل كامل وحقيقي.
٢) اعتماد التمثيل النسبي في تشكيل المجالس التشريعية.
٣) استرجاع الأراضي التي سلخت عن الجبل وبالتحديد البقاع وبيروت.
٤) منح الجبل حقوقاً جمركية وبريدية وتلغرافية. (١)

وهكذا تظهر النزعة الإستقلالية اللبنانية في مطالب الجمعية ولكن نلحظ مطلب جديد فيها وهو اعادة ما سلخ من اراض عن لبنان "تكبير لبنان" وعلى الأرجح فإن مثل هذه المطالب جاءت لتوضح حاجة الجبل لمناطق جديدة خاصة الساحلية ومناطق اخرى جديدة خصبة تشكل له مسرحاً أكبر من أجل نشاطه الإقتصادي زراعياً وتجارياً، وقد جاءت معظم المطالب تركز على التجارة والجمارك والمالية وغيرها، دلالة على عدم قدرة الجبل على إستيعاب سكّانه إقتصادياً وشعور أهله بأن وضعهم سيصبح أفضل في حال ضم المناطق الساحلية.

ويبدو أن المطالب الخاصة بإلحاق أراضٍ جديدة بجبل لبنان، تأتي كمحاولة من أنصار الإتجاه اللبناني المستقل، لثني فرنسا عن ضم كامل أراضي سورية تحت حمايتها، حيث سيفقد الموارنة وأنصار الكيان اللبناني إمتيازاتهم ونفوذهم في حالة ضم كامل سورية تحت الحماية الفرنسية.

الإتحاد اللبناني في الإسكندرية :

نشطت في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وبعد الإنقلاب الدستوري عام ١٩٠٨م، الإتجاهات السياسية في لبنان، خاصة الإتجاه المطالب بالإستقلال اللبناني المستقل، فقد حذت الجالية اللبنانية في الإسكندرية حذو الجالية اللبنانية في القاهرة، بتأسيس جمعية بإسم "الإتحاد اللبناني في الإسكندرية" عام ١٩١٠م، إهتمت بالتاريخ اللبناني والعناية بمصالح اللبنانيين بالتنسيق مع الجمعيات الأخرى ذات نفس الهدف الذي يتلخص في المحافظة على إمتيازات لبنان، ويتضح هذا الهدف في كلمة إفتتاح الجمعية على لسان رئيسها يوسف السودا (مسيحي ماروني لبناني)

(١) لحد خاطر : عهد المتصرفية في لبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٩٠.

التي جاء فيها : "أنشأ إخواننا في لبنان جمعيّاتهم للدفاع عن إمتيازات لبنان، وأنشأ إخواننا في القاهرة : "جمعية الإتحاد اللبناني للغرض ذاته ولا شك أنكم لا تقصرون عنهم همة ولا تقاون وطنية" (١) ، ثم تطور هذا الهدف فيما بعد إلى الإستقلال الكامل للبنان.

بدت فرنسا كقاضٍ يتحاجّ عنده أصحاب هذا الإتجاه في الملمات، فما أن حاولت السلطة الإتحادية آنذاك التدخل للإنتقاص من إستقلالية الجبل، حتى ثارت ثائرة رئيس الجمعية يوسف السودا فوجّه كتاباً لرئيس مجلس النواب الفرنسي بعنوان "إستقلال لبنان الخالد قضائياً وتمثيلياً" (٢)، يتضمن إلتماس المساعدة الفرنسية من أجل البقاء على إمتيازات الجبل وحقوقه المنصوص عليها في بروتوكول عام ١٨٦١م تحت الضمانة الدولية.

جمعية النهضة اللبنانية :

وفي إطار الإتجاه اللبناني المستقل عن الدولة العثمانية المؤيد للمساعدة الفرنسية في الحصول على الإستقلال، تشكلت "جمعية النهضة اللبنانية" في آب عام ١٩١١م في نيويورك، ولا تختلف هذه الجمعية في طرحها عن الجمعيات اللبنانية الاخرى في ذلك الوقت، فقد دعت الجمعية في برنامجها عند نشأتها إلى : "المحافظة على إمتيازات لبنان، وفتح مرفأ له وترقية شؤونه العمرانية". (٣)

وقد لعبت الجمعية دوراً بارزاً في التنسيق مع الجمعيات اللبنانية الأخرى من أجل طرح القضية اللبنانية على المسارح الدولية والمحلية قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها وكان لها حضورها في المؤتمر العربي الاول في باريس، وما لبثت الجمعية أن طوّرت أهدافها وطالبت بالإستقلال التام للبنان بمساعدة فرنسا، وإستعادة لبنان للمناطق التي سلخت عنه وعودته لحدوده الطبيعية والتاريخية حسب الخريطة الموضوعة من قِبل قيادة الحملة الفرنسية على سورية عام ١٨٦٠-١٨٦١م (٤) ، ويظهر أن الجبل أصبح يعاني من ضائقة إقتصادية استدعته لضم مناطق جديدة كانت تتبع إمارة الجبل أحياناً في عصر المعنيين والشهابيين، واعتمدت في

(١) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠.

(٣) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٦. اظر الملحق رقم (١) ١٧٤.

ذلك على السلطات الفرنسية حيث لمّحت للتدخل الفرنسي على أنه علاقات قديمة تربط الجبل بفرنسا، وقد تحققت تلك المطالب فعلاً بعد خروج الأتراك من المنطقة ودخول فرنسا لتعمل على تحقيق هذه المطالب القديمة بتكبير لبنان عام ١٩٢٠م بعد أن أُلحقت بالجبل بعض المناطق المجاورة التي كانت تعتبر تابعة لداخلية سوريا.

الرابطة اللبنانية في باريس :

أُسست هذه الرابطة في باريس عام ١٩١٢م على يد مجموعة عُرفت بميولها اللبنانية، أمثال شكري غانم وخيرالله خيرالله اللذان كانا يعملان بنشاط بارز لخدمة القضية اللبنانية بمعزل عن العروبة والإسلام منذ بداية مسيرتهم السياسية، وقد عمل هؤلاء على إعطاء القضية اللبنانية صفة المطلب الشعبي حيث وقّعوا العرائض الأهلية التي تطالب بإستقلال لبنان وتوسيع حدوده ورفعوها إلى وزارة الخارجية الفرنسية، وقد كان لهذه الجمعية حضورها في المؤتمر العربي الأول الذي إنعقد في باريس عام ١٩١٣م كما مثّل شكري غانم وهو يحمل الجنسية الفرنسية – مطالب الجمعيات اللبنانية في مؤتمر الصُلح عام ١٩١٩م. (١)

ولم تقتصر الرابطة على فرع باريس بل وجدت لها عدة فروع في مختلف المدن اللبنانية، وفي الولايات المتحدة الامريكية، إلاّ أن فرع الجمعية في باريس كان أنشط هذه الفروع، من حيث الدعم الفرنسي والإيحاء الفرنسي المباشر هناك. (٢)

ومن الجمعيات السياسية اللبنانية التي تحمل نفس الفكرة اللبنانية في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها تظهر لنا جمعية الأرزة التي أسسها نخبة من زعماء لبنان أمثال حبيب باشا السعد وسليم بك المعوشي، في بيروت عام ١٩١٢م، ونادت بعدة مطالب بإسم اللبنانيين، تمحورت حول تدعيم إستقلالية جبل لبنان من النواحي المالية ووضع حد لسلطات المتصرف وإلغاء الضرائب الجديدة، وتفويض الجمعية في إجراء كل ما تراه مناسباً لتحقيق الخير والصلاح للبنان. (٣)

---

(١) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) لحد خاطر : عهد المتصرفية في لبنان، المصدر نفسه، ص ١٨٦.

كما ظهرت عدة جمعيّات لبنانية تحمل نفس الأهداف في الغالب وتتعامل مع الخارجية الفرنسية من أجل تلبية مطالبهم، فهناك جمعية بيروت اللبنانية التي أسست من قبل مجموعة من الشخصيات اللبنانية التي أصبح لها دور فيما بعد في تاريخ لبنان أمثال بشارة الخوري (الذي أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية) وأميل أدّه والشيخ يوسف الجميل وغيرهم ممن كان لهم دور في التاريخ اللبناني الحديث، ولم تختلف الجمعية عن سابقاتها حيث دعت إلى توسيع حدود لبنان وإستقلاله تحت المساعدة الفرنسية. (١)

كما ظهر عدد من الجمعيات اللبنانية الأخرى التي تحمل نفس الأهداف في لبنان وبلدان المهجر، مثل جمعية الإتحاد اللبناني في كندا، والحزب الوطني وجمعية الدفاع عن حقوق لبنان الكبير وجمعية الترقي اللبنانية، وتحمل هذه الجمعيات نفس أهداف ومبادئ الجمعيّات السابقة، بل وأنها منبثقة منها حيث طالبت بالإستقلال اللبناني والإستقلال التام عن الدولة التركية وسورية وطلب الحماية الفرنسية. (٢)

---

(١) بشارة الخوري : حقائق لبنانية ج١، المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٢) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، ج١،مرجع سابق، ص ٧-٨.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تطور الإتجاهات السياسية في لبنان

١٩١٨-١٩٣٩

شهدت المنطقة العربية بعد الإنتصار العسكري للحلفاء على الدولة العثمانية والمانيا في الحرب العالمية الأولى، أحداث متداخلة بين العرب والحلفاء، أثّرت على مجرى الحياة السياسية وتطوراتها المختلفة في بلدان المشرق العربي، فقد شهد لبنان إنقساماً بين مواطنيه نتيجة للتدخل الفرنسي المباشر، ما بين مؤيد للقوات الفرنسية التي نزلت على السواحل اللبنانية، والإستقلال اللبناني تحت الإنتداب الفرنسي، وبين رافض للإنتداب الفرنسي ومؤيد للوحدة السورية والإنضمام للحكومة العربية في دمشق.

فبعد جلاء القوات العثمانية عن المشرق العربي في ٣٠ أيلول عام ١٩١٨، إستبشر العرب خيراً على أن هذا الجلاء نصراً للثورة العربية الكبرى، وإيذاناً ببدء الحكم العربي، حيث رُفعت الراية العربية على دار الحكومة في دمشق، وشكل الأمير سعيد الجزائري الحكومة العربية الأولى بعد جلاء الأتراك عن دمشق بإسم الأمير فيصل بن الحسين، ووجه الأمير الجزائري بإسم الأمير فيصل بن الحسين برقيتين إلى لبنان (١) ، كانت الأولى الى عمر الداعوق رئيس بلدية بيروت يُعلمه فيها بقيام الحكومة العربية في دمشق، ويطلب منه إعلان حكومة عربية تابعة لها في بيروت بإسم الأمير فيصل بن الحسين، ومن منطلق عروبي أستجيب للطلب وأعلنت الحكومة العربية في بيروت برئاسة عمر الداعوق في الأول من تشرين الأول عام ١٩١٨، ومن منطلق عروبي وسعياً وراء الإستقلال العربي، قام وجهاء المدينة ومعظمهم من المسلمين برفقة بعض إخوانهم النصارى من الطائفة الأرثوذكسية بالذهاب الى الوالي العثماني (حقي بيك)، وطلبوا منه مغادرة بيروت وإنهاء كل ما له صلة بالدولة العثمانية. (٢)

---

(١) حسان حلّاق : المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٢) جورج انطونيوس : المصدر نفسه، ص ٣٥٨-٣٥٩. / أنظر محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سورية ولبنان، (١٩١٨-١٩٢٢)، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٧٨.

وفي ظل هذه الظروف قامت أول حكومة عربية في مدينة بيروت على أسس قومية غير طائفية، ضمت المسلمين والنصارى، رغم قلة نسبة السكان المسيحيين في ولاية بيروت، وإحتفل الخطباء من مسلمين ومسيحيين بهذه المناسبة، ورُددت الشعارات التي تؤكد اهمية التآخي العربي بغض النظر عن المذاهب الدينية، وتكرر رفع شعار "العرب قبل موسى وعيسى ومحمد"، كإشارة الى ضرورة التعاون العربي القومي بمعزل عن الدينية والطائفية. (١)

وكانت البرقية الثانية التي بعث بها الأمير سعيد الجزائري الى البطريرك الماروني الياس الحويك في جبل لبنان، يطلعه فيها على التطورات الجديدة التي حصلت ويطلب منه تشكيل حكومة عربية في جبل لبنان، إلا ان البطريرك الماروني المعروف بميوله الإستقلالية عن العروبة والإسلام رفض الطلب. فعُهد الى احد زعماء الموارنة السياسيين "حبيب باشا السعد" بتشكيل الحكومة العربية في جبل لبنان ففعل الأخير، ورُفع العلم العربي في الجبل، ووضع حبيب باشا السعد كبير الموارنة في لبنان يده على الإنجيل المقدس لحلف يمين الطاعة لملك العرب الشريف حسين في مكة والولاء للدولة العربية (٢) ، كما اتخذت الخطوة نفسها في صيدا، صور، وجبل عامل، حيث أُعلنت الحكومة العربية في كل من هذه المناطق. (٣)

لم يكن تظاهر بعض الفئات اللبنانية خاصة "الموارنة" صادقاً بتقبل الحكم العربي، إذ سرعان ما تكشفّت نواياهم وتبدلت مواقفهم السياسية عندما دخلت القوات الفرنسية الى لبنان في ١١ تشرين الأول عام ١٩١٨ م والقضاء على الحكم العربي هناك بعد عشرة أيام فقط من عمره، حيث أخذ المسيحيون يهتفون بحرارة للقوات الفرنسية التي نزلت على السواحل اللبنانية كمخلّصين لهم من السيطرة التركية والإسلامية (٤) ، واتضح انهم كانوا يقرنون العروبة بالإسلام وان لا فرق عندهم بين تركي وعربي مسلم، بل ان الأتراك لم يأخذوا الشرع الإسلامي إلا عن طريق العرب المسلمين.

---

(١) زين نور الدين زين : المصدر نفسه، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) د. حيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق، (١٩١٨-١٩٢٠)، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٧. / أنظر علي عبد المنعم شعيب : تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء، (١٩١٨-١٩٤٦)، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١١-١٢

(٣) محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل، بيروت، ص ٢٢٣. / وقد شكّل هذه الحكومات : رياض الصُلح (صيدا)، الحاج عبدالله خليل (صور)، ومن دار الفضل في جبل عامل.

(٤) صائب سلام : وهل فشل الإستقلال، مجلة المقاصد، العدد (١)، كانون الثاني، ١٩٨١م، ص ١٦٨.

لقد نظر دعاة الكيان اللبناني الى الحكم الإنتدابي الفرنسي على انه فرصة ذهبية يستطيعون من خلاله تحقيق شخصيتهم المذهبية وتثبيت إمتيازاتهم (١) ، فأخذوا يستقوون بالفرنسيين على إخوانهم المسلمين الذين يمثلون لهم إحراجاً كبيراً بسبب دعوتهم الى الوحدة السورية والإنضمام للحكم العربي في دمشق، الأمر الذي يفقدهم خصوصيتهم وامتيازاتهم المرهونة بالإنتداب الفرنسي والمقاطعة العربية، ولا يبدو الموقف غريباً بالنسبة للموارنة وغيرهم من أصحاب التوجه الإستقلالي الإنفصالي هذا، حيث ان هذا الموقف او هذه السياسة لها جذورها الممتدة عبر سنوات طويلة من تاريخ العلاقات الفرنسية المارونية، فقد أسهمت فرنسا بفعالية في إكساب جبل لبنان خصوصية مذهبية "إستقلالية" منذ بروتوكول عام ١٨٦١ م، وتغلغلها ثقافياً وإقتصادياً في المنطقة لخلق فئات او كيانات صغيرة ترتبط بها فكرياً وإقتصادياً لتساعدها في شرعية التدخل في المنطقة لتثبيت اقدامها فيها من اجل تنفيذ سياساتها وتحقيق مصالحها.

ان حبيب باشا السعد الزعيم الماروني في الجبل، الذي شكّل اول حكومة عربية في جبل لبنان تُدين بالولاء للحكم العربي في دمشق، ووضع يده على الإنجيل المقدس ليقسم يمين الطاعة والولاء للشريف حسين والحكم العربي قبل عشرة ايام فقط هو نفسه الذي شكّل الحكومة الجديدة في عهد الإنتداب الفرنسي، وبدا وكأن قبولهم بالحكم العربي في الجبل كان طارئاً، حيث اخذ سكان الجبل يتمسكون بمطلب الإستقلال ويكيلون الشتائم وينشدون الأناشيد في ذم المسلمين وتحقيرهم (٢) ، ومن اناشيدهم الشعبية التي تعبّر عن كره العرب والتمسك بمطلب الإستقلال تحت الإنتداب قولهم :

عيشي بذلي ما منحبا	نتظاهر ما منتخبا
يا منّال الإستقلال	يا منرحل عا أوروبا (٣)

---

(١) رشيد رضا : ماللمسلمين نائمين كأهل الكهف، مجلة المقاصد، عدد (٩)، كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٣٨.

(٢) وهناك زجلية مارونية تقليدية تظهر فيها النزعة الطائفية المسيحية المعبرة عن كره المسلمين والطوائف الاخرى غير المسيحية تقول :

وهرطيقي ليس كان عندهم	ولا مسلم يسكن بينهم
ويهودي إن كان يوجد عندهم	قبره تكشفه الغربان
البطرك كان له سطوه	والحاكم كان له نخوه
وكانوا الإثنين إخوه	في الضعة وفي الإيمان
وكانت حدوده محفوظه	والإسلام منه مرفوضه

انظر حسان حلاّق : المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٣) بشارة الخوري : ج١، المصدر نفسه، ص ٩٥.

ولـم تكـن النظـرة الاقليميـة الضيقـة هـذه خاصـة بالمسـيحيين فقـط فـي لبنـان، فقـد طغـت المطامع الشخصية لبعض القيادات الوحدوية الإسلامية على المصلحة القومية العليا احيانـاً، حيـث ظهرت مثل هذه النظرة اللبنانية في بيروت ايضاً عندما قامت الحكومة العربية في دمشق بإرسال الفريق شكري باشا الأيوبي حاكماً على بيروت بـدلاً مـن عمـر الداعـوق عـام ١٩١٨، فكـان رد البعض من وجهاء بيروت الإسلاميين في رسالة للأمير فيصل : " لا نقبل ان ترسل دمشق بواحد سوري" (١) ، بالرغم من أن الحكومة العربية في دمشق حرصت على توزير لبناني في حكومتهـا هو رضا الصلح، ومن المُلاحظ ان هذا الموقف يشير الى ظهور تمايز لبناني سوري، فمن فحوى الرسالة التي وجهها وجهاء بيروت لفيصل نستشف ان عبارة "واحـد سـوري" ربمـا تـدل علـى ان هناك سوريا وهناك لبنان مما يدعونا للقول ان بعض الدعوات القومية والوحدوية لم تكن واضحـة في تحديدها لماهية المكان، حيث تبدو لنا هذه الدعوات ضبابية وغير واضحة المعالم .

وفـي معـرض حديثنـا عـن الكيـان اللبنـاني وانصـاره فقـد كـان لهـم حضـورهـم المسـتمر ونشاطهم الدؤوب في كل المناسبات والمؤتمرات المحليـة والدوليـة لإثـارة مطـالبهم الإستقلالية وتأكيدها على المستوى الدولي بمعزل عن بقية المطالب العربية الوحدويـة الأخـرى، ففـي الوقت الذي اخذ فيه الأمير فيصل بن الحسين "ممثل الشريف حسين في مؤتمر الصلح"، يسعى لدى دول الحلفاء في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ م للحصول على موافقتها في منح البلاد العربيـة استقلالها تحت راية والده الشريف حسين بن علي كإلتزام للحلفاء بوعودهم للعـرب قبـل الحـرب العالمية الأولى، كانت هناك معارضة رديفة لتحركات فيصل، فقد اصدر "مجلس ادارة جبل لبنان" في نهاية عام ١٩١٨ م وبإيعاز من فرنسا قراراً يتضمن "استقلال لبنان بحدوده الأصلية بإعادة ما سُلخ عنه في برتوكول عام ١٨٦٤ م" (٢) ، وقد رفع هذا القرار الـى المؤتمر فـي بـاريس بصفـة شعبية ورسمية من جبل لبنان وعبر ثلاثة وفود خلال انعقاد مؤتمر الصلح ركـزت جميعهـا علـى استقلال لبنان وضم اجزاء جديدة له حيث جاء في مذكـرة الوفد الأول لإدارة الجبـل الـذي رافـق حضوره في باريس اجتماع للجالية اللبنانية هنــاك فـي بدايـة كـانون ثـاني عـام ١٩١٩ م واصـدر الجميع القرارات التالية :

١- استقلال لبنان.

٢- استرجاع وحدته الجغرافية في حدوده الطبيعية والتاريخية.

---

(١) علي عبد المنعم شعيب : المصدر نفسه، ص ١٣.

(٢) زين نور الدين زين : المصدر نفسه، ص ٩٨.

٣- المساعدة الفرنسية. (١)

وفي سعيهم المستمر لتأكيد مطالبهم الإستقلالية تحت الإنتداب الفرنسي في مواجهة محاولات الأمير فيصل المكثفة والدعوات الوحدوية الأخرى تحت الحكم العربي في مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ م، ومع استعداد الأمير فيصل بقبول استقلال لبنان على امل ترك الباب مفتوحاً لإنضمامه الى الحكم العربي بمحض اختياره (٢) ، إلا ان فرنسا وأنصارها على ما يبدو لم يستغلوا هذا الميل الفيصلي، في الوقت الذي اخذت فيه بريطانيا بدعم هذا التوجه عند فيصل (٣)، وفي الحقيقة فإن الصراع داخل المؤتمر بين انصار التيار الوحدوي العربي والتيار الإستقلالي اللبناني، لم يكن إلا صراعاً بين مشروعات السياسة الفرنسية والبريطانية في المنطقة. وان توجهات ابناء المنطقة العربية لم تعد في نظرهم سوى حجج تسوقها السياسات الغربية لتأييد مواقفها وسياساتها المصلحية في المنطقة، ومن مجريات الأمور في المؤتمر فإننا لا نستبعد ان تكون بعض هذه الإتجاهات الطائفية عند ابناء المنطقة في المشرق العربي بشكل عام وفي لبنان بشكل خاص اسيرة مشروعات السياسة الغربية وتوجهاتها، حيث الإيحاء المباشر وغير المباشر لبعض الزعماء السياسيين العرب والحركات السياسية العربية من فرنسا وبريطانيا.

لقد نظرت فرنسا الى وجود الأمير فيصل في المؤتمر مناورة انجليزية هدفها تقليص النفوذ الفرنسي في المنطقة، ولهذا نراها ترفض دخول الأمير الى المؤتمر وتحترمه فقط كضيف على فرنسا لا بصفته ممثلاً عن العرب ووالده الشريف حسين، الأمر الذي استدعى تدخل بريطانيا لصالح الأمير بحضور المؤتمر ليطرح مواضيع تتعلق بشؤون العرب القومية الذي تتعاطف معه السياسة البريطانية (٤) ، في حين ردّت فرنسا على ذلك، وفي نفس الجلسة بالتدخل لدى المؤتمر من اجل السماح لأحد انصارها المعروفين بميولهم الفرنسية وهو (شكري غانم

---

(١) Longrigg, Stephen Hemsley : "Syria and Lebanon Under Frenchman Date", University Press, London, New York, Toronto, 1958, P.P. 367-368.

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية (١٩٠٨-١٩١٤)، دار النهار للنشر، ١٩٧٧م، ص ٤٦٧. / أنظر جورج انطونيوس : المصدر نفسه، ص ٤١٨.

(٣) حسان حلاق : التيارات السياسية في لبنان (١٩٤٣-١٩٥٢)، مع دراسة للعلاقات اللبنانية العربية، والعلاقات اللبنانية الدولية، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٥٤ / أنظر زين نور الدين زين : المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٤) زين نور الدين زين : المصدر نفسه، ص ١٠٥.

رئيس اللجنة المركزية السورية في باريس) ليلقي كلمة يعرض فيها وجهة نظر الجمعيات السياسية اللبنانية من وجهة النظر الفرنسية، حيث ان هذه الجمعيات اللبنانية السالفة الذكر كانت موالية لفرنسا، بل عملت السلطات الفرنسية على انشاء بعضها والتنسيق معها، كما سيمر معنا لاحقاً، وهذا ما حصل بالفعل في الكلمة التي القاها شكري غانم ذو النشأة والجنسية الفرنسية، الذي اخذ يكيل المديح لفرنسا ويتحدى الأمير فيصل على انه لا يمثل جميع ابناء العرب والناطقين بالعربية قائلاً : "انه يمثل الحجاز فقط... ولا علاقة للحجاز بسوريا التي تريد مساعدة فرنسا في بناء دولة سورية مستقلة" (١) ، ثم اردف قائلاً : " فأية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي، بين البدو والحضر؟ إذا كانت دمشق تبعد عن مكة بما لا يقل عن الف وخمسمائة كيلو متر". (٢)

ويُلاحظ أن المؤتمر حوى ثلاث إتجاهات سياسية متناقضة هي :

١- الإتجاه الوحدوي العربي، ويغلب عليه الطابع الإسلامي، ويبدو تعاطف بريطانيا مع هذا الإتجاه الذي مثّله الأمير فيصل بن الحسين كورقة ضغط على فرنسا من اجل الحصول على تنازلات فرنسية في المنطقة.

٢- إتجاه سوري دعا إلى وحدة سورية بمعزل عن الدعوات القومية العربية الأخرى تحت الحماية الفرنسية، ويغلب عليه الطابع المسيحي ومثّله شكري غانم رئيس اللجنة السورية المركزية في باريس، ومن ورائه السياسة الفرنسية.

٣- إتجاه لبناني يدعو إلى كيان لبناني مستقل تحت الحماية الفرنسية مثّله الموارنة في جبل لبنان، وتقف فرنسا وراء هذا الإتجاه لزيادة أسلحتها وحججها الدبلوماسية في المنطقة.

ونتيجة لعدم التوصل لحل نهائي للقضية السورية-اللبنانية في المؤتمر، طرح الأمير فيصل وانصاره الوحدويون فكرة ارسال لجنة استفتاء دولية للوقوف على رغبات السكان وميولهم حول مستقبلهم ومستقبل بلدانهم السياسي (٣) ، وأيدت الولايات المتحدة هذا الرأي خاصة بعد ان ارتابت من الأطماع البريطانية والفرنسية في المنطقة العربية، بينما حصل رفض بريطاني وفرنسي لهذه الفكرة والتهرب منها لأنهما يعرفان تماماً مدى رغبات وميول اغلبية سكان المنطقة

---

(١) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام، ج٢، بيروت، ص ٨٧٧. / أنظر زين زين، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٢) زين نور الدين زين : المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٣) حنّا خبّاز : فرنسا وسورية، ج١، مطبعة علم الدين، مصر، ١٩٢٨م، ص ٢٥-٢٦.

في التحرر والوحدة دون أي تدخل للقوى الأجنبية (١) ، وهذا ما يؤيد قولنا السابق عن المشروعات الفرنسية والبريطانية الطامعة في المنطقة العربية.

وعندما ارسلت اللجنة الأميركية "كنغ – كراين" الى المنطقة في حزيران عام ١٩١٩ م، وبعد تقصيها واستفساراتها، وجدت اللجنة أن اللبنانيين انقسموا الى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : تنادي بالإستقلال تحت الحماية الفرنسية بحماس وعلى رأسها الموارنة في جبل لبنان ومعادية للإنكليز والأميركان. و**الفئة الثانية** : تدعو للإستقلال مع الإرتباط بالحكم الفيصلي في دمشق مثّلها اغلبية المسلمين في المناطق الساحلية، شأنهم في ذلك شأن بقية اخوانهم المسلمين في سوريا الكبرى، وشاطرهم في ذلك بعض الطوائف المسيحية ذات التوجه الوحدوي مثل الطائفة الأرثوذكسية مع ميل لأميركا أولاً وبريطانيا ثانياً اذا كان لا بد من الإنتداب. و**الفئة الثالثة** : دعت للإستقلال والإرتباط بسوريا تحت الحماية الأميركية، وظهرت كإتجاه جديد وربما كان للجنة التحقيق الأميركية دور في ظهوره. (٢)

وإن ما ذكره فيليب حتي في ان نتائج لجنة الإستفتاء الأميركية "كنغ – كراين" اظهرت ميل الأكثرية اللبنانية في رغبتها في توسيع لبنان بضم المناطق الساحلية له، والاستقلال الكامل عن سوريا تحت الإنتداب الفرنسي (٣) ، يدخل في نطاق التعميم، إلاّ إذا كان حتّي يقصد "بلبنان" جبل لبنان الذي عُرف بهذا الاسم منذ عهد المتصرفية عام ١٨٦١ م، ويقصد بالأكثرية اللبنانية "الأغلبية المسيحية (الموارنة)" في الجبل نفسه الذين عرفوا بهذا الموقف التقليدي النازع نحو الإستقلال الكامل عن كل ما هو عربي وإسلامي تحت الإنتداب الفرنسي منذ سنوات طويلة، ولكن الواقع يشير الى ان الأقلية (٤) "الأغلبية عند حتي" هي التي دعت الى الإستقلال تحت الإنتداب الفرنسي وليس الأكثرية، اذا كنا نقصد بلبنان كما هو اليوم، لأن الموارنة المؤيدين لفرنسا والإستقلال تحت حمايتها اذا اندمجوا في لبنان الكبير لا يصبحون أكثرية بل على العكس من ذلك، ومما يرجح عدم صحة تعميم حتى هذا هو أن سكان المنطقة الساحلية ذات الاكثرية

---

(١) يوسف السودا : ج١، المصدر نفسه، ص ١٧٤. / أنظر جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ٦٠٣-٦٠٥.

(٢) د. خيرية قاسمية : المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٣) فيليب حتّي : المصدر نفسه، ص ٥٩٤.

(٤) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه، ص ٦٠٢-٦٠٤.

الإسلامية مثل بيروت، طرابلس، صيدا، بعلبك التي أُلحقت بمتصرفية الجبل بعد تأسيس لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، وغيرها عرفوا بتوجهاتهم الوحدوية عدا عن إرتباطهم العضوي بالداخل السوري ويشاطرهم في ذلك قسم من الطوائف المسيحية الأخرى مثل الأرثوذكسية والبروتستانتية ذات التوجهات الوحدوية، ويدلل على صحة هذا الكلام ونقض ما جاء به فيليب حتى من تعميم أن المسلمين كانوا قد عبّروا عن إحتجاجهم على سياسة الإلحاق والضم لجبل لبنان بعدة مظاهر مختلفة كان أهمها :

١- مطالبتهم بإجراء إستفتاء شعبي لسكان الساحل لتبيان حقيقة موقفهم المؤيد للوحدة السورية، وأن إلحاق مناطقهم لجبل لبنان جاء على غير رضاهم.

٢- إضرابهم عن المشاركة في التعداد السكاني عام ١٩٢٢م، والمطالبة بشطب عبارة "حامل هذه التذكرة لبناني" من الهوية الشخصية بعد قبولهم بالتعداد، دلالة على رفض الهوية اللبنانية، ووضعوا عبارة حامل هذه الهوية ببيروتي بدلاً منها.

٣- رفض أكثر أنصار الوحدة السورية في الإشتراك في إنتخابات المجلس النيابي الأول عام ١٩٢٢م.

٤- عدم مشاركتهم في سن الدستور اللبناني عام ١٩٢٦م، وإصرارهم على أن لبنان جزء لا يتجزأ من سوريا.

٥- عقدهم المؤتمرات المتعددة للمطالبة بالوحدة السورية وعدم ضم مناطقهم لجبل لبنان في الأعوام ١٩٢٨، ١٩٣٣، ١٩٣٦ وهي ما سمّيت بمؤتمرات الساحل.

٦- الوفود الطرابلسية إلى باريس عام ١٩٣٤، ومطالبتها بتحقيق الوحدة مع سوريا، هذا عدا مواقف الأحزاب والجمعيات اللبنانية التي دعت إلى الوحدة مع سوريا وسنتحدث عن ذلك في حينه. (١)

ونتيجة لغلبة التوجه الوحدوي السوري الذي أخذ يتضح من خلال إلحاح الحاج الأمير فيصل على الوحدة بإسم السوريين في مؤتمر الصالح وموقف المؤتمر السوري العام الداعم للوحدة السورية، بالإضافة إلى ما تمخض عن لجنة (كنغ-كراين) من الكشف عن هذه التوجهات الوحدوية وما أثارته من شكوك حول إيجاد أنصار مؤيدين للوحدة السورية تحت الوصايا الامريكية كإتجاه جديد في المنطقة (٢) . فإن ذلك أربك السياسة الفرنسية وحذرها من السياستين

---

(١) محمد جميل بيهم : النزاعات السياسية بلبنان، عهد الإنتداب والإحتلال، (١٩١٨-١٩٤٥)، دار الأحد بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ١٢-١٣.

(٢) حنا خباز : المصدر نفسه، ص ٢٦.

الأمريكية والإنجليزية في المنطقة وأشغلها عن متابعة مطالب حلفائها التقليديين في جبل لبنان، لذك أرسل جبل لبنان وفداً آخر في ٢٩ تشرين الأول عام ١٩١٩م ليؤكد على مطالب الوفد الأول برئاسة داود عمون إلى باريس في ١٠ أيار عام ١٩١٩م (١) ، ولأجل هذه الغاية سافر البطريرك إلياس الحويك إلى باريس على رأس الوفد الجديد ليضيف شروحات ومطالب جديدة في المذكرة التي رفعها للمؤتمر وورد فيها أن لبنان كان قد عهد الإستقلال والتمثيل البرلماني الخاص به منذ أيام الفتح الإسلامي والسيطرة العثمانية وإن ما يطالب به أهل الجبل ليس جديداً، وأن سوريا لم تكن تتمتع بهذا النوع من الإستقلال بل كان شأنها شأن أي ولاية عثمانية أخرى، وأن لبنان تمتع على الأقل منذ ١٨٦١م بنظام أساسي خاص به لم تعهده سوريا وبقية الولايات العربية، كما جاء في المذكرة التي رفعها البطريرك "أن إعتماد لبنان على اللغة العربية لا يدل على عروبته" كما يقول البطريرك : "أن شيوع هذه اللغة في لبنان كان بعد ٤٠٠ سنة من الإحتلال العربي". (٢)

وهكذا نرى إضافات وتأكيدات جديدة في مطالب الوفد الجديد حيث حاول البطريرك إعطاء الكيان اللبناني صفة تاريخية وإستقلالية لجبل لبنان عن سورية وبقية المنطقة العربية منذ الفتح العربي ومروراً بحكم الأتراك حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وتتضح هذه المحاولات للبرهنة على هذه الإستقلالية بقول البطريرك : "فاستقلال لبنان ليس إستقلالاً نتج ببساطة من عملية زوال السلطة العثمانية، بل هو وبشكل خاص استقلال كامل حيال كل وجود عربي ينشأ في سورية". (٣)

كما أرسلت إدارة جبل لبنان وفداً ثالثاً في إطار تأكيد مطالبهم ومتابعتها في دوائر السياسة الاوروبية في مؤتمر الصلح في باريس حيث شكل وفد جديد برئاسة المطران عبدالله الخوري عام ١٩٢٠م، ليؤكد على مطالب وفود متصرفية الجبل السابقة خاصةً في ظروف إتفاق الأمير فيصل مع رئيس وزراء فرنسا "كليمنصو" وقبول فيصل ضمناً وبصورة سرية، لم تبرح أن إنكشفت بالحماية الفرنسية على سورية الشرقية (٤) ، ترافق ذلك مع إعلان المؤتمر السوري العام بدمشق في إجتماع له في ٨ آذار عام ١٩٢٠م، بالإجماع على "إستقلال سورية إستقلالاً تاماً

---

(١) بشارة الخوري : ج١، المصدر نفسه، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(٣) محمد جميل بيهم : النزاعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ١٤.

(٤) علي عبد المنعم شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٢٤.

بحدودها الطبيعية بما فيها فلسطين، دون أن يكون فيها لليهود وطن قومي، ومبايعة الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سورية بكل أجزائها". (١)

لقد أثارت قرارات المؤتمر السوري العام عام ١٩٢٠م أنصار الكيان اللبناني وأعتبروه تدخلاً في شؤون الجبل، خاصةً وأن المؤتمر السوري العام يضم في عضويته أربعة وعشرون عضواً من مناطق لبنان وطوائفه المختلفة، وتركيزهم على إعتبار لبنان جزءاً من سورية، ولذلك واصل الإنفصاليون إحتجاجهم ضد قرارات المؤتمر السوري وتتويج فيصل ملكاً على سوريا بما فيها لبنان، وعمت المظاهرات في الجبل وطارت الوفود إلى فرنسا على المستوى الرسمي والشعبي لإبطال قرارات المؤتمر السوري. (٢)

ونظراً لهذه التطورات السياسية الهامة ولا سيما بعد قرارات المؤتمر السوري العام، عقد المجلس الأعلى لدول الحلفاء بناء على رغبة فرنسا وبريطانيا مؤتمر "سان ريمو" بإيطاليا عام ١٩٢٠م، حيث أتفق فيه على وضع سورية ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي، ووضع فلسطين والعراق والأردن تحت الإنتداب البريطاني، وشكل هذا المؤتمر صدمة قوية للإتجاهين أصحاب الوحدة والإنفصاليون وأصحاب الإقليمية الضيقة على حد سواء، حيث خاب أمل الوحدويون في سورية الكبرى وخاب أمل الإنفصاليون في لبنان المستقل غير المرتبط بسوريا أو غيرها من بلدان المنطقة، ولذلك أعلن مجلس إدارة الجبل في ١٠ تموز عام ١٩٢٠م " إستقلال لبنان التام المطلق" (٣) ، رداً على قرارات مؤتمر "سان ريمو" التي قضت على أحلامهم بلبنان المستقل المنفرد في المنطقة تحت حماية فرنسا، ولربما يقول قائل أنهم كانوا يطالبون منذ فترة طويلة بالإنتداب الفرنسي عليهم، فلماذا الإحتجاج الآن على قرارات "سان ريمو" ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول أن الإنفصاليين كانوا لا يريدون أي نوع من الإتصال بسوريا حتى في ظل الإنتداب الأوروبي، فقد تخيلوا هذا الوطن اللبناني المسيحي منذ سنوات طويلة على أسس طائفية ووجه غربي لا عربي رافضين أي تماس بين لبنان وبقية بلدان المشرق العربي.

---

(١) يوسف الحكيم : سورية والعهد الفيصلي، دار النهار للنشر، ط٢، ١٩٨٠م، ص ١٣٨.

(٢) محمد جميل بيهم : سورية ولبنان (١٩١٨-١٩٢٢)، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٠٩. / أنظر زين زين : المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٣) عبد العزيز نوّار : وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث (١٥١٧-١٩٢٠)، بيروت، ١٩٧٤، ص ٥٤٠-٥٤٢.

ويبدو أن إعلان الإستقلال التام للجبل عام ١٩٢٠م، جاء رداً على قرارات مؤتمر "سان ريمو" واستفراد الفرنسيون بالسيطرة على كل المرافق الإنتاجية في لبنان واستثمارهم بها حتى على حساب أنصارهم من السكان المحليين (١) ، بالإضافة إلى قطع الطريق من البداية لأي نوع من خيوط التبعية لسورية عن طريق أنصار الوحدة السورية، ومن بنود الإعلان فإننا لا نعثر على أية بنود تنص على الوحدة السورية بإستثناء بعضها الذي ينص على دراسة المسائل الإقتصادية بين البلدين، حيث يظهران هناك تقارب سوري-لبناني صوري غير ملزم في المجال الإقتصادي كما أشارت بنود الإعلان إلى ضرورة إعادة ضم بعض الأراضي الساحلية إلى لبنان بالإتفاق مع سوريا، ومن هنا لا نرى أن هناك توجه سوري-لبناني على أثر إعلان قرارات "سان ريمو" وسير الأحداث التاريخية منذ عام ١٨٦١م، على الأقل يرجح ذلك، وليس كما يرى عبد المنعم شعيب في أن سكان الجبل أيقنوا أن التعامل مع حكومة فيصل أجدى لهم من الإنتداب الفرنسي، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا ما يشير إلى ذلك صراحة في البنود التي تضمنها إعلان الإستقلال وهي :

- إستقلال لبنان التام المطلق.
- حيادة السياسي بحيث لا يُحارِب ولا يُحارَب ويكون بمعزل عن كل تدخل أجنبي.
- إعادة المناطق الساحلية إلى لبنان بموجب إتفاق بين لبنان وسوريا.
- دراسة المسائل الإقتصادية عن طريق لجنة مؤلفة من الطرفين.
- يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول الصديقة للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمان أحكامها. (٢)

بقي أن نقول أن لبنان أراد أن يأخذ ولا يعطي حسب هذه القرارات التي لا تخدم الوحدة السورية بشيء سوى إنتقاص بعض الأجزاء من سورية وضمها من أجل تكبير لبنان، وبعض المسائل الإقتصادية التي تعوض ما فقدوه بسبب الإستئثار الفرنسي على كل شيء في الجبل ولذلك نرى أن الإستقلالية اللبنانية عن أي إتصال آخر بالعرب والعروبة لا زال موجوداً في ذلك الوقت. خاصةً أن هذا الإعلان لم يصدر عن البطريرك الماروني ولا عن رئيس مجلس إدارة الجبل حبيب باشا السعد ولا عن المطران عبدالله الخوري، بل جاء من قبل موظفين صغار في إدارة الجبل سرعان ما إعتذر عن تصرفهم هذا رئيس مجلس الإدارة في الجبل والبطريرك

---

(١) علي عبد المنعم شعيب : المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢) عبد العزيز نوار، المصدر نفسه، ص ٥٤١-٥٤٢. / انظر بشارة الخوري : ج١، المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

الماروني أنصار الكيان اللبناني الذين يميلون لفرنسا لدى السلطات الفرنسية هذا عدا عن التهم التي وجهت لأصحاب هذا الإعلان الذين تقاضوا مبلغ ١٥٠٠ ليرة مقابل التقارب السوري يقال أنها أتت من الحكومة الفيصلية في دمشق مما يدعم رأينا. (١)

ولذلك عاد أنصار الكيان اللبناني يهتفون لفرنسا بعد أن أعلن الجنرال "غورو" إستجابة السلطات الفرنسية لمطالب وفود متصرفية جبل لبنان الخاصة "بتكبير لبنان" بضم المناطق الساحلية إليه ليصبح لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، في جو من الفرحة والسرور لأنصار الكيان اللبناني ولبنان الكبير الذين أعتبروا ذلك نصراً لتوجهاتهم وجهودهم المستمرة في هذا الشأن، في حين شكل قرار الضم هذا صدمة قاسية ومؤلمة لسكان هذه المناطق التي الحقت بلبنان الصغير "جبل لبنان" الذين عرفوا بتوجهاتهم الوحدوية الداعية لضم لبنان إلى الوحدة السورية ومعارضة الكيان اللبناني وسياسة الإلحاق والتجزئة، إلاّ أن ذلك لم يقض على آمالهم بالإتحاد مع سوريا حيث إستمروا في الإحتجاج وعدم الإنسجام داخل لبنان الكبير بالرغم من الامر الواقع الذي فُرض عليهم آنذاك وسنتناول هذا الموضوع لاحقاً في سياق حديثنا عن الإتجاه السوري في هذا الفصل.

وخلال فترة البحث ظهرت الإتجاهات السياسية اللبنانية التالية :

الجمعيات والأحزاب اللبنانية ذات التوجه اللبناني قبيل الإنتداب الفرنسي ١٩١٨-١٩٢٠

لم يكتف أنصار الكيان اللبناني المستقل بالوفود الشعبية التي كانت تحج إلى باريس من أجل المطالبة بإستقلال لبنان الأعزل في المنطقة، بل شهدت هذه الفترة ظهور العديد من الاحزاب والجمعيات والحركات السياسية سواء داخل لبنان أو خارجه في بلدان المهجر للسير على نفس المنوال الذي يطالب بلبنان ككيان مستقل متميز عن المنطقة العربية التي يعيش فيها دينياً وثقافياً وحضارياً بل وعريقاً أحياناً، كان لها وزنها على مستوى المثقفين وعلى مستوى القاعدة الشعبية التي غلب عليها الطابع الديني المسيحي (٢) ، لتقف في وجه التيارات الداعية للإتجاهات الوحدوية والقومية العربية، التي تعارض الكيان اللبناني وتطالب بإلحاقه بسوريا الام، وقد إستغلت هذه

---

(١) أنيس النصولي : عشت وشاهدت، بيروت ، ١٩٥١م، ص ٤٩. / انظر زين زين : ص ١٦٧.

(٢) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ١٠١.

الحركات الإنفصالية الصراع الدولي على المنطقة واعتمدت على فرنسا حليفتها التقليدية في تنفيذ أهدافها مؤثرة ومتأثرة بصنّاع القرار السياسي في فرنسا الذين تلاقت أهدافهم الإستعمارية مع أهداف الفئات اللبنانية المسيحية التي عملت فرنسا نفسها على خلق هذه الفئات وإدخالها ضمن إطار السياسة الفرنسية منذ سنوات طويلة إبتدأت منذ عام ١٨٤٢م، مروراً بعام ١٨٦١م وما بعده.

فقد ظهر في هذه الفترة عدة جمعيات واحزاب لبنانية تُطالب بإستقلال لبنان مع إختلاف فيما بينها في ترشيح الدولة المنتدبة أو عدمها، ومن أهم هذه الجمعيات التي ظهرت في هذه الفترة :

١- حزب الإتحاد اللبناني :

يعتبر حزب الإتحاد اللبناني من الأحزاب التي لعبت دوراً هاماً في طرح المسألة اللبنانية بأفق إستقلالي قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها وبعدها، فمن المعروف أن هذا الحزب تأسس في القاهرة في سنة ١٩٠٩م (١) ، من جملة من الأحزاب والجمعيات السياسية السورية-اللبنانية التي ظهرت في مصر في تلك الفترة وأخذت تطالب بإستقلال لبنان وضم المناطق الساحلية له بمساعدة فرنسا في ذلك الوقت، ويظهر أن الحزب فيما بعد وفي الفترة الواقعة ما بين ١٩١٨-١٩٢٠، كان قد غيّر برامجه وطورها فقد بذل الحزب في هذه الفترة نشاطاً بارزاً لطرح المسألة اللبنانية لدى مؤتمر الصلح ودول الحلفاء وعصبة الأمم المتحدة، حيث توالت البرقيات والمذكرات من مقر الحزب في القاهرة وفروعه الأخرى في الإسكندرية ومصر والأرجنتين وفنزويلا وفي لبنان نفسها إلى مؤتمر الصلح وعصبة الأمم للمطالبة بإستقلال لبنان إستقلالاً تاماً تحت ضمانة الدول الأوروبية. (٢)

وتتلخص مبادئ الحزب وأهدافه في المذكرة التي رفعها رئيس الحزب آنذاك أوغست أديب باشا وسكرتيره العام إنطوان الجميّل إلى فرع الحزب في باريس في شباط ١٩١٩م، لعرضها على مؤتمر الصلح، والتي جاء فيها : "فلما سمحت الأحوال أعلنا برنامجنا السياسي قبل

---

(١) بشارة الخوري : المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢) كان رئيس الحزب اسكندر عمون حتى بداية الحرب العالمية الاولى / أنظر عصام خليفة : المصدر نفسه، ص ١٠٤

كل جمعية وجاهرنا بطلب إستقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول أو عصبة الامم التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الشعوب الصغيرة بعد إنالتها حقوقها، وإذا كان كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الإستقلال والإنعتاق من السيادة، أليس ذلك أحرى باللبنانيين الذين ما برحوا متمتعين على كرّ الدهور بإستقلالهم الإداري أو التام فيطلبوا ذلك الإستقلال الآن – بعد تقلّص السيادة التركية – كاملاً خالصاً من كل نقص حفظاً لتقاليدهم وصيانة لقوميتهم ..." (١)

وهكذا طالب الحزب "بإستقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية طارحاً صيغة جديدة هي "ضمانة الدول الكبرى" للإستقلال بديلاً عن صيغة الإنتداب التي نادت بها وفود جبل لبنان إلى مؤتمر الصلح. على إعتبار أن لبنان كان قد عهد الإستقلال منذ ١٨٦١م، وبضمانة وشهادة الدول الكبرى نفسها، فهو حري اليوم أن يحكم نفسه بنفسه بضمانة هذه الدول لا بالإنتداب (٢) ، ولذلك احتج هذا الحزب على الإنتداب الفرنسي وعارضه بشدة كما انتقد الوفود اللبنانية على أنها لا تمثل كل أبناء لبنان خاصة وان هناك ما يقرب من ٣ مليون لبناني في المهجر (٣) ، عدا عن أن صلاحيات مجلس إدارة الجبل هي بحكم الملغاة لأنها من رواسب الماضي وفترة ما قبل الحرب وأن قراراته شخصية تمثل فقط الأشخاص الذين رفعوها لمؤتمر الصلح ولا تمثل كل أبناء الشعب اللبناني الذي لم يفوضهم صراحة بذلك وإن ما ينادون به ما هو إلا إستقلال إداري وليس إستقلال بلاد تسعى لنيل حريتها وكرامتها بمعزل عن الإستعمار والإنتداب، وأي حق هذا الذي يخول لهم التصرف في شؤون لبنان والمجلس كان قد إنتهت مدته منذ زمن ؟.

ومهما قيل عن هذا الحزب من أنه قام بمساعدة الإنجليز، إلا أنه على الأرجح من أفضل الأحزاب اللبنانية التي طرحت مسألة لبنان الإستقلالية، حيث أراد الحزب أن يذوب عملية الإنتداب في شكل ضمانة الدول الكبرى كأفضل وسيلة للتخلص من الإنتداب الفرنسي المباشر وغيره الذي كان يُلازم المنطقة كظلها في تلك الفترة، ويبدو ان هذا الحزب أيضاً وبالرجوع إلى بداياته قد تعامل مع حزب اللامركزية الإدارية العثماني الذي أسسه العرب في القاهرة سنة ١٩٠٩م (٤) ، مما يدل على فتح المجال للإتصال بسورية الكبرى، خاصةً وإنه لم يترك في برنامجه ما يسيء إلى سورية أو الإتصال بها.

---

(١) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.

(٣) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٤) بشارة الخوري : ج١، المصدر نفسه، ص ٨٢.

٢- جمعية النهضة اللبنانية :

وهي من الجمعيات السياسية التي أنشأها اللبنانيون في المهجر، فقد أسس نعوم مكرزل أحد الصحفيين والسياسيين اللبنانيين في المهجر "جمعية النهضة اللبنانية" في نيويورك عام ١٩١١م (١) ، وضمت الجمعية في عضويتها عدد من الأدباء والوجهاء والتجار اللبنانيين في الولايات المتحدة، وأخذت تعمل على الدعوة إلى قيام لبنان المستقل تحت الوصايا الفرنسية، وتولت صحيفة "الهدى" لصاحبها نعوم مكرزل، الصادرة في نيويورك باللغة هذه الدعوة، ويعود تاريخ إنشاء هذه الصحيفة إلى سنة ١٨٩٨م، وكان نعوم مكرزل قد أصدر قبلها صحيفة العصر في سنة ١٨٩٤م، وتمثلان نفس الإتجاه (٢) . ولذلك فإن هذه الجمعية طرحت المسألة اللبنانية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها كغيرها من الجمعيات اللبنانية الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة، ولكنها إختلفت مع بعض هذه الجمعيات من حيث الدولة المنتدبة، ففي حين رأت بعض الجمعيات أن تكون الوصاية على لبنان من قبل الدول الكبرى جميعها وعارضت فرنسا كدولة منتدبة على لبنان، إلاّ أن هذه الجمعية نادت بالإستقلال اللبناني تحت الوصاية الفرنسية بعد إنتهاء الحرب، بعد ان كانت في بدايتها تنادي بالمحافظة على إمتيازات جبل لبنان ضمن إطار الدولة العثمانية.

طورت الجمعية مبادئها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى وأخذت تدعو للبنان الكبير بالعودة إلى حدوده الطبيعية والتاريخية حسب الخريطة الموضوعة من قيادة الحملة الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠-١٨٦١م، وفي مؤتمر الصلح طالبت الجمعية بإحدى مذكراتها بإستقلال لبنان تحت وصاية فرنسا وحدها وورد في المذكرة : "إن جمعية النهضة اللبنانية هي جمعية وطنية سياسية وإصلاحية، هدفها الدفاع عن مصالح لبنان ونجاحه وإعادته إلى حدوده الطبيعية والتاريخية، وتأمين حكومة دستورية مستقلة له تحت وصاية فرنسا وحدها ..." (٣)

إن نشاط الجمعية المكثف في الفترة ١٩١٨-١٩٢٠م يُظهر بأن هذه الجمعية وكأنها قد نشأت فعلاً في عام ١٩١٩م، أثناء إنعقاد مؤتمر الصلح في باريس، حيث الدعم الفرنسي الكبير لنعوم مكرزل وصحيفته من أجل كسب المؤيدين لفرنسا في صفوف اللبنانيين المغتربين في أمريكا وغيرها من بلدان العالم لمواجهة المد الإنجليزي-الحجازي في المنطقة.

---

(١) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢) علي عبد المنعم شعيب : المصدر نفسه، ص ١٨.

(٣) عصام كمال خليفة، المصدر نفسه، ص ١١٢.

ومن الجمعيات والحركات السياسية اللبنانية الأخرى التي كانت تطالب بإستقلال لبنان وتكبيره "الرابطة اللبنانية في باريس" تأسست سنة ١٩١٢م، والتي كانت تطالب بإستقلال لبنان والمحافظة على إمتيازاته وإرجاعه إلى حدوده الطبيعية والتاريخية (تكبير لبنان) إبان الحكم العثماني (١) . إلاّ أنه ونتيجة لتوالي الأحداث السياسية الهامة في الفترة ١٩١٨-١٩٢٠م، زاد نشاط الجمعية وتحركاتها، وتجددت مطالبها، ويظهر أن الجمعية كانت تطالب بإستقلال لبنان التام والناجز وبدون أي وصاية أو حماية أجنبية، فقد جاء في مذكرة للرابطة لمؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ : "إن اللجنة اللبنانية تتوجه إلى عدالة وتجرد مؤتمر الصلح ليكون لها حق تقديم وجهة نظرها المطالبة بالإستقلال بالنسبة للمسألة اللبنانية، فلقد إستمع المؤتمر إلى الامير فيصل مندوب الحجاز ... كما إستمع المؤتمر لشكري غانم رئيس اللجنة المركزية السورية، والذي يحمل الجنسية الفرنسية، ويمثل وجهة النظر الفرنسية، وسمع المؤتمر أيضاً للسيد (بلس) مدير الجامعة الأمريكية في بيروت ... وسيزمّع المؤتمر أن يستمع للوفد المرسل من قبل مجلس الإدارة اللبناني، وهو الذي يمثل أيضاً وجهة النظر الفرنسية، أليس من الإنصاف أن يفسح المجال اللبناني، أمام المؤتمر لعرض وجهة النظر الوطنية في المسألة اللبنانية ؟ ..." (٢)

ومن هذه العبارات نستنتج أن هذه الجمعية طرحت القضية اللبنانية بأفق إستقلالي تام وناجز بدون أية هيمنة أجنبية سواء فرنسية أو غيرها، حيث يظهر من تأمل هذه العبارات هجومها على الوفود اللبنانية، وشكري غانم ممثل الجمعيات اللبنانية ذات التوجه السوري، الذي وصفته المذكرة على أنه فرنسي الجنسية والتوجه، ومادام كذلك فلا يحق له التحدث بشؤون لبنان واللبنانيين، وبالرغم من عدم التعرض لعلاقة لبنان بالبلاد العربية الأخرى في برنامجها فإن هذه الجمعية مادامت قد طرحت هذه القضية بأفق إستقلالي رافض للهيمنة الفرنسية وغيرها، فإنها أقرب إلى وضع صيغة للتعايش مع العرب ضمن شروط إستقلال لبنان وديمقراطية وإستقلال القضية العربية هي الاخرى من الهيمنة الخارجية. (٣)

---

(١) عصام كمال خليفة ، المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٢) Archives DU Ministere Dess Affaires Etrangetes, E- Levant Volume 9, Syria-Liban-Cilicie, P. 161.

وسنرمز لها فيما بعد (A. E. , V. ,) عن عصام كمال خليفة أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.

وفي إطار التيار المسيحي المتشدد في دعوتـه إلى الإستقلال اللبناني عن أي نـوع من الوحدة مع الداخل السـوري، قـامت حركـة شـعبية مسيحية واسـعة فـي ربيـع سنة ١٩١٩م (١) ، خاصة بعد عودة الأمير فيصل بـن الحسين مـن بـاريس وإعلانـه فـي دمشـق أن الحلفـاء أذعنـوا لمطالبه بإستقلال سوريا الطبيعية ووحدتها، وللوقوف في وجه هذه الإدعاءات والخوف مـن نفوذ القوى الداعيـة إلـى الوحـدة السـورية فـي مؤتمـر الصلـح قـام سكان جبل لبنـان برفـع البرقيـات والمذكرات المتتالية وبشكل مبالغ فيه إلى وزارة الخارجية الفرنسية وإلى مؤتمر الصلـح مطـالبين بالإستقلال اللبناني وعدم دمجه بسواه من المناطق السوري، وإستعادة لبنان لحدوده الطبيعية تحت الحماية الفرنسية.

كما ظهرت في هذه الفترة روابط وحركات سياسـية أخـرى كـانت تنـادي بإسـتقلال لبنـان تحت ضمانة الدول الكبرى، خاصة بعض الجمعيـات اللبنانيـة التـي ظهـرت فـي القـاهرة كرابطـة "لبنان الفتى"، التي حذت حذو جمعية الإتحاد اللبناني في طرح المسألة اللبنانية الإستقلالية كصيغة جديـدة تتمثـل فـي إسـتقلال لبنـان تحـت ضمانـة الـدول الكـبرى، وليـس إنتدابهـا أو تفـرد إحداهـا بالإنتداب وكانت تعارض الإنتداب الفرنسي وترفضه. (٢)

الإتجاه الوحدوي السوري :

عرفنـا ممـا تقدم كيـف تجـاوبت الاكثريـة الإسـلامية وقسـم مـن الطوائـف المسـيحية الأرثوذكسية والبروتستانتية مع الحكم العربي في دمشق وإعلانهم التبعية له كنتيجة للهدف الذي قامت من أجله الثورة العربية ضد السلطنة العثمانية، إبتـداءاً مـن ١ تشـرين أول ١٩١٨م، تـاريخ تشكيل الحكومة العربية في بيروت بإسم الأمير فيصل بن الحسين، حيث ألّفوا أول حكومـة لهـم، وحرصوا على ان يساووا النصارى معهم رغم قلّتهم في بيروت، وأحتفل بهذه المناسبة من قبل الجميع في بيروت، فألقيت الكلمات ورفعت الشعارات واللافتات التي تؤيد الوحدة والتآخي العربي الإسلامي-المسيحي، وأشـاد النصـارى بحكـم العـرب ودعوهـم "بـأعدل الفـاتحين" فـي حيـن رفـع المسلمون شعار "العرب قبل موسى وعيسى ومحمد". (٣)

---

(١) بشارة الخوري : المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٢) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ٣٤٥.

(٣) حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ٥٢.

وعلى أثر ذلك تشكلت حكومات محلية في العديد من المدن اللبنانية وسط ترحيب شعبي في صيدا وصور وجبل عامل (١) ، محددين رأيهم وموقفهم من القوات الأجنبية في المنطقة حيث ألقى رياض الصلح رئيس حكومة صيدا أمام قائد قوات الحلفاء في صيدا خطاباً يبين وجهة نظر الأهالي في مهمة القوات الأجنبية قائلاً : "إننا لا نستقبلكم كغزاة فاتحين بل كضيوف عابرين. إننا نعرف تماماً معنى الضيافة وحدودها وواجباتها، وبقي أن يعرف الضيف معنى تلك الضيافة وحدودها وواجباتها" (٢) ، وبهذه العبارات القليلة يتضح لنا مدى إدراك العرب الوحدويون لمخططات الدول الإستعمارية وسياستها في المنطقة، كما حرص الأمير فيصل على مشاركة اللبنانيين في حكومته حيث عمل على توزير لبناني في الحكومة العربية وهو رضا بك الصلح، كما حرص على تعيين أعضاء لبنانيين في مجلس الشورى كان منهم أحمد مختار بيهم والفرد سرسق عن بيروت، وغيرهم. (٣)

وبالرغم من إنتهاء مظاهر الحكم العربي في بيروت عام ١٩١٨م، وبقية المناطق اللبنانية التابعة للحكومة العربية في دمشق، وإقامة حكومات موالية لفرنسا، إلاّ أن المسلمين وأصحاب التوجه الوحدوي السوري بقوا على تمسكهم بالوحدة والإتصال رغم كل الظروف الصعبة التي كانوا يمرون بها، فوقفوا بكل صلابة أمام أنصار الكيان اللبناني المسترسل في حب فرنسا والولاء لها، أمام الضغوطات الفرنسية المستمرة التي تحاول القضاء على كل فكرة من شأنها الدعوة للوحدة ومحاربة الإقليمية والطائفية بل راحت فرنسا تغذي مثل هذه العوامل الإنقسامية.

وفي خضم الصراع البريطاني الفرنسي على سورية وتناقض الإتجاهات العربية في مؤتمر الصلح ما بين مؤيد للوحدة ومعارض لها وفي إطار مساعي الامير فيصل بن الحسين الوحدوية في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م، كانت الأكثرية الساحقة من المسلمين والأرثوذكس في لبنان تساند هذا الموقف وتدعمه، إلاّ أنه يظهر ثمة خلاف بين الداعين إلى الوحدة المشرقية أو لسورية، ويبدو أن فرنسا وإنكلترا بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية كانت وراء هذه الإختلافات المغايرة نسبياً لمشروع الأمير فيصل الداعي لإتحاد سورية مع الدولة الحجازية (٤) ،

---

(١) محمد جابر آل صفا : المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) علي شعيب : المصدر السابق، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢-١٣.

(٤) عصام خليفة : المصدر نفسه، ص ٧٦. / أنظر حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ٥٠.

فقد أيد البعض الإتحاد السوري دون الإتصال بالحجاز، مع إختلافهم في ترشيح الدولة المنتدبة على سوريا حيث طرحت كل من فرنسا وبريطانيا وأمريكا، وهذا ما لا يمكن تحقيقه حيث لا بد من الإنتداب، لان العرب لن يُتركوا وشأنهم في هذه الظروف ولانهم لا يستطيعون فرض أو تحقيق ما يريدون بشأن وطنهم ومستقبلهم، لأنهم منقسمين على أنفسهم ووجود انصار مؤيدين بحماس للإنتداب الفرنسي الذي تربطهم به روابط إقتصادية ودينية وثقافية.

وفي هذا الصدد نشطت السياسة الفرنسية على حمل السوريين لتأييد الحماية الفرنسية على سوريا وذلك بدعم أنصارها اللبنانيين من أصحاب التوجه السوري للإتصال بالسوريين واللبنانيين المغتربين في المهجر للترويج للإستقلال السوري تحت الحماية الفرنسية عن طريق الصحف والمجلات (١) ، وقد واجهت هذه الحملة حملة أخرى مضادة لها من قبل بعض السوريين واللبنانيين الذين يناهضون الإنتداب الفرنسي ويدعون لضم سوريا إلى دولة عربية شريطة الفصل بين الدين والسياسة ومحاربة التمييز العرقي والطائفي، ومثلت هذا الإتجاه الوحدوي جريدة البيان التي أصدرها الصحفي سليمان بدور في الولايات المتحدة عام ١٩١٩م، وصحيفة "سوريا المتحدة" (٢) ، التي أصدرها يوسف شموني باللغة العربية في المكسيك عام ١٩١٩م، هذا عدا عن الأحزاب والجمعيات ذات التوجه السوري التي سنتحدث عنها لاحقاً.

وكذلك جاءت النتائج التي تمخضت عن لجنة الإستفتاء الأمريكية التي عُرفت بلجنة "كنغ-كراين" في حزيران عام ١٩١٩م، لتؤكد أن الأغلبية الإسلامية مع بعض الطوائف المسيحية الأرثوذكسية والبروتستانتية تؤيد إتحاد لبنان مع سوريا وترفض الإنضمام إلى جبل لبنان والإنتداب الفرنسي، ويُجمل حنّا خبّاز وهو من المعاصرين لتلك الأحداث النتائج المتمخضة عن هذه اللجنة في لبنان على الشكل التالي : "في لبنان الأصلي الصغير فالأكثرية مخلصة لفرنسا معارضة للإنجليز، وأما في المناطق الأخرى التي يراد ضمها إلى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس، فإن فيها أكثرية تعترض على الحكم الفرنسي وتقاومه، ويدخل في هذه الأكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين، وقسم من الأرثوذكس، وطائفة البروتستانت

---

(١) علي شعيب ، المصدر نفسه، ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.

فأكثر هؤلاء يريدون أمريكا أولاً وإنجلترا بالدرجة الثانية. والأكثرية في باقي المنطقة الغربية إلى شمال لبنان الكبير المراد إنشاؤه هي ضد الوصاية الفرنسية في كل الاحوال". (١)

وبقدر ماكان أصحاب التيار اللبناني متمسكين بمطلب الإستقلال والحماية الفرنسية، كان المسلمون والمسيحيون الوحدويون في لبنان يتمسكون بمطلب الوحدة مع سورية، فعند وصول الأمير فيصل إلى بيروت في نيسان عام ١٩١٩م، إجتمع به وجهاء المنطقة ومن لهم صفة التمثيل الشعبي وأظهروا حماسهم وتأييدهم للأمير فيصل وخولوه أمور بلادهم، فقد خاطبه بعضهم قائلاً : "يا سمو الأمير، إننا جميعاً نفديك ونضحي في سبيلك" والبعض الأخر قال : "من الأفضل أن نترك لك تقدير ما تراه مناسباً لأنك أعلم الجميع بما يجري في الجهر والخفاء، فافعل بما يوحيه إليك ضميرك لمصلحة البلاد" (٢) ، وتظهر مثل هذه المواقف المؤيدة للأمير فيصل في الإجتماع الذي عقده في بهو دار الحكومة العربية في دمشق في ٥ أيار عام ١٩١٩م مع الوفود المختلفة من انحاء سورية الكبرى بعد عودته من باريس، فاغتنم الفرصة ليأخذ موافقة هذه الوفود على أستمرار مهمته وتمثيلهم في مؤتمر الصلح ودوائر السياسة الأوروبية المختلفة وإدارة سياسة البلاد الداخلية والخارجية، وخاطبه أبناء لبنان الوحدويون بهذه العبارات، فقد قال رضا الصلح وهو مسلم سني من بيروت : "إن الامة العربية تعتمد سموك"، وقال موفد صيدا رياض الصلح (مسلم سني) : "إن آمال الامة العربية معلقة على سموك وهي تفديك بأرواحها ودمائها"، وخاطبه موفد بعلبك سعيد باشا سليمان : "إن عموم أهالي قضاء بعلبك تحت أمرك"، وقال موفد إقليم الخروب إبراهيم أفندي الخطيب : "فوضناك أن تكون سلطاناً، وأن جبل لبنان جزء متمم لسوريا لا ينفصل عنها"، وخاطبه الأمير سعيد الأيوبي موفد مسلمي لبنان بشكل عام : "تفوض سموك التفويض التام للإستقلال التام"، أما موفد الدروز مصطفى بك العماد فقد قال : "توكلك وكالة مطلقة فكل ما تراه حسن فهو حسن". (٣)

وفي الأوساط المسيحية الوحدوية خاطب بطريرك الروم الكاثوليك الامير فيصل قائلاً : "كما تأمرون سموكم، فأمروا ما تشاؤون"، وقال بطريرك الروم الأرثوذكس : "بيننا وبين سموكم إتفاق في هذه القاعة على شرائط معدودة، لا تبرح من ذاكرتكم الشفافة، فنحن عليه

---

(١) حنا خباز : المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢) حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٣) ساطع الحصري : يوم ميسلون، بيروت، ١٩٤٨، ص ٢٠٩-٢١٠.

راسخون" (١) ، أما مطران السريان الكاثوليك وبطريرك الروم الكاثوليك فقد أيدوا ما جاء على لسان بطريرك الروم الأرثوذكس. وكان مطران السريان القديم أشدهم تأييداً لفيصل فقد قال : "أقول بلسان السريان في سوريا أنها طوع أمرك، نبايعك بقلوبنا ونعتمد عليك". (٢)

ويبدو هذا التأييد المطلق لمواقف الأمير فيصل بن الحسين الهادفة إلى الإستقلال والوحدة تعبيراً عن التوجه الوحدوي لإبناء لبنان الذين لا يشك في إتجاهاتهم الوحدوية خاصة المسلمين والطائفة الأرثوذكسية من المسيحيين، الذين إرتبطوا بالداخل السوري وتبعوا لها أحياناً أيام الحكم العثماني وتشكيلهم إمتداد للداخل السوري، عدا عن إدراكهم لحقيقة السياسة الفرنسية الإستعمارية وأنصارها الموارنة في جبل لبنان.

ولتأكيد مواقفهم هذه وتبعاً للتطورات المحلية والدولية على صعيد المسألة اللبنانية، عقد سكان الساحل (بيروت، طرابلس، صيدا، صور، مرجعيون) والأقضية الأربعة التابعة لها (حاصبيّا، راشيا، بعلبك، المعلقة) عدة إجتماعات في الفترة الممتدة من حزيران عام ١٩١٩م، إلى تموز من نفس العام، قرروا فيها التداول بشأن مسألة الوحدة السورية وإنتخاب مندوبين رسميين لهذه الغاية لتمثيلهم في المؤتمر السوري العام المنوي عقده في دمشق آنذاك. وفي آخر إجتماع لهم في ٢٢ تموز عام ١٩١٩م، تم إنتخاب عشرة مندوبين عن بيروت وأربعة عشر آخرين عن مختلف المناطق والطوائف اللبنانية الأرثوذكسية والبروتستانتية كأعضاء في المؤتمر السوري العام (٣) ، ومما يلفت النظر الحضور المميز لأبناء الطوائف المسيحية غير المارونية في المؤتمر ومطالبهم الداعية لوحدة البلاد العربية والإستقلال التام عن القوى الأجنبية، وحفزهم مع إخوانهم المسلمين اللبنانيين في المؤتمر على حمل المؤتمر لإرسال مذكرة إلى مؤتمر الصلح في باريس إحتجاجاً على تقمص البطريرك الماروني وتحدثه بإسم جميع اللبنانيين ومطالبته بفصل لبنان عن سوريا، وجاء في مذكرة الإحتجاج هذه التي أصدرها المؤتمر في ١٠ آب ١٩١٩م : "إن الطائفة المارونية التي يزعم غبطة البطريرك أنه يتكلم بإسمها ليست إلاّ الأقلية في لبنان الكبير المزعوم، وأن قسماً كبيراً منها لا يوافق غبطته في رأيه، كما أن سائر الطوائف الممثلة في مؤتمرنا هذا ترفض بتاتاً فصل لبنان عن سوريا ولا حياة للبلاد السورية إلاّ بوحدتها السياسية فحياتها

---

(١) محمد جميل بيهم : سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠. / أنظر ساطع الحصري : المصدر نفسه، ص ٢١٠.

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى، ج٢، مصر، د.ت.، ص ٤٨.

الإقتصادية تستلزم إتصال البلاد الداخلية بمرافئ الساحل وتسهيل تجارة الساحل في الداخل ...". (١)

لم تكن التوجهات السياسية اللبنانية في تلك الفترة تأخذ طابعاً طائفياً بحتاً، إلاّ أنه يمكن القول أن الموارنة في جبل لبنان على الأغلب هم الذين مثّلوا الإتجاه اللبناني الداعي لفصل لبنان عن سوريا بالإضافةً إلى قلة لا يُعتد بها من المسلمين ذات مصالح إقتصادية مرتبطة بفرنسا، أما الأكثرية الإسلامية بطوائفها المختلفة فقد مثّلت الإتجاه الوحدوي والعروبي وشاطرهم في ذلك قسم من الطوائف المسيحية الأرثوذكسية والبروتستانتية (٢) ، التي وقفت هي الأخرى أيضاً ضد الموارنة وأنصار التيار اللبناني المعادي لتيار الوحدة.

وبالرغم من توصلنا إلى وجود إتجاهين رئيسيين في لبنان في تلك الفترة الحاسمة من تاريخه، إتجاه وحدوي عربي، وإتجاه إستقلالي إنفصالي خاص بلبنان، إلاّ أننا نلحظ أيضاً إنقسام هذه الإتجاهات على نفسها، حيث إختلف الوحدويون مثلاً على مسألة الوحدة. وهل هي الوحدة السورية ؟ أم الوحدة العربية والإرتباط مع الحجاز ؟ كما إختلفوا بشأن الدول المنتدبة فقد طرحت كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية كدول منتدبة إذا كان لا بد من الأمر، في حين رفضت بعض الفئات الإنتداب الأجنبي بأي وسيلة وأياً كان. (٣)

وقد واصل كل من الوحدويون والإنفصاليون والدول الأوروبية إهتماماتهم بالمسألة اللبنانية والمسألة السورية بشكل عام في دوائر السياسة الأوروبية ومتابعة كل منهم لمطالبه وتوجهاته، فعلى أثر قرارات المؤتمر السوري العام في ٨ آذار عام ١٩٢٠م، الذي أجمع على (٤) : "إستقلال سوريا إستقلالاً تاماً بحدودها الطبيعية بما فيها فلسطين، دون أن يكون فيها لليهود وطن قومي، كما قرر المؤتمر مبايعة الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوررية بكامل أجزائها" اعلن جبل لبنان مظاهر الإستقلال للجبل ورفع العلم اللبناني على دار الحكومة وهو العلم

---

(١) جورج أنطونيوس : المصدر السابق، ص ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

(٣) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، ج١، المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٤) يوسف الحكيم : سوريا والعهد الفيصلي، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

الفرنسي المثلث الألوان وعليه أرزة، في آذار عام ١٩٢٠م، إحتجاجاً على قرارات المؤتمر السوري العام الذي إعتبروه تدخلاً في شؤون لبنان وتعرضاً لكيانه وحدوده. (١)

ونتيجة لهذه التطورات على الساحة السورية وقرارات المؤتمر السوري العام والتحرك الماروني المناهض لها في مؤتمر الصلح، إعتبرت الدول الأوروبية المشاركة في مؤتمر الصلح أن قرارات المؤتمر السوري العام بمثابة تحدياً صريحاً لها ومخالفة لقراراتها، خاصة فرنسا وبريطانيا اللتين دعتا دول المجلس الأعلى للحلفاء لعقد مؤتمر "سان ريمو" في أيار عام ١٩٢٠م، الذي أسفر عن وضع سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي، ووضع فلسطين والأردن والعراق تحت الإنتداب البريطاني، لتبدأ مرحلة جديدة من النضال الوحدوي بعد تكشف زيف الشعارات الفرنسية والبريطانية في المنطقة العربية. (٢)

أدى تجاهل مؤتمر "سان ريمو" لتطلعات الشعب العربي في سوريا ولبنان بالإستقلال والوحدة إلى إستمرار المواجهة وحرب العصابات التي بدأت مع دخول الجيش الفرنسي وبخاصة في منطقة جبل عامل المعروفة بتوجهاتها الوحدوية، حتى أن هذه المواجهة شملت أنصار الكيان اللبناني المؤيدين لفرنسا (٣) ، وأستغل الأمير فيصل وأنصاره الوحدويون هذه الفرصة للإتصال ببعض الشخصيات اللبنانية في مجلس إدارة جبل لبنان من اجل التقارب السوري-اللبناني حيث إتصل بعض الزعماء السوريين بأعضاء من إدارة الجبل في ١٥ نيسان عام ١٩٢٠م، وعقدوا إجتماعاً أعلنوا فيه لإستقلال لبنان التام المطلق مع إشارات للتقارب مع سوريا، إلاّ ان ذلك لم يتم بسبب تدخل السلطات الفرنسية وإعتقال ونفي هؤلاء الخونة على حد تعبير "غورو". (٤)

لم يكن الأمير فيصل بن الحسين وحده صاحب المشروع الأساسي الداعي الى وحدة سوريا في الفترة الواقعة بين (١٩١٨-١٩٢٠)، حيث برزت بعض التيارات الوحدوية الأخرى

---

(١) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام، ج٢، المصدر نفسه، ص ٣١٥. / أنظر زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط، المصدر نفسه، ص ١٥٤. / أنظر علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٢٤

(٢) أنيس صايغ : لبنان الطائفي، بيروت لبنان، ١٩٥٥م، ص ١٤٢.

(٣) علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٤) حنا خباز : فرنسا وسورية، المصدر نفسه، ص ١٨٢. / أنظر أنيس النصولي : عشت وشاهدت : المصدر نفسه، ص ٤٨

ولكن على أسس وتصورات مغايرة نسبياً لمشروع الأمير فيصل، تمثلت في العديد من الجمعيات والحركات السياسية اللبنانية والسورية التي ظهرت في تلك الفترة، ومن هذه الجمعيات والحركات:

أ) اللجنة المركزية السورية

نظراً لتخوف فرنسا من السياستين البريطانية والأميركية في المنطقة العربية، لوجود أنصار ومؤيدين لكل منهما، فقد اوعزت السلطات الفرنسية الى انصارها في المشرق العربي وفي بلدان الإغتراب للعمل على كسب اكبر عدد من المطالبين بالحماية الفرنسية على المنطقة (١) ، وفي هذا الإطار نفسه ظهرت اهتمامات فرنسا بالمغتربين اللبنانيين والسوريين، وكان من البديهي العمل على انشاء حزب سياسي يهتم في المهجر وفي البلاد السورية بمصالح فرنسا وسياستها التي ترسم معالمها غرف التجارة الفرنسية في ضوء مصالحها الإقتصادية. (٢)

وقد بذرت فرنسا بذورها بهذا الشأن منذ سنوات لتجد نفسها تقطف ثمار سياستها السابقة في كسب المؤيدين والأنصار واستغلالهم وقت الحاجة لمؤازرة سياستها واعطائها طابعاً شرعياً من قبل هؤلاء الأنصار كبرهنة على تدخلها في المنطقة، ولذلك عملت فرنسا على دعم انصارها في انشاء "اللجنة المركزية السورية" قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، لتجدها جاهزة للعمل حسب البرمجة الفرنسية وفي الوقت المناسب، ولهذا نجد صوت هذه الجمعية يرتفع في باريس في وجه المشروع الوحدوي العروبي الذي نادى به الأمير فيصل بن الحسين ويدعو لإتصال سوريا بالحجاز، حيث تتهم فرنسا بريطانيا على انها تقف وراء هذا المشروع "الإنجليزي-الشريفي" (٣) على حد تعبير الدبلوماسيين الفرنسيين.

---

(١) توفيق فضل الله ضعوق : في وحي السبعين، ١٨٨٣-١٩٥٣، منشورات مطابع صادر وريحاني، بيروت، ١٩٥٣م، ص ٢١٢.

(٢) عصام كمال خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٣) زين نور الدين زين : "الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص ١٠٤ / انظر حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ٧٤.

وقد تمثلت اهداف الجمعية او اللجنة السورية المركزية في :

- ضم المهاجرين (السوريين واللبنانيين) الى فرق الشرق.
- بث الدعاية المؤيدة لفرنسا في الأوساط السورية بأميركا.
- العمل لوحدة السوريين الموجودين في أوروبا واميركا ومصر بغض النظر عن العرق والدين.
- تأمين الوحدة السورية.
- مساعدة الصديقة فرنسا من خلال وصايتها على كامل سوريا. (١)

وفي مهرجان أُقيم في أحد أوتيلات باريس شارك فيه خطباء سوريون وفرنسيون، تم التأكيد فيه على ان لسوريا الحق بأن تصبح أمّة مستقلة ضمن حدودها التاريخية، دون تفتيت ودون استعباد، وان يكون لفرنسا وحدها حق الإنتداب عليها. (٢)

وقد انبثق عن اللجنة المركزية السورية في باريس عدة فروع تابعة لها في مختلف انحاء العالم، حيث عملت اللجنة على التنسيق مع وزارة الخارجية الفرنسية في انشاء عدة لجان لبنانية-سورية في مصر (القاهرة، الإسكندرية، طنطا، المنصورة) وفي العديد من الولايات الأمريكية والبرازيل والأوروغواي وغيرها من بلدان العالم وفي لبنان نفسها (٣) ، فقد تشكلت في مصر آذار ١٩١٨ اللجنة اللبنانية السورية في القاهرة وتبعها فروع أخرى كما تقدم، وفي الولايات المتحدة تشكلت رابطة سوريا-جبل لبنان للتحرير في مدينة نيو يورك، واللجنة السورية- اللبنانية في البرازيل، وقد جاءت اهداف ومبادئ هذه التنظيمات واللجان الفرعية مطابقة في الغالب لبرامج واهداف السياسة الفرنسية. فقد كان شكري غانم رئيس اللجنة في باريس هو الذي يتولى تقديم مطالب هذه الجمعيات اللبنانية الداعية لوحدة سورية تحت الحماية الفرنسية وتمثيلها امام مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م. (٤)

وتتلخص مطالب هذه التنظيمات في وحدة البلاد السورية واستقلالها تحت الإنتداب الفرنسي وضمانته وارشاده، والوقوف في وجه محاولات الأمير فيصل الوحدوية ومطالب الوفود

(١) وثائق فرنسية منشورة تحت رمز (A. E., V. P ١٦١) عن عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٢) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٣) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ١٨. / أنظر وجيه كوثراني : الإتجاهات الاجتماعية والسياسية، المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٤) عصام كمال خليفة : المصدر نفسه، ص ٨١.

اللبنانية الخاصة باستقلال لبنان، واعتبار سوريا وحدة جغرافية واثنية واحدة تختلف عن المحيط العربي الذي تقع فيه، بل انها نفت العروبة عن سوريا، ودعت الى رفض اي شعار عروبي خارج نطاق سوريا، بل وادعت ان السوريين غير عرب وان اللغة العربية فرضت عليهم وبذلك فهي لا تدلل على عروبة سوريا. (١)

ويلاحظ هنا ان انطون سعادة مؤسس "الحزب القومي السوري الإجتماعي"، ربما قد اطلع على برامج هذه الجمعيات وتأثر بها. وكما يلاحظ من قوائم المؤسسين والاعضاء، ان هذه اللجان غلب عليها الطابع الطائفي المسيحي بشكل كبير جداً، مع التلميح أحياناً في بعض اللجان الى خاصية لبنان ضمن الوحدة السورية، وهنا نتساءل عن دور السياسة الفرنسية المزدوج في تعامله مع انصار الكيان اللبناني وانصار الوحدة السورية الذين يطالبون بالحماية الفرنسية نفسها. حيث احترام الوفود اللبنانية التي تمثل الجبل وتطالب باستقلال لبنان لوحده، واحترام شكري غانم أيضاً الذي يمثل الاتجاه السوري-الفرنسي ودعم فرنسا لكليهما والإيعاز لهما بتشديد مطالبهم، الأمر الذي يقودنا للإعتقاد بان فرنسا كانت تريد السيطرة على كل سوريا وتأكيد سياستها في المنطقة وزيادة اسلحتها السياسية امام الدول الأوروبية المشاركة في المؤتمر حيث عملت على استمالة الطرفين الذين يطالبان بالحماية الفرنسية التي تأتي بصفة اكثر شرعية بهذه الطريقة وكذلك حرصاً منها على مراعاة شعور المسلمين الذين يميلون للوحدة، ولذلك نراها تلعب على الوتر اللبناني والوتر السوري في وقت واحد.

ب) الحزب الوطني الديمقراطي

رفع لواء الدعوة السورية "الحزب الوطني الديمقراطي"، الذي أسسه الدكتور خليل سعادة وترأسه في الأرجنتين في عام ١٩١٩م، بالإشتراك مع يوسف المعلم، جبرائيل مجدلاني، وخليل صائغ.

وقد طالب الحزب باقامة فدرالية سياسية تضم لبنان وسوريا وفلسطين على قاعدة اللامركزية الادارية، كما هو نظام الولايات المتحدة الأمريكية . واظهر الحزب الوطني الديمقراطي نشاطاً بارزاً في اوساط الجالية اللبنانية والسورية في الأرجنتين، حيث نظم عدة

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

لقاءات ثقافية، واصدر مجلة "المجلة"، التي دعت لسوريا غير المجزأة، ويبدو ان هذه المجلة شكلت منبراً لطروحات انطون سعادة مؤسس "الحزب القومي السوري"، حيث يظهر تأثر انطون سعادة بافكار والده. (١)

ج- حزب الإتحاد السوري : وهو من ضمن الأحزاب التي ظهرت في الفترة عام (١٩١٨-١٩١٩) على يد مجموعة من المثقفين السوريين واللبنانيين الذين كان لهم باع طويل في السياسة والصحافة من قبل أمثال ميشال بيك لطف الله رئيس النادي السوري في القاهرة، وادوارد كرم ملاك كبير في القاهرة، يعقوب صرّوف وفارس نمر، اصحاب "المقطم" ومجلة المقتطف، ومحب الدين الخطيب مدير صحيفة "القبلة" التي تصدر في مكة، وفؤاد الخطيب المندوب الدبلوماسي لمملكة الحجاز في القاهرة، والشيخ رشيد رضا، صاحب مجلة "المنار"، وهكذا فإن تشكيلة الحزب مثلت الطوائف المختلفة في سوريا ولبنان، كما اعتمدت على الفئة المثقفة ذات التوجهات الوحدوية والعروبية. (٢)

وتتمثل أهداف الحزب في السعي لتحقيق وحدة سوريا على أساس اللامركزية والوصول الى الإستقلال التام، وامكانية الانضمام الى وحدة عربية اكبر في اتحاد كونفدرالي، بحيث لا يؤثر ذلك على وحدة سوريا الوطنية الخاصة ولا على شكل حكومتها (٣) ، ويلحظ من تشكيلة الحزب الذي يضم اعضاء من مختلف الطوائف أن لهم تماساً مع الدعوة الحجازية والأمير فيصل، بالاضافة الى ما ضمه الحزب من اعضاء اثرياء وصحفيين، ومن مختلف الطوائف، ولذلك فاننا نستطيع القول بان هذا الحزب كان يمثل اصحاب اتجاهات سابقة مثل اسكندر عمون الرئيس السابق لجمعية الاتحاد اللبناني في القاهرة ذات التوجهات اللبنانية، ورشيد رضا والشيخ كامل القصاب اصحاب التوجهات الوحدوية والاسلامية، وبعض الأعضاء الذين لهم علاقة بالحجاز مثل فؤاد الخطيب، الأمر الذي يدعونا للقول بأنه تكراراً لما حصل في المؤتمر العربي الأول عام ١٩١٣، حيث الاتجاهات والتيارات الخفية التي تظهر لنا من خلال اهداف وبرامج الحزب ومن خلال السيرة السياسية لبعض الاعضاء والمؤسسين ولذلك لا تظهر الدعوة السورية نقية تماماً، ولا الدعوة الى الوحدة الأوسع من سوريا نقية وواضحة تماماً هي الأخرى، و السبب يعود إلى الطائفية الدينية في كل تركيبة هذه الأحزاب في ذلك الوقت، حيث ظهرت مثل هذه العموميات

---

(١) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ١٨.

(٢) عصام كمال خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٦.

والتشويش والتداخل كلما كانت هذه الجمعيات السياسية التي ضمت في صفوفها أعضاء من مختلف الطوائف الدينية في لبنان، حيث يبدو أن الجمعيات ذات الصبغة الطائفية البحتة تكون صريحة وواضحة في أهدافها وبرامجها على عكس الجمعيات غير الطائفية.

د- الحزب السوري المعتدل

وفي هذه الفترة ظهرت بعض الأحزاب المتأثرة بالدعاية الأميركية في المنطقة كاتجاه جديد بعد ولوج السياسة الأميركية في المنطقة عن طريق لجنة التحقيق الاميركية "كنغ-كراين"، التي عملت على الترويج للسياسة الاميركية المدعومة عالمياً بمبادئ الرئيس ولسن، الذي استطاع ان يلعب على التناقضات الفرنسية-البريطانية في المنطقة، فقد أسس مجموعة من اللبنانيين في القاهرة في عام ١٩١٩ حزباً جديداً موالياً لأميركا هو "الحزب السوري المعتدل"، الذي حُظي بعطف الوكالة الاميركية. (١)

ويبدو ان المماطلة في حلّ القضية السورية في مؤتمر الصلح والصراع البريطاني-الفرنسي على المنطقة أخّرا حلّ هذه القضية، الأمر الذي جعل العرب يوجهون أنظارهم نحو أمريكا لمساعدتهم على حل مشكلتهم المستعصية باستخدام نفوذها في مؤتمر الصلح ولدى دول الحلفاء لتحقيق مطالبهم الداعية لإتحاد سوريا ولبنان بدولة واحدة تحت وصايتها، ويرجع ذلك إلى الدعاية الحسنة التي رافقت إعلان مبادئ الرئيس ولسن الداعية لمنح الشعوب حريتها واستقلالها وتقرير مصيرها.

وقد دعا الحزب الى وحدة سوريا تحت الوصاية الاميركية التي توفر على السوريين الكثير من العناء في نيل استقلالهم ووحدتهم خاصةً وانها دولة غير طامعة، ولا يمكن ان تكون كذلك مقارنة بفرنسا وبريطانيا، حسب تصورهم وحسب مبادئ الرئيس الاميركي ولسن، الذي نادى بحق تقرير المصير لجميع الشعوب.

---

(١) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ٧٦.

هـ- جمعية سوريا الجديدة الوطنية

ظهرت هذه الجمعية في شباط ١٩١٩ في نيويورك، وتدعو لوحدة سوريا بكامل اجزائها تحت الوصاية الاميركية، فقد جاء في النصّ الأساسي لمبادئ الجمعية : "بناء على كون دول الاحلاف أعلنت مراراً وبكلام لا يقبل الالتباس اتّخاذها اساساً للصلح ولتقرير نظام الأمم المبادئ التي صرّح بها الرئيس ولسن باسم حكومة الولايات المتحدة والتي تقضي بتحرير الشعوب الصغيرة المستعبدة وتدريجها في الإرتقاء الذاتي الى ان تتمكن من ان تحكم نفسها دون تدخل اجنبي او معارضة خارجية... وبناء على كون الولايات المتحدة الاميركية في كل تاريخ علائقها مع الدول والامم الاجنبية، وبفضل دستورها ومبادئ اهلها وبشهادة معاملتها لكوبا وغيرها لا تقبل ابداً على عمل دولي لتنتفع بل لتنفع... وبناء على كونها محبوبة من الشعب السوري... قررنا وضع البلاد تحت وصاية وتدبير الولايات المتحدة الى ان يتمكن السوريون من الحكم الذاتي التام". (١)

وقد شكّل هذه الجمعية الدكتور جورج خير الله رئيس الجمعية، والدكتور فيليب حتّي، كاتم اسرار الجمعية، ويبدو ان نشاط جمعية سوريا الجديدة الوطنية كان من جملة تحركات أخرى تطالب بالوصاية الاميركية على مجمل سوريا، كما يظهر ان فارس نمر صاحب "المقطم" (٢) ، اخذ يطالب بالوصاية الاميركية على كافة انحاء سوريا وهو أحد مؤسسي حزب الإتحاد السوري الذي سبق ذكره، حيث كان ميالاً على ما يبدو في الحزب السابق الى فرنسا، ولكنه استدرك ذلك بعد ان لاحظ ان فرنسا تريد تقسيم سوريا الى ثلاث مناطق : لبنان، المنطقة الشرقية، فلسطين. وهناك برقية من فارس نمر الى مؤتمر الصلح يدعو فيها لوحدة سوريا تحت الوصاية الاميركية. (٣)

وفي تعليقنا على هذه الجمعية، فاننا نقول انها ظهرت في نفس الفترة التي عملت فيها لجنة "كنغ-كراين" الاميركية في المنطقة، وانها من نتاجها، ونتاج الدعاية الاميركية بعد اعلان مبادئ الرئيس ولسن في حق تقرير المصير لجميع الشعوب، وللدعاية الأمريكية الحسنة في ذلك الوقت.

---

(١) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، ج١، المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٢) عصام كمال خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.

تطور الاتجاهات السياسية اللبنانية منذ اعلان لبنان الكبير ١٩٢٠ وحتى اعلان الدستور ١٩٢٦

شهد لبنان ابتداءً من عام ١٩٢٠ مرحلة جديدة واحداث هامة متتالية أثّرت على سير الحياة السياسية واتجاهاتها المختلفة في لبنان وبلدان المشرق العربي، حيث شهد هذا العام اعلان قرارات المؤتمر السوري العام في ٨ آذار عام ١٩٢٠م، وقرارات مؤتمر (سان ريمو) ٥ أيّار عام ١٩٢٠م، وولادة دولة لبنان الكبير في ٣١ آب عام ١٩٢٠م، وقد استغلت السلطات الفرنسية حالة الانقسام والتفكك في المنطقة، واخذت تتحين الفرص لتحقيق تطلعاتها وايقاف مد معاريضها في المنطقة، وتمهيداً لذلك ارسل رئيس الوزراء الفرنسي ميلران (Millerand) رسالة الى المطران عبدالله رئيس الوفد اللبناني الثالث الى مؤتمر الصلح، في ٢٤ آب ١٩٢٠، تتضمن موافقته على ضم المناطق الجديدة التي طالبت بها الوفود اللبنانية الى لبنان الصغير، وجاء في هذه الرسالة " ان ما تسعى اليه فرنسا هو انشاء لبنان الكبير وضمان حدوده الطبيعية التي تمتد من جبال عكا في الشمال الى حدود فلسطين في الجنوب، وتضم مدن طرابلس وبيروت... ويستطيع لبنان دائماً الاعتماد على فرنسا" (١) ، وعلى ضوء هذه الرسالة اصدر الجنرال الفرنسي "غورو" في احتفال كبير في بيروت في ٣١ آب ١٩٢٠ قراراً اعلن فيه قيام دولة "لبنان الكبير" رسمياً، حدد فيه حدود الدولة الجديدة "الحدود اللبنانية الحالية"، وجاء في خطابه "أعلن مع التعظيم لبنان الكبير، واحييه باسم الجمهورية الفرنسية في رقعته وقوته ممتدا من النهر الكبير الى ابواب فلسطين حتى ذروة لبنان الشرقي". (٢) وعليه تكون مدن بيروت وطرابلس وصيدا وصور، حاصبيا، راشيا، بعلبك، المعلقة، البقاع قد ألحقت بالدولة الجديدة. (٣)

وبهذا فقدت الدولة الكبيرة كل تجانسها على النقيض من المتصرفية القديمة، فالمناطق التي أُلحقت بلبنان الصغير (جبل لبنان)، إما ذات اكثرية اسلامية، وإما مشتركة وبنسب متفاوتة ما بين المسلمين والمسيحيين، ولذلك انقسم سكان الدولة الجديدة الى قسمين مؤيد ومعارض للبنان الكبير، فقد استقبل قسم كبير من السكان المسيحيين الدولة الجديدة بالفرح والسرور لأنهم شعروا

---

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٤٩٣. / أنظر علي شعيب : تاريخ لبنان منالإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) محمد جميل بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب، د.ط.، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٢.

(٣) Haddad George: :"Revolutioons and Military Rule in the Middle East. " , Vol (11). (The Arab States). New York, 1970, 389-390.

بأن كيانهم الوطني الذي طالما طالبت به وفودهم الشعبية وجمعياتهم السياسية في الداخل والخارج قد تحقق، بينما رفض الآخرون ذو الأكثرية الاسلامية هذا القرار وبقيت آمالهم معلقة بتحقيق قرارات المؤتمر السوري العام الذي يتيح لهم الإتصال بسوريا الأم والبقاء ضمن رابطتها.

ان اعلان دولة لبنان الكبير في ٣١ آب عام ١٩٢٠م، كان قد شطر اللبنانيين الى شطرين غلب عليهما الطابع الطائفي، فسكان الساحل المسلمون رفضوا هذا الاعلان رفضاً قاطعاً عبّروا عنه بعدة مظاهر احتجاجية منذ الاعلان بتكبير لبنان والحاق مناطقهم "بجبل لبنان" في ٣١ آذار ١٩٢٠، فقد طالبوا باجراء استفتاء شعبي في المناطق الساحلية بعيد الاعلان عن تكبير لبنان للوقوف على حقيقة رغبة السكان الذين يفضلون البقاء ضمن الوحدة السورية، وعدم الانفصال عنها، كما عبروا عن هذه المظاهر الاحتجاجية المعارضة لاعلان غورو بعدم المشاركة في الاحصاء السكاني الذي جرى عام ١٩٢٢، الا بعد ان طالبوا بشطب العبارات القائلة بان "حامل هذه التذكرة لبناني" من الهوية الشخصية، كاشارة لرفض الهوية اللبنانية والوطن اللبناني المستقل عن سوريا الأم، وكذلك رفض اكثرية انصار الوحدة السورية في الاشتراك بانتخابات المجلس النيابي الاول عام ١٩٢٢، وتدوين المشاركين منهم في المجلس "رفضهم للكيان اللبناني" عام ١٩٢٢، واستمرت هذه المظاهر الاحتجاجية على لبنان الكبير المستقل في الاعوام اللاحقة، ففي عام ١٩٢٦ رفضوا المشاركة في سنّ الدستور اللبناني، وأصروا على ان لبنان جزء لا يتجزأ من سوريا الكبرى، وعقدهم المؤتمرات المتكررة في الاعوام ١٩٢٨، ١٩٣٣، ١٩٣٦، وهي ما سميت بمؤتمرات الساحل، لتأكيد رفضهم للكيان اللبناني وتجديد مطالبهم بالوحدة السورية وعدم ضم مناطقهم الى جبل لبنان. (١)

لقد استمر المسلمون في هذه الفترة ينهجون نهجاً وحدوياً، واعتبروا ان لبنان جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، وانه عربي مثل غيره من البلدان العربية الأخرى، بينما كان الكثير من المسيحيين خاصة مسيحيي الجبل يعتقدون ان لبنان جزء من الحضارة الغربية، وأنه ليس عربياً، وإن تكلم بنوه اللغة العربية، وفي معرض تقييمه للحالة الانقسامية في لبنان في تلك الفترة أرسل داوود عمّون الى يوسف السودا عضو الاتحاد السوري في القاهرة في آذار ١٩٢١ رسالة بيّن فيها موقف المسلمين والمسيحيين من الوحدة جاء فيها : "المسلمون جميعهم يطلبونها في كل

---

(١) محمد جميل بيهم : النزاعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ١٢ / أنظر حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ١١١ فما بعد.

المناطق السورية، والمسيحيون يطلبونها في سوريا ايضاً، إنما نصارى لبنان يعارضون فيها كل المعارضة...". (١)

وفي الوقت الذي نظر فيه المسيحيون للمسلمين على انهم يشكلون خطراً على الكيان اللبناني المستقل، لتمسكهم بمطلب الوحدة الذي سيعرّض الكيان اللبناني للذوبان في المحيط العربي الاسلامي، مما يفقدهم امتيازاتهم واستقلالهم في وطنٍ مسيحي، ينظرون اليه كقطعة من الغرب المتحضر منذ زمنٍ بعيد، حتى ان بعضهم رفض رفضاً قاطعاً استقلال لبنان عن فرنسا، ففي مقابلة صحفية مع الدكتور أيوب ثابت في باريس في عام ١٩٢٢، قال : "ان سوريا ولبنان يخشى عليهما من التسلط الانكليزي والتسلط الحجازي، اذا هما نالا الاستقلال المطلق" (٢) ، ويتضح من هذا التصريح الذي ادلى به احد الاستقلاليين اللبنانيين على الملأ، ان استقلال سوريا التام وكذلك لبنان بمعزل عن الانتداب يعني لهم انتصار التوجه الوحدوي بالطبيعة، ولذلك فهو يدرك واصحابه المنادين بالانتداب الفرنسي ان الامور لو تترك وشأنها في المنطقة دون اي تدخل اجنبي سيصبح لها شكلاً آخر لا يتفق مع مصالح هؤلاء القلة الذين يرون في التدخل الاجنبي قوةً يستطيعون من خلالها فرض سياستهم على لبنان وتحديد مساره بما يتفق مع توجهاتهم الدينية والاقتصادية التي تدور في فلك السياسة الفرنسية.

لم يكن الاتجاه المسيحي المؤيد لفرنسا وحده في ذلك الوقت، فقد ظهر اتجاه مسيحي آخر دعا للسيطرة البريطانية على لبنان، ويبدو ان هذا الاتجاه متأثر بالسياسة البريطانية، ويرى ان سيطرة فرنسا على لبنان بعد تكبيره سيجعل المسلمين عنصراً مقلقاً للكيان اللبناني المستقل خاصةً وانهم سيشكلون نسبة قد تصل الى النصف من عدد سكان لبنان، الأمر الذي سيقوي الاتجاه الوحدوي مع سوريا، وترافق ذلك مع اطماع السياسة الفرنسية في السيطرة على كل سوريا، مما يقضي على حلم الوطن المسيحي في الشرق وتغيير وجهه، ويتضح لنا هذا التوجه في الوثيقة التي ارسلها سليمان كنعان - العضو السابق لمجلس ادارة الجبل- عندما كان في لندن لوزير الخارجية البريطانية في شباط ١٩٢٢، والتي يقول فيها : "ان استمرار خضوع لبنان لفرنسا سيؤدي الى فقدان لبنان لاستقلاله السياسي والاقتصادي والى الاضرار بمصلحة اللبنانيين والمسيحيين خاصةً... كما ان وجود فرنسا في لبنان سيؤدي الى استمالتها للمسلمين فتجعل منهم

---

(١) علي عبد شعيب : تاريخ لبنان، المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢) يوسف السودا : في سبيل الإستقلال، المصدر نفسه، ص ٤٠٢.

روحاً جديدة تكون سبباً لتغيير وجه الشرق"، وطالب باستقلال لبنان تحت لواء بريطانيا ليصبح كما يقول : "وطنناً لكل المسيحيين بسوريا والشرق، ويكون هؤلاء قوة لانجلترا، ومن صالحهم ان يكونوا تحت ظلها ويستميتوا تحت لوائها. (١)

وهكذا تبلور اتجاهان رئيسيان في لبنان هما **الاتجاه الوحدوي** الذي مثله المسلمون وسكان المناطق الساحلية التي ألحقت بلبنان الصغير، **والاتجاه الاقليمي اللبناني** تحت حماية فرنسا الذي مثله المسيحيون خاصة الموارنة في جبل لبنان، بالاضافة الى وجود **أتجاهات لبنانية أخرى** تطالب باستقلال لبنان تحت ضمانة الدول الكبرى ورفض الانتداب الفرنسي، **واتجاه آخر** ينادي بنفس الدعوة اللبنانية تحت لواء بريطانيا.

واذا كان المسيحيون من المؤيدين للكيان اللبناني تحت الحماية الفرنسية قد خلدوا الى الراحة وأخذوا في المحافظة على ما جنته جهودهم وجهود السياسة الفرنسية، من تحقيق الوطن اللبناني المسيحي المستقل تحت لواء فرنسا، فان المسلمين لم يتركوا فرصة الاّ واستغلوها في التعبير عن عدم رضاهم للالتحاق بدولة لبنان التي ولدت ولادة غير شرعية، حيث نتجت هذه الدولة وبرزت للوجود ككيان مسيحي مستقل يرفض حتى العلاقة مع العرب والبلدان العربية الأخرى بل ويحتقرها ما أن سمحت له الظروف بذلك، وبهذا فقد نظر المسلمون لهذه الدولة على أنها لم تأتي برضى الأغلبية ولا حتى باستشارتهم، بل انها فرضت عليهم من قبل من ليس لهم حق في تقرير مصيرهم، وهذا هو شأن كل اخوانهم العرب الآخرين في الأقطار المصطنعة الأخرى، التي لا تعدو في قطريتها أن تكون أشبه بالرشوة لعائلة أو طائفة جرّاء موقفها المؤيد للغرب بحجة الصداقة والتعامل مع الواقع ومعطيات الظروف المحلية والدولية.

لقد عبّر المسلمون آنذاك عن اصرارهم وتمسكهم بالوحدة ازاء الممارسات الفرنسية المنحازة والمفضلة دائماً للمسيحيين على المسلمين، بتشكيل جمعية اسلامية سرية هدفها القضاء على كل مسلم يتعامل مع الفرنسيين، كان من أعضائها سليم سلام، عمر الداعوق، صلاح بيهم، محمد جميل بيهم وغيرهم من أبناء بيروت، الذين خططوا لقتل مدير داخلية بيروت "أسعد بيك خورشيد" وهو جركسي في نيسان ١٩٢٢ (٢) ، كما أعرضت غالبية المسلمين عن قبول الوظائف

---

(١) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٢) محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج٢، بيروت، ١٩٥٠م، ص ٩٧.

والمناصب في الدولة اللبنانية، وهذا ما ينفي ادعاء البعض بتقبل المسلمين لهذه الدولة، اذا استثنينا القلة القليلة التي قبلت بذلك الكيان إما لأسباب موضوعية أو لأسباب أخرى مصلحية تتحقق لهم عن طريق الكيان اللبناني، لأننا لو أسلمنا بهذا القول فان ذلك سيقودنا الى نفي دور الأقلية المسيحية والسياسة الفرنسية في قيام لبنان الكبير المستقل تحت الوصاية الفرنسية، وتقبل الأغلبية المسلمة لهذا الكيان، عدا عن كل ما رأيناه من مظاهر الاحتجاج المتكررة من المسلمين ضد الكيان اللبناني، لأن هذا التقبل أتى بعد فترة خاصةً بعد أن تنازلت سوريا نفسها عن هذا المطلب الوحدوي حسب اتفاقها مع فرنسا وأصحاب الكيان اللبناني بعد عام ١٩٣٦م. (١)

وعندما عينت السلطات الفرنسية الجنرال "ويغان" " Weygand " (١٩٢٣-١٩٢٤) خلفاً للجنرال "غورو"، الذي تم في عهده اعلان ولادة لبنان الكبير، سارع المسلمون الى مطالبة المفوض الجديد باعادتهم للوحدة مع سوريا، حيث رغبة الأكثرية من سكان المناطق الساحلية التي ألحقت بجبل لبنان دون رضاهم أو على الأقل استشارتهم في هذا الأمر المصيري، حسب ما كانت تقوله فرنسا نفسها وبريطانيا بشأن حرية أهالي المناطق التي خرج منها العثمانيون الأتراك أثناء الحرب وبعدها قبل أن تأتي القوات الفرنسية المستعمرة، كما طالبوا بإنصافهم من الإجحاف السياسي والاقتصادي بحق سكان هذه المناطق، الذين يرون أن الوحدة السورية أجدى لهم وأنفع من البقاء في الكيان اللبناني الجديد المصطنع، وقد تدرجوا في مطالبهم بطلب "الانفصال عن لبنان والالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية". (٢)

لقد رفض المسلمون صيغة الكيان اللبناني الكبير وعارضوها بكل صلابة، وبكل الوسائل، ولم يتوانوا في رفع شعاراتهم الوحدوية في كل المناسبات والظروف، بل انهم كانوا صدىً لأخوانهم في سوريا يتجاوبون معهم في كل الأحوال، ولذلك نجدهم يعبرون عن هذا المطلب الوحدوي أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، حيث امتدت الثورة الى مناطقهم في لبنان كتأكيد للثورة ضد العدو المشترك (فرنسا وأنصارها)، ولذلك فان شمولية الثورة ووصولها الى لبنان بالرغم من البطش الفرنسي، دليل واضح على رفض هؤلاء لكيان يجعل منهم قطيعاً غريباً

(١) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) حسان حلاّق : مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٢٩-١٣٠.

منبوذاً لا حول لهم ولا قوة، ودليل واضح على نزوعهم نحو الوحدة وعدم الإنسلاخ عن أبناء دينهم وجلدتهم في سوريا وبلاد العرب. (١)

وفي الوقت الذي امتدت فيه الثورة السورية الى مناطق متعددة من لبنان الكبير، حيث امتدت الثورة الى قضائي حاصبيا وراشيا ومنطقتي أكروم والضنية، راح أنصار الكيان اللبناني يطالبون المفوضية الفرنسية العليا بوضع قانون أساسي "دستور" للبنان، وعقد مجلس النواب اللبناني جلسة لهذه الغاية، وافق عليها المجلس بالأغلبية في تشرين أول ١٩٢٥م (٢) ، (نقصد في الأغلبية هنا الأغلبية المسيحية المؤيدة للكيان اللبناني في المجلس، الذي يضم عدد قليل جداً من المسلمين وأنصار الوحدة، بسبب مقاطعة أغلبية أصحاب هذا الاتجاه الوحدوي لانتخابات المجلس النيابي واعراضهم عن المشاركة والاندماج في الكيان اللبناني المصطنع).

وفي كانون أول ١٩٢٥، باشر المفوض الفرنسي الكبير وهو "هنري دي جوفنيل" "H. de Jouvenel" أعماله كأول مفوض مدني فرنسي في سورية عينته السلطات الفرنسية لاحتواء الثورة ومهادنة الثائرين ضد الانتداب والتجزئة، فأخذ يشير في خطاباته الى عبارات "الولايات المتحدة من سوريا ولبنان" و "دول سوريا المتحدة" (٣) ، الأمر الذي أثار حفيظة وشكوك أنصار الكيان اللبناني وتخوفهم من امتداد الثورة ومهادنة السلطات الفرنسية للثوار على حساب الكيان اللبناني والسيادة اللبنانية، التي خدشت بعبارات المفوض الفرنسي هذه التي تعتبر مساساً بالسيادة اللبنانية، ولذلك اتخذت الحكومة اللبنانية عدة اجراءات طالت نشاط أنصار الوحدة السورية، فعملت على حل المجلس البلدي لمدينة بعلبك لموقفه المؤيد للوحدة السورية (٤) ولم يكترث أنصار الوحدة السورية باجراءات الحكومة اللبنانية ومضوا في تأييدهم ودعمهم للثورة والاتجاه الوحدوي، لادراكهم مدى الارباك المسيطر على موقف الانتداب الفرنسي الذي يظهر ميلاً لتقبل مطالب الوحدويين والثائرين ضد الانتداب والتجزئة.

---

(١) غالب العياشي : الإيضاحات السياسية وأسرار الإنتداب الفرنسي في سورية ولبنان، مطابع الأشقر بيروت، ١٩٥٥، ص ٣٠٧.

(٢) حسان حلاق : مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) غالب العياشي : ألمصدر نفسه، ص ٣٠٨. / أنظر بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٤) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٤٠.

لقد هال أنصار الكيان اللبناني صلابة أنصار الوحدة السورية في موقفهم، ولذلك استعجلوا في وضع دستور للبنان كتكريس لدولة لبنان، وقطعاً للطريق على أية محاولة للوحدة مع سوريا، ولتعاظم دور الثورة السورية وتيقن السلطات الفرنسية من أن المشكلة السورية مستعصية الحل، راح المندوب الفرنسي يستميل أنصار الكيان اللبناني، ويوجه اهتمامه لمنح لبنان دستوراً كمكافأة لهم على ترحيبهم في أكثر من مناسبة بمبدأ الانتداب الفرنسي.

شكلت لجنة من أعضاء المجلس النيابي اللبناني الذي تشكل عام ١٩٢٢م، لوضع دستور للبنان، بالتعاون مع بعض رجال الفكر والقانون، واعتماداً على روح القانون الفرنسي واستقاءاً من دستور الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧٥م (١) ، بحيث يظهر بشكل يتكيف مع الذوق المحلي من حيث الشكل دون المس بالمضمون، ولا أرى أن ميشال شيحا (أحد المتشددين للكيان اللبناني) وغيره من أبناء لبنان هم الذين كانوا وراء وضع مسودة الدستور اللبناني، كما يقول كمال الصليبي (٢) ، ويبدو أن اللجنة المكلفة من اللبنانيين كانت لجنة صورية قامت بعرض الأسئلة العشر القصيرة على اللبنانيين، أما العمل الرئيسي فقد أنيط بالفرنسيين حيث دعا جوفنيل (المندوب الفرنسي) أحد معاونيه وأسمه "سوشيه" وقال له : "انني راحل بعد شهر وأريد دستوراً للبنان قبل ذلك التاريخ" (٣) ، فأجابه سوشيه : "سيكون بين يديك خلال أسبوع واحد، اطمئن"، وكانت طريقة اجابة سوشيه تبدو عليها علامات الاستهزاء واللامبالاة وهو يحمل الدستور الفرنسي لعام ١٨٧٥م أمام المفوض الفرنسي جوفنيل، وعلى الأرجح فان الظروف التي كانت تربك السياسة الفرنسية في سوريا كلها أثناء الثورة السورية، وحزم أنصار التوجه السوري في موقفهم هو الذي أدى الى سلق الدستور اللبناني بهذه الطريقة بحيث تراعى فيه حقوق الانتداب الفرنسي.

وقد كانت الاسئلة مصاغة على الشكل التالي :

١- ما هو شكل الحكومة التي تحبذونها : ملكية دستورية أو جمهورية؟

٢- هل تتخذ الطائفية أساساً لتوزيع المقاعد في البرلمان؟

٣- هل تُراعي الطائفية في وظائف الدولة وبنوع خاص في الوزارات؟ ولماذا ؟

---

(١) أحمد سرحال : النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، المصدر نفسه، ص ٩٠. / أنظر ملحم قربان : تاريخ لبنان السياسي الحديث، ج١، ط٢، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٦٤.

(٢) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، ط٣، دار النهار للنشر بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢١٢.

(٣) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٣٨.

٤- هل يجب أن يتألف البرلمان من مجلس أو مجلسين؟
٥- هل تكون الوزارة مسؤولة أمام البرلمان؟(١)

وفيما نشط أنصار الكيان اللبناني بشأن الاجابة على أسئلة اللجنة المكلفة صورياً بصياغة الدستور اللبناني وهللوا لها، عارض المسلمون هذه الفكرة ورفضوا المشاركة في صياغة القانون الأساسي "الدستور اللبناني"، وقاموا بتوجيه البرقيات والعرائض التي تذكر بمطالبهم السابقة بالوحدة مع سوريا، بل وصل الأمر بهم الى عدم الاجابة على الأسئلة التي طرحتها اللجنة المكلفة بوضع مسودة الدستور اللبناني، كتعبير راسخ عندهم لرفض صيغة لبنان الكبير، والاستمرار في نهجهم المطالب بالوحدة السورية.

وللتأكيد على موقفهم عقد أعيان المسلمين في ٥ كانون الثاني عام ١٩٢٦م، اجتماعاً في مقر جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، أصدروا على أثره قراراً جاء فيه : "نحن المجتمعون للمذاكرة بشأن تكليف الطائفة الاسلامية للاجابة على الأسئلة التي وضعتها لجنة الدستور اللبناني، ولانتخاب مندوبين لحضور جلساتها، قررنا بالاجماع رفض الاشتراك بسن هذا الدستور عملاً برغائب عموم المسلمين المجتمعين على رفضه، لأنه لا يتفق مع مصلحة البلاد... فقد قررت الطائفة الاسلامية في بيروت... أن تعيد تثبيت احتجاجاتها على الالحاق بلبنان ورفض الاشتراك بسن دستوره والاجابة على الأسئلة بشأنه، وهي تؤيد وتكرر طلب الالتحاق بالاتحاد السوري على قاعدة اللامركزية" (٢) ، ووقّع على هذا القرار معظم الزعامات الاسلامية بما فيهم عمر الداعوق نائب بيروت الاسلامي في المجلس النيابي اللبناني، كما اتخذ قرار الرفض هذا في كافة المناطق التي يتركز فيها المسلمون، فقد وجهت القيادات الاسلامية في صيدا وطرابلس وبعلبك ومنطقة جبل عامل العرائض والمضابط الى المجلس النيابي اللبناني، التي ترفض الاشتراك في صياغة الدستور وتطالب بالالتحاق بالوحدة السورية على أساس اللامركزية (٣) ، ومن هذه العرائض العريضة التي وجهها أبناء صيدا الاسلاميين الى المجلس النيابي في ٩ كانون ثاني ١٩٢٦، والتي تضمنت رفضهم للمشاركة بسن الدستور اللبناني وصياغة مواده الأساسية مؤكدين على رفضهم الانضمام للبنان الكبير، مطالبين الالتحاق بالوحدة

---

(١) أنور الخطيب : الأصول البرلمانية في لبنان وسائر الدول العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١. ص٣٦. / أنظر يوسف سالم : خمسون سنة مع الناس، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٦٦.
(٢) حسان حلاق : مؤتمر الساحل والأقضية الاربعة، المصدر نفسه، ص ١٤٠-١٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧ فما بعد.

السورية، ومما جاء في عريضتهم "تغتنم الطائفة الاسلامية فرصة تكليف فخامة المفوض السامي ... للمجلس النيابي تنظيم القانون الأساسي لتظهر رغباتها الأكيدة في الانفصال عن ما يسمونه لبنان الكبير، والانضمام الى الوحدة السورية على أساس اللامركزية... وعدم الاشتراك في سن الدستور اللبناني..." (١) ، ويلاحظ من صيغة هذه المذكرة رفضها لما يسمى بلبنان الكبير الذي لم يستوعبه أنصار الوحدة السورية بل ويتحسسون من هذه التسمية التي لا تعدو عن كونها مسخرة في نظرهم.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشخصيات الاسلامية في ذلك الوقت كانت مؤيدة للاشتراك في صياغة الدستور اللبناني، من منطلق استحالة تحقيق الوحدة السورية في ظل معارضة أنصار الكيان اللبناني والدعم الفرنسي لذلك، ولبعد النظر عند البعض الذين رأوا أن تفرد النصارى وفرنسا بصياغة الدستور اللبناني سيؤدي الى صبغه بصبغة لبنانية طائفية وباتجاه واحد، وكان من هؤلاء مفتي طرابلس الشيخ محمد رشيد ميقاتي، الذي اعتبر الرافضين للمشاركة في سن الدستور اللبناني من المسلمين في طرابلس بأنهم متهوسين في طلب الوحدة السورية، ويبدو أن هذا الشيخ كُلِّف مع اللجنة المعدة لذلك، حيث توجد رسالة منه موجهة لرئيس المجلس النيابي يقول فيها : "انه بعد أن حررنا لعطوفتكم بتاريخ ١٢ كانون ثاني ١٩٢٦، بأننا انتدبنا ذاتين من أعيان الطائفة وهما عبداللطيف أفندي سلطان والشيخ منير الملك بعد أن أنسنا منهما لاعطاء الأجوبة، ففي ١٤ منه تلقينا من كل منهما كتاباً يتضمن طلب الالتحاق بالوحدة السورية وأعادوا الينا الأسئلة بلا أجوبة مجاراة للهوس في طلب الوحدة، فأبقيناها لدينا لعلنا نجد من يجيب عليها سواهما،... ولعدم تعود المحيط على احترام الرأي الشخصي لم نتمكن حتى اليوم من الظفر بأحد ممن وقف موقف الحياد تجاه هذه القضية، يجرأ على التعرض لمخالفة هذا الهوس، لذا بادرنا لاعلام عطوفتكم بالواقع..." (٢) ، وهكذا يظهر أن الشيخ ميقاتي لم يخرج بواحد يؤيد الاشتراك في الاجابة على الأسئلة أو المشاركة في وضع القانون الأساسي للبنان من المسلمين، ويظهر من الرسالة أن ممثلي المسلمين كانوا عاطفيين ورفضوا بشكل سريع الإشتراك في سن الدستور وأن رغبتهم وإيمانهم بالوحدة العربية هي فوق كل إعتبار.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

وقد أُقرّ الدستور اللبناني في المجلس النيابي اللبناني مكرساً لبنان الكبير ووجود الانتداب الفرنسي في ٢٣ أيار ١٩٢٦م، كما اتت معظم بنوده متناقضة ومتعارضة مع بناء الدولة الحديثة، حيث اعتمدت الطائفية في توزيع المقاعد النيابية وتشكيل الوزارة، وهكذا كرس الكيان اللبناني بحدوده الحالية غير القابلة للتعديل، ليظهر لنا كياناً جديداً في المنطقة العربية. (١)

وقد جاء في الخطوط العريضة للدستور اللبناني عام ١٩٢٦م :

١- أن كل اللبنانيين سواء لدى القانون وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم (المادة السابعة).

٢- إن الحرية الشخصية مصونة وهي في حمى القانون ولا يمكن أن يقبض على أحد أو يسجن او يوقف إلاّ وفقاً لأحكام القانون، ولا يمكن تحديد جُرم أو تعيين عقوبة إلاّ بمقتضى القانون. (المادة الثامنة)

٣- يكفل الدستور اللبناني حرية إبداء الرأي قولاً وكتابة وحرية الطباعة إلى جانب حرية الإجتماع وتأليف الجمعيات (المادة الثانية عشر).

٤- وفي المادة (٩٥) منه جاء ما يُناقض النصوص السابقة حيث جاء فيه : "إلتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون ان يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة ". كما أفادت المادة السابعة من الدستور اللبناني المساواة المطلقة أمام القانون، وجاءت المادة (٩٨) تخول للمفوض السامي الفرنسي تعيين أعضاء مجلس الشيوخ في المجلس التمثيلي اللبناني. (٢)

وهكذا جاء الدستور بصيغة طائفية بالرغم من بعض البنود البنّاءة فيه، لولا الإلتفاف الذي حصل في المادتين (٩٥) و(٩٨)، وتجسيداً لهذا التكريس أختير شارل دباس في ٢٦ أيار ١٩٢٦م، ليكون أول رئيس للجمهورية اللبنانية، ويلاحظ ان هذا الرئيس لم يكن من الطائفة المارونية الأكثر عدداً، بل كان من الطائفة الأرثوذكسية التي لا تشكل أكثرية عددية كالموارنة، مما اثار البطريرك الماروني ليعترض على هذا الرئيس على اعتبار ان الرئاسة هي من حق الطائفة المارونية، الا ان السلطات الفرنسية اقنعت الموارنة والبطريرك الماروني ان شارل دباس شخصيته تكاد تجمع عليها كل القوى في لبنان، خاصةً وان طائفته لها رصيداً عربياً قديماً عند

---

(١) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٢) أحمد سرحال : النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، المصدر نفسه، ص ٩٠-٩١.

بعض المسلمين وابناء لبنان، وستكون المرة القادمة من نصيب الموارنة الأكثر عدداً (١) ، ويبدو هنا محاولة لإستمالة المسلمين وأنصار الوحدة السورية عن طريق تعيين الأرثوذكسي شارل دبّاس رئيساً للجمهورية الذي تتقارب طائفته مع المسلمين تجاه الوحدة السورية.

لم تسلّم القوى السياسية اللبنانية المؤيدة للوحدة السورية بالواقع الذي استجد بعد اقرار الدستور اللبناني واعلان الجمهورية، بل استمرت تجاهر بمواقفها السابقة المتشبثة في الوحدة، ففي ٣٠ أيار ١٩٢٦م اي بعد اسبوع من اقرار الدستور، واربعة ايام من اعلان الجمهورية، عقد زعماء بعلبك والهرمل اجتماعاً بعثوا بنسخة عن مقرراته الى كل من سلطان باشا الأطرش والى اللجنة التنفيذية بمصر والى الوفد السوري في أوروبا وعصبة الأمم جاء فيها : "لا يمكن تأمين حياتنا في داخل لبنان أصلاً حيث حقوقنا السياسية والقومية مهضومة وستبقى مهضومة ابد الدهر. وها نحن نؤيد مطالبنا المشروعة بالسلام وباشتراكنا في الثورة العامة ولا نترك سلاحنا من ايدينا ما لم نعد الى حضن امنا سوريا حيث منطقتنا محصورة بين حمص وبعلبك وطرابلس ومرفأ اقتصادياتنا حمص وجميع معاملاتنا الداخلية وقد اهديت الهرمل لقمة سائغة للبنان مع انها سورية جغرافياً وتاريخياً". (٢)

وفي ١٥ أيلول ١٩٢٦م رفعت مذكرة أخرى الى عصبة الأمم طالب فيها الممثلون للرأي العام في المناطق الملحقة قسراً بلبنان، عصبة الأمم بالتدخل الفعلي للتوصل الى حل المسألة السورية حلاً عادلاً طبقاً لمبدأ الحق ورغبات السكان وأمانيهم، وجاء في المذكرة : "نحن الموقعين التجار واصحاب الأملاك، المحامين، الأطباء، المهندسين... ننتهز فرصة اجتماع مجلس عصبة الأمم لنكرر احتجاجنا على ضم مناطقنا الى لبنان بناء على ما يسمونه قانون أساسي وضع من غير اشتراكنا وعلى غير الأرادة الوطنية بدليل ان نوابنا رفضوا الموافقة عليه في جلسة مجلس النواب اللبناني التي عُقدت في ١٩ أيار ونطالب بالوحدة السورية على أساس السيادة القومية ونرجو ان تتدخل عصبة الأمم تدخلاً فعلياً توصلاً الى حل المسألة السورية حلاً عادلاً طبقاً لمبدأ الحق وآمال السكان الاجتماعية. (٣)

---

(١) ملحم قربان : تاريخ لبنان السياسي الحديث، المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى، مجلد (٣)، د.ط.، ص ٤٦٥. / أنظر حسان حلاق : مجلة المقاصد : المسلمون ولبنان، العدد (١٥)، تموز، ١٩٨٣م، ص ٢٩-٣٠.

(٣) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال الى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٤٤.

ويظهر ان المعضلة الأساسية التي واجهت انصار الكيان اللبناني بعد ان تحققت مطالبهم وتطلعاتهم بقيام دولتهم، هي خلق ولاء وطني شامل في المناطق التي ضمت الى جبل لبنان عام ١٩٢٠ وتكرس الحاقها في ١٩٢٦ على أثر اقرار الدستور اللبناني وقيام الجمهورية، فلم يكن من السهل الحصول على ذلك الولاء، خاصةً وان التركيبة الطائفية التي كرسها الدستور اللبناني وضمنها قد مورست عملياً، مما اعاق ولادة الشعور الوطني بالمفهوم العام عند كل اللبنانيين في هذا الكيان، ففي اعقاب اعلان الدستور شغلت المفوضية العليا الفرنسية رجال السياسة اللبنانيين بتوزيع المغانم في الدولة اللبنانية، مما عرقل اية محاولة نحو اتفاق لبناني كاد يحصل على قواسم مشتركة.

وعلى الرغم من قيام الدولة اللبنانية واشتراك بعض المسلمين من الطوائف المختلفة وخاصة السنة في الادارة اللبنانية وفي الوزارات والمجلس النيابي، الا انهم لم يشعروا بالولاء الحقيقي لهذه الدولة التي لم تأبه بمطالبهم، ولذلك استمر البعض منهم يطالب بالوحدة والاستقلال، وفي ٢٥ تشرين أول ١٩٢٧ التقى الوطنيون في سوريا ولبنان في مؤتمر عقد في بيروت، اشترك فيه من لبنان عبدالله اليافي، عبدالرحمن بيهم، عبدالحميد كرامي، عبداللطيف البيسار وعارف الحسن الرفاعي، وصدر عن المؤتمر مذكرة رفعت الى المفوض السامي، يلحظ عليها انها كانت ذات صيغة هادئة وتضمنت استعداداً لمد يد التعاون والصداقة مع الفرنسيين مقابل الاستقلال، وقدد جاء فيها : "تذكير أولي الشأن أن الامة السورية على إستعداد لمد يد المصافحة والصداقة وتنسى الماضي المؤلم إذا وجدت تحقيقاً لأمانيها وسيادتها القومية. (١)

الا انه وفي ٢٣ تموز ١٩٢٨ عاد عبدالحميد كرامي وترأس مؤتمراً آخر عُقد في دمشق عرف باسم (مؤتمر الساحل)، وضم المؤتمر وفوداً من بلاد العلويين والدروز والأقضية الأربعة الملحقة بجبل لبنان، وتميز المؤتمر عدا عن ذلك باشتراك نواب من المسلمين والمسيحيين، امثال عمر بيهم نائب بيروت السني وصبحي حيدر نائب بعلبك وبعض القوى المسيحية أيضاً امثال : ملحم الفرزلي وميخائيل فلفلي وسمعان خزعل وتيودور حكيم ومراد غلمية وغيرهم، واكد المؤتمر على وحدة البلاد السورية بما فيها المناطق التي ضمت الى لبنان القديم (المتصرفية في جبل لبنان)، كما طالب المؤتمر الجمعية التأسيسية في سوريا بتحقيق وحدة كافة البلاد السورية

---

(١) ذوقان قرقوط : تطور الحركة الوطنية في سورية، (١٩٢٠-١٩٣٩)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٠٤ / أنظر حسان حلّاق : مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، المصدر نفسه، ص ١٥٩.

العامة، بضم جبل الدروز وبلاد ما بين العلويين والبلاد التي لحقت بلبنان الصغير في اطار دولة سورية واحدة ذات سيادة لا تقبل الانقسام والتجزئة، وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على ذلك. (١)

لم يأمن المسلمون وأنصار الوحدة جانب السلطات الفرنسية وأنصارها الذين أثاروا شكوك المسلمين ببعض ممارساتهم، التي أعتبرها المسلمون موجهة ضدهم، كمحاولة حكومة حبيب باشا السعد في كانون أول ١٩٢٨ القضاء على اللغة العربية والتقليل من شأنها بجعل اللهجة العامية لغة رسمية يمكن تعميمها على المدارس (٢) ، ورأى المسلمون أن القصد من هذه المحاولات هو ايجاد لغة مستقلة عن اللغة العربية تتخذها الجمهورية اللبنانية لغة أساسية لزيادة تفكيك عرى الاتحاد بينها وبين سائر سوريا، وتأكيداً لمقولتهم بأن اللغة العربية لا تدلل على عروبة لبنان وان تكلم بنوه اللغة العربية.

ومن المحاولات الأخرى التي أدت لعدم تقبل المسلمين للكيان اللبناني محاولة رئيس الوزراء اميل اده (ماروني مسيحي من جبل لبنان) إصدار قرار في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٢٩م، يهدف الى الغاء المدارس الحكومية التي يستفيد منها أبناء المسلمين بصورة أساسية، وكذلك محاولة احلال الحروف اللاتينية مكان اللغة العربية وقتل الثقافة العربية (٣) ، وبالأحرى كانت السياسة تسير باتجاه القضاء على القواسم المشتركة التي تعطي الكيان اللبناني صبغة عربية شرقية لا يريدها أنصار الكيان اللبناني والانتداب الفرنسي الذين يريدون لبناناً وطناً مسيحياً بحضارته وثقافته ووجهه العام.

التحول السياسي في موقف المسلمين

١٩٣٩-١٩٢٦

بدأ المسلمون يجنحون نحو تقبل الكيان اللبناني بعد أن شعروا بالغبن والاجحاف الذي أصابهم نتيجة مواقفهم السابقة المتمثلة في اعراضهم عن المشاركة في الأمور الهامة التي كان

---

(١) عبد الرحمن الكيالي : المراحل في الإنتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني (١٩٢٦-١٩٣٠)، ج١، حلب، سورية، ١٩٥٨م، ص ٦٦-٦٧. / أنظر علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢) محمود كامل المحامي : الدولة العربية الكبرى، ط٢، دار المعارف مصر، ص ٤٩٢.

(٣) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

لها أكبر الأثر في صبغ لبنان بصبغة طائفية واحدة، فقد أتاح عدم مشـاركة المسلمين في التعداد السكاني الذي جرى في ١٧ كانون الثاني عام ١٩٢٢م، واعراضهم عن ترشيح أنفسهم الى المجلس التمثيلي "النيابي" في لبنان في ١٣ آذار عام ١٩٢٢م، وكذلك موقفهم الرافض للمشاركة في سن الدستور اللبناني ١٩٢٦م المجال أمام أنصار الكيان اللبناني "الأغلبية المسيحية" المسيطرة على المؤسسات السياسية الهامة في الدولة واضفاء الطابع الطائفي عليها، بشكل يتفق مع مصالحهم وتطلعاتهم في ظل الانتداب الفرنسي وغياب العنصر الاسلامي الذي بقي متمسكاً بحلم الوحدة ورفض التجزئة المفروضة عليهم.

وهكذا أدى اعتزال المسلمون للسياسة، واعراضهم عن تولي المناصب العامة في الدولة... حتى أصبحت الدولة ملك غيرهم وأضحى لبنان وكأنه بلد لسواهم كما يقول محمد جميل بيهم أحد السياسيين اللبنانيين الذين لعبوا دوراً هاماً في السياسة اللبنانية في تلك الفترة، فقد قال معترفاً : "والواقع فان المسلمين في لبنان الكبير، وأنا منهم، هم المسؤولون أيضاً عن الغبن الذي أصابهم وقتئذ ولأنهم أضربوا عن الاشتراك في الوظائف والمناصب، كما أضربوا عن الاشتراك في احصاء النفوس، ثم في الترشيح لانتخابات المجلس النيابي الأول عام ١٩٢٢ وانصرفوا الى الاحتجاجات للمراجع التي هي مصدر الشكاوى -فيك الخصام وأنت الخصم والحكم- والتي وضعت هذا المخطط فكوفوا بالحرمان، ولما تنبهوا الى خطئهم بعد بضع سنين وشرعوا يطالبون بالمساواة، كان جهاز الدولة أمسى في حوزة غيرهم وكانت المنافع قد وزعت على غير مناطقهم فبدا لبنان وكأنه بلد لسواهم". (١)

وعندما اعلنت المفوضية الفرنسية اجراء احصاء عام لسكان لبنان في عام ١٩٣٢، بغية انتخاب رئيس جديد للجمهورية، وتوزيع الحصص الطائفية على أساسه في مؤسسات الدولة، أخذ المسلمون يتطلعون لاصلاح اوضاعهم والمشاركة في صنع القرارات الهامة في الدولة لتأكيد وجودهم على صعيد الدولة الجديدة، كنسبة تشكل نصف سكان الدولة تقريباً، خاصةً وان الدستور لا يحول دون وصول مسلم الى رئاسة الجمهورية، ولذلك تصوروا ان الرئاسة يجب ان تنتقل من طائفة الى أخرى بالتناوب، وعلى هذا الأساس اصبح من حقهم ان يتسلموا رئاسة الجمهورية بعد ان تناوبها النصارى قبلهم مرتين.

---

(١) محمد جميل بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب، المصدر نفسه، ص٣٤.

بدأت الاستعدادات السياسية لانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية، منذ العام ١٩٣١، وبينما كانت المنافسة على اشدها بين المرشحين النصارىخاصة الموارنة، الذين ترشح منهم أميل إدّة وبشارة الخوري، كأقوى مرشحيّن، قامت جمعية الشبيبة الاسلامية في بيروت تطالب برئاسة الجمهورية اللبنانية في هذه المرة للمسلمين بعد ان تولاها المسيحيون من الفترة الممتدة من ١٩٢٦-١٩٣٢ (١) ، وتبنى الشيخ محمد الجسر الدعوة التي وجهتها جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت لاجراء الاحصاء، ولهذه الغاية تشكلت لجنة اسلامية للعمل على الوصول لرئاسة الجمهورية، ونشطت جمعية الشبيبة الاسلامية في نشر البيانات التي تحث المسلمين جميعاً على مختلف مذاهبهم على المشاركة في الاحصاء الجديد، محذرةً اياهم من الوقوع في الاخطاء السابقة والاهمال الذي وقعوا فيه سابقاً عندما اعرضوا عن المشاركة في الاحصاء السابق ١٩٢٢م، والمجلس التمثيلي ١٩٢٢م، وعن الدستور ١٩٢٦م وغيرها من الامور التي مررها المسلمون دون ان يفكروا بعواقبها. (٢)

ويبدو ان الشيخ محمد الجسر كان متهوساً بطلب الرئاسة، تماماً مثلما انتقد مفتي طرابلس الشيخ محمد رشيد ميقاتي المسلمون اصحاب التوجه الوحدوي بأنهم متهوسون بطلب الوحدة عندما رفضوا المشاركة بسن الدستور اللبناني، هذا اذا علمنا ان الجسر وميقاتي كانا ممن تقبلوا الكيان اللبناني وتعاملوا معه من منطلق قبول الأمر الواقع والظروف الموضوعية، متناسين سؤالاً هاماً كان يجب ان يخطر على بالهم وهو لماذا انشأ هذا الكيان اللبناني اصلاً؟ وعلى هذه الصورة الطائفية وبسرعة؟! اليس لأنه يراد منه ان يكون وطناً مسيحياً بوجه غربي تعتمد عليه فرنسا كمنطقة إستراتيجية هامة له في المنطقة ؟.

استمر الشيخ محمد الجسر في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، وصمم على خوض معركة الرئاسة، بالرغم من الضغوطات المحلية والفرنسية علية للانسحاب والتنازل عن ترشيحه مقابل بقائه رئيساً للمجلس النيابي، ويبدو ان الشيخ الجسر راهن في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية على الحالة السياسية العامة في لبنان خاصة الانقسام بين صفوف المسيحيين الذين رشحوا اكثر من واحد لمنصب رئاسة الجمهورية مثل بشارة الخوري، حبيب باشا السعد، أميل

---

(١) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٢) حسان حلاّق : مجلة المقاصد : المسلمون في لبنان، العددان (١٦، ١٧)، آب-أيلول، ١٩٨٣م، ص ٢٩.

إدّة، جورج ثابت، الفونس ايوب (١) ، في حين اعتمد على المسلمين الذين شكلوا كتلة واحدة متماسكة قد تجعل من وصوله لمنصب الرئاسة امراً مضموناً ولربما راهن الشيخ الجسر ايضاً على علاقته الحسنة مع السلطات الفرنسية، فقد كان من المؤمنين بالكيان اللبناني ودولة لبنان الكبير ومعارضاً لضم اي جزء منه الى سوريا، كما انه لم يكن مناوئاً للسياسة الفرنسية، بل أن تعيينه نائباً ورئيساً لمجلس النواب البناني في الفترة ١٩٢٩-١٩٣٢ جاء من قبل السلطات الفرنسية نفسها. (٢)

وفي اطار الموقف المسيحي من تولي مسلم رئاسة الجمهورية ارسل الدكتور جورج سمنة لمجلة "مراسلات الشرق" (Correspondance d' Orient) في ١٥ نيسان ١٩٣٢م، رسالة الى رئاسة الوزراء الفرنسية بعنوان "ملاحظات حول انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان" اكد فيها على ضرورة بناء لبنان بطابعه المسيحي لاقامة التوازن مع بقية الدول الاسلامية، وقال فيها : "ان معركة انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية قد دخل في طور الحدة، فالمرشحون المسيحيون يتنافسون فيما بينهم، وهذا ما يشير الخشية الحقيقية من امكانية وصول شخصية اسلامية الى هذا المنصب... وهنا لا بد من التذكير ان دولة لبنان الكبير كانت بهدف اقامة التوازن في المنطقة مع الوزن الاسلامي لسوريا، وذلك بجعل لبنان القاعدة الاساسية للنفوذ الفرنسي في شرقي المتوسط... فترشيح الشيخ محمد الجسر سيقود حتماً الى تشكيل جبهة اسلامية في وجه القوى المسيحية المفككة والمتناحرة". (٣)

ولما رأت فرنسا ان كفة الشيخ محمد الجسر قد رجحت على غيره من مرشحي الرئاسة النصارى، ويدعمها نسبة المسلمين في الاحصاء الذي جرى، حيث شكل ما يقارب نصف سكان الجمهورية، وهذا ما لم يكن يتوقعه الفرنسيون وانصار الكيان اللبناني، لان اعداد المسلمين بقيت مكتومة وغير معروفة حتى عند المسلمين قبل عام ١٩٣٢ بسبب عدم اشتراكهم في الاحصاء الذي جرى عام ١٩٢٢، ولذلك أصدرت السلطات الفرنسية قراراً بحل مجلس النواب وتعليق الدستور في ١٢ تشرين الأول ١٩٣٢ وتثبيت شارل دباس رئيساً للجمهورية (٤) ، وذلك قطعاً

---

(١) محمد جميل بيهم : النزاعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٢٦. / أنظر بشارة الخوري : المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٢) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٤) محمد جميل بيهم : قوافل العروبة، ج٢، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

للطريق التي اوشكت ان توصل توصل مسلم الى رئاسة الجمهورية، الأمر الذي يضر بمصلحة فرنسا وانصارها المسيحيين الذين يريدون لبنان وطناً مسيحياً ومركزاً استراتيجياً هاماً لفرنسا في المنطقة، والذي لا يتحقق في ظل وصول مسلم الى رئاسة الجمهورية اللبنانية، حيث سيقضي هذا الأخير على الوجه المسيحي للبنان ويدخله في الدائرة الاسلامية والسورية ويقضي على الوطن المسيحي اللبناني.

رد المسلمون على تعليق الدستور اللبناني والغاء انتخابات الرئاسة برفع الشكاوي الى عصبة الأمم في جنيف والى الكتلة الوطنية في دمشق، فقد رفعت جمعية الشبيبة الاسلامية شكوى الى عصبة الأمم تحتج فيها على وقف الدستور والممارسات الطائفية في لبنان باعتباره تحدياً يراد منه اقصاء المسلمين عن رئاسة الجمهورية (١) ، كما بعثت مجموعة من الشخصيات الاسلامية والمسيحية في بيروت ببرقية الى مقر الكتلة الوطنية في دمشق جاء فيها : " اننا نستنكر تجزئة وطننا العربي الصغير ونطلب الوحدة الكاملة على أساس اللامركزية واللاطائفية والعدل". (٢)

أدى ابعاد الشيخ محمد الجسر عن منصب الرئاسة في الجمهورية اللبنانية الى شعور المسلمين بمبدأ التمايز بين اللبنانيين على الصعيدين الثقافي والسياسي، فقد اصدرت الدولة في حزيران ١٩٣٢ مرسوماً يقضي بتوزيع عشرين ألفاً من الليرات السورية على المدارس الخاصة، الارسالية والتبشيرية وغير الاسلامية التي تتركز فيها ابناء الطوائف المسيحية، بحجة ان الطوائف الاسلامية وخاصة الطائفة الشيعية ليست لها مدارس خاصة بقدر ما للطوائف المسيحية، وان معظم ابناء الطوائف الاسلامية يكفيهم الدعم الحكومي للمدارس الرسمية التي يشكل طلاب الطوائف الاسلامية فيها نسبة عالية جداً، ولذلك قامت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية بمعارضة هذا المرسوم بسبب الاجحاف اللاحق بالمسلمين، واصدرت الجمعية مذكرة احتجاج للمسؤولين تضمنت المطالبة بإقامة العدل والمساواة بين مختلف الفئات والطوائف في المجالات المختلفة. (٣)

---

(١) محمد جميل بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب، المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٣) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٤١.

وبالرغم من كل ذلك يمكن القول ان قضية انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٣٢م، وأن اتخذت في الغالب طابعاً طائفياً غير ان ملامحها العامة تعتبر سياسية بدليل ان بعض القوى السياسية والدينية والشعبية المسيحية ايدت ترشيح الشيخ محمد الجسر، وكذلك ظهور التكتلات السياسية والاحزاب ذات الصيغة الائتلافية بين المسلمين والمسيحيين خلال هذه الفترة.

فقد شهدت الفترة التي تخللت اجواء انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٣٢م وما بعدها تحولات جديدة على الساحة اللبنانية، حيث لم يعد الصراع داخل لبنان صراعاً طائفياً فحسب، بقدر ما كان سياسياً، فقد ظهر في هذه الفترة تقارب مسيحي-اسلامي تمثل في ظهور تكتلات اسلامية-مسيحية اشتركت في هداف واحدة، على أساس التقاء وجهات النظر بين انصار الكيان اللبناني وانصار الوحدة السورية بشأن عوامل مشتركة بينهم تمس حياتهم، كتعليق الدستور البناني وهيمنة سلطات الانتداب الفرنسي المباشرة على الحكومة، بالاضافة الى الأزمة الاقتصادية التي رزخ تحت وطأتها لبنان في ذلك الوقت حيث لم يعد التعامل التجاري والاقتصادي مع سوريا حراً مما أثر على اقتصاديات لبنان خاصة المناطق التي الحقت به عام ١٩٢٠م، ولذلك اصبح هدف القضاء على الهيمنة الفرنسية المباشرة على لبنان أمراً يجمع عليه المسلمون انصار التوجه السوري وبعض الفئات المسيحية المتضررة من الانتداب سياسياً واقتصادياً. (١)

ومن هذه المظاهر اشتراك بعض ابناء الطوائف المسيحية والاسلامية في عقد المؤتمر العربي في جنيف في تموز عام ١٩٣٢م، فقد اشترك في المؤتمر النائب الماروني يوسف الخازن والنائب الارثوذكسي شبل دموس مع ممثلي الطوائف الاسلامية الذين كان على رأسهم رياض الصلح وغيره من ابناء الطوائف الاسلامية، طالبوا جميعهم باعادة العمل بالدستور الموقوف واجراء انتحابات الرئاسة حسب ارادة ابناء لبنان ورغبتهم في انتخابات حرة نزيهة وبمشاركة كافة الطوائف اللبنانية. (٢)

ومن هذه المظاهر الائتلافية بين المسيحيين والمسلمين ايضاً "المؤتمر الوطني" الذ عقد في بيروت في ١٧ تموز ١٩٣٣م، وضم في جنباته عناصر اسلامية ومسيحية على السواء، حيث

---

(١) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ١٤٣.

كان الاجتماع في دار رشيد نخلة (رئيس المؤتمر) وحضره جورج بيضون، فؤاد الخوري، اميل لحود من المسيحيين، ومن المسلمين محمد جميل بيهم (نائب الرئيس)، د. مصطفى الرفاعي، امين الحلبي، وجاء المؤتمربقرارات واقتراحات تضمنت المواضيع التالية : (١)

١- تحديد علاقة لبنان مع فرنسا بمعاهدة صريحة تحفظ بشرف وجلاء حقوق الفريقين.

٢- ابدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين فرنسا من جهة وبين لبنان وسوريا من جهة اخرى. وتقوم على الاستقلال اللبناني في الاتحاد السوري، والمحافظة على اللغة العربية لغة رسمية البلاد.

٣- وضع دستور يقدم الى جمعية الأمم ووزارة الخارجية الفرنسية يقوم على أساس الجَدارة فقط لا على الأسس الطائفية. وتظهر في خلجات هذا المؤتمر النبرة السورية كما في البند الثاني.

ومن تلك المظاهر التي تدلل على تقبل انصار الوحدة السورية من ابناء المناطق الساحلية للكيان اللبناني ، مطالبة جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت من خلال مذكرات وجهتها الى المفوض السامي الفرنسي "بونسو" (Ponsot) والرئيس اللبناني شارل دباس، في ١٠ كانون ثاني ١٩٣٣م، بانصاف المسلمين واقامة العدالة بينهم وبين كافة اللبنانيين دون تفريق، وجاء في المذكرة التي وجهتها الجمعية للرئيس شارل دباس في ٢٣ كانون ثاني ١٩٣٣م : "لما باشرت حكومتكم الجليلة باجراء الاحصاء الأخير استبشر المسلمون بهذا العمل وعقدوا عليه الآمال وأقبلوا عليه على اختلاف مذاهبهم اعتقاداً منهم بان هذا الاحصاء سيساعدهم على نيل حقوقهم كاملة في الجمهورية اللبنانية الجليلة" (٢) ، كما طالبت الجمعية ايضاً بالمحافظة على حقوق الطوائف الاسلامية باعتبارها نصف سكان البلاد، وانصافها في التمثيل النيابي عند تقسيم الدوائر الانتخابية.

ومما تجدر الاشارة اليه هو ذلك التداخل والامتزاج في تلك الفترة بين الارهاصات الوحدوية والاعتراف بالكيان اللبناني، ففي الوقت الذي اخذ فيه انصار الوحدة السورية (الاكثرية الاسلامية) بتقبل الكيان اللبناني والمطالبة بالمساواة والحرية داخل هذا الكيان، نجدهم يسارعون لعقد المؤتمرات من اجل المطالبة بالوحدة السورية والاستقلال التام، مع ملاحظة جنوح بعض انصار الكيان اللبناني نحو التعاطف مع انصار الوحدة السورية، بل وحضور المؤتمرات وتشكيل التكتلات غير الطائفية كما مرّ معنا.

---

(١) رشيد نخلة : كتاب المنفى، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٥٦م، ص ٧٨.

(٢) حسان حلاق : مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، المصدر نفسه، ص ١٧٨. / أنظر محمد جميل بيهم : النزعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٣١.

ففي ١٦ تشرين ثاني عام ١٩٣٣م عقد انصار الوحدة السورية من أبناء المناطق الساحلية من مسلمين ومسيحيين أرثوذكس "مؤتمر الساحل" (١) في بيروت، بمنزل سليم علي سلام، أحد الوجوه البارزة من ابناء الطائفة الاسلامية في بيروت، وطالب المؤتمر بالأمور التالية:

١- وحدة البلاد السورية.

٢- اقامة المساواة بين مختلف الطوائف اللبنانية.

٣- اطلاق الحريات العامة.

وجاء في المذكرة التي رفعها المؤتمرون الى المفوض السامي "دي مارتيل" "Damien de Martel" : "... رفعنا مرات عديدة لحكومة فرنسا الفخيمة والى جمعية الأمم مطالبنا، وبأننا نحرص جداً على ان نكون ضمن الوحدة السورية العامة التي لا حياة لبلادنا بدونها". (٢)

وفي ١٠ آذار عام ١٩٣٦م عقد ابناء الساحل والاقضية الاربعة التابعة له، في بيروت "مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة" (٣) ، الذي اشترك فيه المسلمون وبعض ابناء الطوائف المسيحية، برئاسة سليم علي سلام ومن المسيحيين الذين اشتركوا فيه صلاح لبكي والمحامي فوزي بروديل ويوسف يزبك (ماروني). وقد اعاد المؤتمرون تأكيدهم على مقررات المؤتمرات السابقة لأبناء الساحل ١٩٢٨م، ١٩٣٣م، التي تتلخص في طلب الوحدة السورية والحرية والسيادة التامة، وفي الرسالة التي وجهت لوزارة الخارجية الفرنسية والوفد السوري المفاوض خلال المحادثات الجارية في باريس لتوقيع المعاهدة الفرنسية أكّدوا فيها على ان "المناطق السورية التي ضمت الى لبنان برغم معارضة سكانها يطالبون من خلال مؤتمر عقدوه، بالوحدة السورية الشاملة" (٤) ، كما كلف المؤتمر اعضاء الوفد السوري بتمثيلهم والدفاع عن قضاياهم. وفي نفس العام وفي ٢٤ تشرين الثاني، وعندما كان الوفد اللبناني يتباحث مع الفرنسيين بشأن

---

(١) ومن أبرز الشخصيات الإسلامية التي حضرت المؤتمر : سليم علي سلام رئيس المؤتمر ، عبد الحميد كرامي، عمر بيهم، محمد جميل بيهم، عبد اللطيف البيسار ، محمد عارف الزين، وقد غلب الطابع الإسلامي على المؤتمر

(٢) حسان حلاق : مؤتمر الساحل الأقضية الاربعة، المصدر نفسه، ص ١٧٨

(٣) يقصد بمناطق الساحل والأقضية الأربعة : مناطق بيروت، طرابلس، صيدا، صور ، مرجعيون أما الأقضية الأربعة فهي، حاصبيا، راشيا، بعلبك، والمعلقة وكانت هذه المناطق تابعة لولاية الشام في العهد العثماني.

(٤) عصام خليفة : أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر ، المصدر نفسه، ص١٣٢.

توقيع معاهدة على غرار المعاهدة السورية الفرنسية، عقد ما يزيد على ٢٥ شخصية اسلامية مؤتمراً لهم في منزل عمر بيهم (من ابرزهم سليم سلام، رياض الصلح، عبدالحميد كرامي، الشيخ عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، الأمير عادل ارسلان وغيرهم) وأصدر المؤتمر عدة قرارات عبّرت عن النزوع الجامح لديهم نحو الوحدة الشاملة، وقد عُرف المؤتمر باسم "المؤتمر القومي الاسلامي" ومن قراراته :

١- ان المسلمين هم من جملة طلاب السيادة القومية من ابناء هذا البلد، مرتكزة على وحدة شاملة لأجزاء سوريا أولاً والاقطار العربية ثانياً، وهم يتخذون من هذه المبادئ دستوراً اعلى لهم يعملون في سبيل تحقيقه بكل الوسائل المشروعة.

٢- لما كان فريق من ابناء الوطن لا يرون تحقيق الوحدة السورية اليوم فان المسلمين حباً منهم في ايجاد روح الألفة والتقارب بين ابناء الوطن الواحد... لا يرون باساً في وضع الصلة بين الجمهورية اللبنانية والجمهورية السورية على أساس الاتحاد بأوسع ما يمكن من اشكاله.

٣- ان المؤتمرين مع احترامهم لأفراد الوفد اللبناني المفاوض لا يسعهم الا ان يعلنوا احتجاجهم على الطريقة التي اتبعت في تأليف هذا الوفد، كونه أبعد مؤيدي الوحدة السورية عن الاشتراك في المفاوضات.

٤- لما كانت التجارب التي مرت بسكان الجمهورية اللبنانية قد اثبتت ان النظام الذي تمشت عليه هذه الجمهورية منذ نشأتها قد ادى الى كثير من الاجحاف بمناطق وفئات منها دون أخرى... فإن المسلمين يطلبون علاجاً لذلك ووضع فصل صريح في المعاهدة اللبنانية الفرنسية يقر اللامركزية على النحو الذي تضمنته المعاهدة الفرنسية-السورية ويضمن المساواة بين الطوائف في الحقوق والواجبات. (١)

وخلال مرحلة البحث تبلورت الإتجاهات السياسية التالية :

---

(١) حسان حلاق : مذكرات سليم علي سلام، المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

الأحزاب والمنظمات ذات الإتجاه اللبناني

منظمة الكتائب اللبنانية

أسست منظمة الكتائب عام ١٩٣٦م، على أسس رياضية عسكرية كتقليد للمليشيات العسكرية النازية والفاشستية في المانيا وإيطاليا، خاصةً بعد زيارة مؤسس المنظمة الشيخ بيّار الجميّل إلى برلين وروما، واطلاعه على قوة تنظيم وأداء هذه المنظمات، وفي هذا الصدد قال بيّار الجميل عن ظروف تأسيس الكتائب : " كنت أحد مندوبي لبنان في الحفلات الأولمبية التي جرت مؤخراً في المانيا، فتسنى لي إبّان رحلتي إلى برلين مشاهدة الفرق العديدة المنظمة، ... كما مررت في النمسا وتشيكوسلوفاكية وايطاليا فشاهدت بأم عيني تلك الشبيبة المنظمة، وحداني ذلك إلى التفكير في تنظيم شبيبتنا اللبنانية على مثالها، وقد ساعدني على تحقيق رغبتي ما لي من نفوذ في الأوساط الرياضية التي لم تسرِ بعد إلى أهداف وطنية " (١) ، ومن مؤسسي الكتائب بالإضافة إلى رئيس المنظمة الشيخ بيّار الجميّل، شارل حلو، جورج نقّاش، إميل يارد وجميعهم من النصارى وشفيق طبارة وهو المسلم الوحيد من بين المؤسسين. (٢)

وقد ساهمت أسباب عديدة في ولادة منظمة الكتائب في أواخر عام ١٩٣٦م، فولادة دولة لبنان الكبير بهيمنة مسيحية كانت قد دفعت الفريق الحاكم في لبنان الى تشجيع ولادة احزاب ومنظمات لبنانية ينضوي تحت لوائها اللبنانيون او على الأقل المسيحيون لتعزيز هيمنتهم والتصدي لفريق آخر بأغلبية اسلامية وارثوذكسية يناهض الكيان اللبناني، فكانت ولادة منظمة الكتائب ذات الطابع الطائفي (الماروني) في اواخر عام ١٩٣٦م من هذا القبيل، حيث ظهرت الكتائب في ظل ظروف قيام العديد من المنظمات والاحزاب اللبنانية ذات التوجه الوحدوي، وفي ظل ظروف توقيع المعاهدة الفرنسية – السورية، والمعاهدة الفرنسية – اللبنانية، وتبني انصار الوحدة في لبنان لمطالب الكتلة الوطنية في دمشق وتأييدهم لمطالب الوفد السوري في المفاوضات السورية – الفرنسية عام ١٩٣٦م وتكليفهم اياه بتمثيلهم والدفاع عن قضاياهم الوحدوية (٣) ،

---

(١) الكتائب اللبنانية : بيار الجميل في خدمة لبنان، دار الطباعة والنشر اللبنانية، ١٩٥٠م، ص ٢٩.

(٢) فضل شرور : الأحزاب والتنظيمات والقوى السياسية في لبنان (١٩٣٠-١٩٨٠)، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٠٠./ أنظر الكتائب اللبنانية المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣) أنطون سعادة، الآثار الكاملة، ج٣، ١٩٧٨م، ط١، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٤٤-٢٤٥.

ويبدو أن المستوى الثقافي والوعي السياسي قد دفع المسيحيين الى التنظيم الحزبي وتأطير الطاقات الإجتماعية لتحقيق أهداف سياسية معينة، كما يظهر من كلام مؤسس المنظمة.

وقد تزامنت نشأة منظمة الكتائب مع ظهور العديد من المظاهرات الوحدوية في بعض المدن اللبنانية تضامناً مع مطالب الكتلة الوطنية في دمشق بالاستقلال والسيادة ووحدة بلدان المشرق العربي، حيث أوكل لمنظمة الكتائب في بداية تأسيسها الرد على المظاهرات الوحدوية، التي كان يمثلها الحزب القومي السوري وانصار الوحدة السورية والعربية في لبنان، وفي هذا الصدد يقول مؤسس الكتائب بيار الجميل (مسيحي ماروني) : "رفع الانفصاليون آنذاك رؤوسهم فانبرينا لهم وصديناهم بقوة، فعلى مظاهرات طرابلس، أجبنا بمظاهرات في إهدن وجونية وجبيل... وعلى مناشير توزع في صيدا أجبنا بمناشير اخرى، وعلى أضراب بإضراب أخر وعلى اقفال مدينة بأقفال مدينة أخرى، وعلى وفد من عندهم الى المفوضية العليا بوفد من عندنا... كان علينا ان نثيرها ازمة كي نرسم حدود وطننا على الخرائط الجغرافية والكتب المدرسية". (١)

وبالرغم من التنظيم شبه العسكري للمنظمة المتأثر بشخصية المؤسّس بيار الجميّل الذي تسنّى له الاطلاع على المنظمات الفاشستية والنازية في ايطاليا والمانيا من خلال عمله كممثل للبنان في الحفلات الاولمبية، حيث شاهدها وتأثر فيها ليشكل من الشباب اللبناني هيئة سياسية على غرارها تحت اسم هيئة رياضية الشباب، إلاّ أنها في الحقيقة هيئة سياسية تحت مسمى رياضي ضمت في الغالب ابناء الطائفة المارونية وان كان دستورها يسمح بانضمام ابناء الطوائف الأخرى اليها. (٢)

أهداف الكتائب : في ٧ تشرين الثاني عام ١٩٣٦م صدر أول بيان تأسيسي للمنظمة جاء فيه : "لم تنشأ في سبيل أحد ولا ضد أحد وهي لن تعيش ولا تزدهر إلاّ بإرادة الجميع". (٣)

"وحسب المادة الأولى من القانون الأساسي للمنظمة لعام ١٩٣٨م هدفت الكتائب إلى إنشاء منظمة وطنية بالتحالف مع فرنسا وذلك :

---

(١) بيار الجميل : لبنان بين واقع ومرتجى، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢٢٥.

(٢) الكتائب اللبنانية : بيار الجميل في خدمة لبنان المصدر نفسه، ص ٢٩. / أنظر Longrigg. Op. CIT. P. 284

(٣) تاريخ حزب الكتائب اللبنانية (١٩٣٦-١٩٤٠)، ج١، دار العمل للنشر، ١٩٧٩م، ص ٣٣١.

١- بتربية مواطنين لهم مثال وطني.

٢- إعداد الشباب للقيام بإلتزاماتهم الوطنية قياماً يتفق ومصلحة الوطن والعائلة.

٣- بإنماء روح التضحية في صفوف الشباب مقروناً بمبدأ النظام والتعاون.

٤- بإحياء عوامل الأخوة بين أبناء الوطن.

٥- تهذيب طباعهم وتعويدهم التسامح وإحترام حريات الغير إحتراماً مطلقاً. (١)

وفي أول تموز عام ١٩٣٨م صدر تعديل في القانون الأساسي للكتائب في المادة الأولى حيث أصبحت "الكتائب اللبنانية منظمة للشباب الوطني غايتها السعي المتواصل إلى إعداد أمة لبنانية تدرك واجباتها وحقوقها في دولة ناجزة الإستقلال كاملة السيادة بالتحالف والصداقة مع فرنسا" (١٤٣)، وقالت "بأن لبنان وحدة سياسية وتاريخية وجغرافية وأن لبنان أمة تتبع أمم البحر المتوسط وحضارته". (٢)

ويمكن إجمال اهم مبادئ المنظمة كما أُعلنت عند التأسيس :

١- العدالة الإجتماعية.

٢- نظام إقتصادي لبناني حر.

٣- المحافظة على الكيان اللبناني. (٣)

وبالرغم من أن دستور المنظمة لا يمانع من دخول أبناء الطوائف الأخرى غير المسيحية في عضويتها، إلاّ أن الطابع الماروني الطائفي غلب على الكتائب، ويتضح ذلك أيضاً من خلال اللجنة التأسيسية المؤلفة من "بيار الجميّل (الرئيس)، جورج نقّاش، شارل الحلو، إميل يارد"، وفي الواقع ساندت السلطة اللبنانية والمفوضية الفرنسية منظمة الكتائب للجم المطالب الإسلامية والوحدوية والوطنية في الإستقلال والسيادة.

حزب الوحدة اللبنانية :

---

(١) القانون الأساسي للكتائب اللبنانية لعام ١٩٣٨، مطبعة عازار بيروت، ١٩٣٨من ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣) فضل الشرور : المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

وفي إطار المحافظة على الكيان اللبناني والوقوف في وجه التيارات الوحدوية تواجد على الساحة اللبنانية "حزب الوحدة اللبنانية" الذي تأسس في ١٠ آذار عام ١٩٣٦م، بمباركة البطريركية المارونية التي ساندت توفيق لطف الله عواد وإبراهيم مخلوف عريضة بتأسيس حزب سياسي هدفه الدفاع عن وحدة الأراضي اللبنانية (لبنان الكبير) (١) ، وفي ظل الظروف الراهنة آنذاك حيث بدء المفاوضات السورية الفرنسية لتوقيع معاهدة بدل الإنتداب، ومطالبة الوفد السوري بإعادة المناطق التي ضُمت إلى لبنان عام ١٩٢٠م، وتجدد نشاط أنصار الوحدة السورية في لبنان بما يدعم طلب الوفد السوري المفاوض. تشكل حزب الوحدة اللبنانية ذو الأغلبية المارونية، وبدعم قوي من الفرنسيين. (٢)

وقد لعب هذا الحزب دوراً هاماً وكبيراً في أثناء المفاوضات السورية اللبنانية، فقد وجه رئيسه توفيق عوّاد إنذاراً إلى المواطنين السوريين يحذرهم فيه من "تشجيع الإنفصاليين اللبنانيين لأنهم لا يفوزون سوى بزرع أسس الإنقسام على إختلافه بين البلدين" (٣) ، وفي دعوتهم المتشددة للكيان المسيحي اللبناني، يقول أعضاء الوحدة اللبنانية : "أن لبنان قام على جماجم الأحبار والبطاركة، وسيظل لبنان وطن للأحبار والبطاركة. (٤)

ومن ضمن مبادئ الحزب عند تأسيسه عام ١٩٣٦م ما يلي :

١- المحافظة على الكيان اللبناني بحدوده الطبيعية الحاضرة.

٢- معارضة كل فكرة ترمي إلى الوحدة مع سورية أو إقتطاع بعض الأراضي اللبنانية أو ما يسمونه الإتحاد اللامركزي.

٣- إنصاف جميع الطوائف على أساس المساواة.

٤- عقد معاهدة مع الدولة الفرنسية تضمن للبنانيين الإستقلال والسيادة القومية من كل نواحيها.

---

(١) أنطون سعادة : الآثار الكاملة، ج٣، المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٢) فضل الشرور المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) LONGRIGG, OP. Cit, p. 285

(٤) محمد جميل بيهم : النزعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٧٨.

٥- تأليف وفد يضم جميع العناصر الموالية للبنان يعاونه فخامة رئيس الجمهورية إميل أده لعقد المعاهدة الفرنسية-اللبنانية. (١)

وقد تعاون الحزب في الفترة (١٩٣٦-١٩٣٧) مع منظمة الكتائب في مجال "تحرير لبنان والإستقلال التام". ومن خلال مبادئ الحزب وأهدافه يظهر واضحاً أن الحزب هو من جملة الأحزاب الطائفية التي نشأت في لبنان في تلك الفترة، فقد غلب عليه الطابع المسيحي الماروني المعادي للعروبة والوحدة العربية، ويدلل على ذلك ما قاله النائب توفيق عوّاد رئيس حزب الوحدة اللبنانية في إحدى جلسات مجلس النواب اللبناني عام ١٩٣٦م حيث قال : " أن حزب الوحدة قام ليناوئ إمتداد النهضة القومية في البلاد التي بعثها الحزب السوري القومي، الذي كان يُنظم عدداً كبيراً من الشباب حتى في المناطق اللبنانية الصرفة، ومنعاً لهذا الإتجاه تأسس حزب الوحدة اللبنانية ثم تبعته الأحزاب الأخرى " (٢) ، وقد إنحل هذا الحزب وتلاشى منذ بدايات عام ١٩٣٨م، ليدخل أعضاء هذا الحزب في منظمة الكتائب والكتلة الوطنية. (٣)

الكتلة الوطنية :

وضمن إطار التيار اللبناني ظهرت بعض الكتل البرلمانية التي شكلت النواة لأحزاب سياسية فيما بعد هما الكتلة الوطنية التي تزعمها إميل إده، وأصبحت منذ عام ١٩٤٣م حزباً سياسياً عُرف بحزب الكتلة الوطنية، والكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري وعرفت فيما بعد بحزب الكتلة الدستورية أو حزب الإتحاد الدستوري.

ففي عام ١٩٣٦ شهد البرلمان اللبناني إنقساماً متوازياً بين كتلتين، غلب عليهما الطابع المسيحي الماروني، الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية، وقد إنعكس هذا الإنقسام بين المواطنين في الأوساط المسيحية في جبل لبنان بشكل خاص. وقد مثل تكتل إده تيار اللبننة المتعصب للبنان والمرتبط بفرنسا والمعادي لعروبة لبنان بل والرافض لها، حيث يقول هذا التيار بالأمة اللبنانية المتحدرة من أصل فينيقي، ويعادي الحركات اللبنانية الداعية للوحدة السورية أو العربية في ذلك الوقت، وقد قوي هذا التيار بسبب تشجيع ورعاية زعيمه إدميل إده الذي كان رئيساً للمجلس

---

(١) أنطون سعادة : الآثار الكاملة، ج٣، المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٣) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٦٥.

النيابي عام ١٩٢٤، ورئيساً للوزراء في عام ١٩٢٩-١٩٣٠م، ثم رئيساً للجمهورية في الفترة الممتدة من ١٩٣٦-١٩٤١، وهي فترة إنبثاق الكتلة البرلمانية هذه، الأمر الذي مكّنه من الوقوف في وجه كل التيارات الداعية لإستقلال لبنان عن فرنسا والإرتباط مع سوريا بنوع من الإتحاد الذي دعا إليه زعماء الطوائف الإسلامية وبعض الفئات المسيحية الاخرى. إلاّ أن الكتلة عدّلت من توجهاتها نحو البلاد العربية منذ عام ١٩٤٣م حيث تم الإتفاق في لبنان على أن يتنازل أنصار الوحدة عن مطالبهم الوحدوية في حين يتنازل أنصار التيار اللبناني عن الحماية والتدخل الأجنبي، وكان هذا في ميثاق عام ١٩٤٣م. (١)

الكتلة الدستورية: أما التكتل الأخر الذي ترأسه بشارة الخوري الذي أصبح أيضاً رئيساً للجمهورية اللبنانية في عام ١٩٤٣م، فهو يمثل أيضاً التيار اللبناني ولكن مع إنفتاح على العرب، حيث إختلف مع الكتلة الوطنية في نطاق الإنتداب، وضمن حدود التعاون مع الفرنسيين، كما أن هذا التكتل الدستوري ضم في صفوفه بعض المسلمين من الدروز، ويبدو أن المعارضة الأساسية التي أبدتها الكتلة الدستورية تجاه الكتلة الوطنية تعود إلى المنافسة على الحكم، الامر الذي جعل الكتلة الدستورية تميل نحو معارضة منافستها في التركيز على توثيق العلاقات مع البلاد العربية وتنمية التعاون الإقتصادي والثقافي والتجاري بين لبنان والأقطار العربية، لكي تعتمد على المسلمين للوقوف في صفها ضد الكتلة الوطنية (٢)، وخاصة في الإنتخابات النيابية والرئاسة.

الإتجاه السوري

الحزب السوري القومي الإجتماعي :

وإلى جانب التيار القومي العربي في لبنان ظهر تياران قوميان إقليميان دعا أحدهما إلى القومية اللبنانية على النحو الذي رأينا في حزب الكتائب وحزب الوحدة اللبنانية في حين دعا الثاني إلى القومية السورية كمتمم للقومية اللبنانية، ففي ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٣٢م، شهدت الساحة اللبنانية ولادة حزب جديد على يد انطون سعادة (أستاذ اللغة الالمانية في الجامعة الامريكية في بيروت) (٣) ، وقد بدأ أنطون سعادة بتأسيس الحزب السوري القومي مع خمسة من طلاّب الجامعة الأمريكية في بيروت هم : جورج عبد المسيح وفؤاد جرجس حدّاد وجميل صوايا

---

(١) Suleiman , Michael " Parties in Lebanon, the Challege of Afragment Political Culture" . New York. 1967. P.P. 250-251.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(٣) علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٩٠.

(لبنان)، زهاء الدين آل حمود (الأردن) وآخر من دار تلحوق، وقد أبعد الاخيرين آل حمود وتلحوق لتظاهرهما بالإقتناع بالحزب (١) ، وقد ساعد أنطون سعادة "المسيحي الأرثوذكسي" الذي نشأ في البرازيل وتلقى قسم من تعليمه في ألمانيا على تحقيق ما يبتغيه من تفكير عقائدي، خبراته التي اكتسبها عن طريق إنخراطه في الجمعيات والأحزاب السورية التي قامت في المهجر ، وتأثره بأفكار والده الدكتور خليل سعادة الذي أسس "الحزب الوطني الديمقراطي" في الأرجنتين عام ١٩١٩م، ودعا فيه إلى فيدرالية سياسية تضم لبنان وسوريا وفلسطين على قاعد اللامركزية، كما شكلت مجلة "المجلة" لهذا الحزب منبراً لطروحات أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي. (٢)

وبعد إخفاق أنطون سعادة في تأسيس جمعية سياسية على أسس قومية في المهجر وعدم إستطاعته إقناع أعضاء الجمعيات السياسية السورية واللبنانية في المهجر خاصة في الولايات المتحدة على تبني عقيدته القومية بسبب إنجراف بعضهم مع مخططات السياسة الغربية ومُعاداة أي دعوة قومية (٣) ، رجع أنطون سعادة إلى لبنان وكان قد أصدر كتاباً أسماه "نشوء الأمم" مركزاً فيه على نظرياته في القومية ومقومات الامة وبوضح فيه العقيدة التي رسا عليها تفكيره بعد جهد طويل من الخبرات والمحاولات وهي "ان السوريين أمة تامة" ويوضح ذلك بقوله : "وقد أجبت نفسي بعد التنقيب الطويل فقلت هذا المبدأ "سوريا للسوريين والسوريون أمة تامة". (٤)

ومع بداية عام ١٩٣٤م، أعلن أنطون سعادة مبادئ الحزب الأساسية أمام المؤسسين، واتخذ لنفسه لقب رئيس الحزب، وأبدلت فيما بعد في نفس السنة بلفظة الزعيم بدلاً من لفظة الرئيس. وجاء في المبادئ الأساسية للحزب السوري القومي الإجتماعي :

المبدأ الاول : سورية للسوريين والسوريون أمة واحدة.

المبدأ الثاني : القضية السورية هي قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الإستقلال عن اي قضية أخرى.

المبدأ الثالث : القضية السورية هي قضية الامة السورية والوطن السوري.

---

(١) علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) LONGRIGG Op. Cit, p. 285 .

(٣) الأزمة اللبنانية أصولها، تطورها، أبعادها المختلفة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٣٠٥.

(٤) أنطون سعادة الآثار الكاملة، ج٢، (١٩٣٢-١٩٣٦)، ط١، بيروت/ ١٩٧٦م، ص ٨٣.

المبدأ الثالث : القضية السورية هي قضية الامة السورية والوطن السوري.

المبدأ الرابع : الامة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولد من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي.

المبدأ الخامس : الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيه الامة السورية وهي ذات حدود جغرافية تميزها عن سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري في الغرب شاملة جزيرة قبرص، إلى قوس الصحراء العربية وخليج العجم من الشرق ويعبّر عنها بلفظ عام : الهلال السوري الخصيب ونجمته جزيرة قبرص.

المبدأ السادس : الامة السورية مجتمع واحد.

المبدأ السابع : تستمد النهضة السورية القومية الإجتماعية روحها من مواهب الامة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي. (١)

وفي المبدأ الأول من المبادئ الإصلاحية للحزب جاء : "فصل الدين عن الدولة". (٢)

وهكذا فإن تصور سعادة للأمة السورية يدخل ضمن ما يُعرف بالتصور الإقليمي للأمة، حيث أن المحدد الاساسي للأمة عند انطون سعادة هو الإقليم أو البيئة الجغرافية الواحدة، وليس الرابطة العرقية ولا مجرد الإرادة والمصلحة (٣) ، بل يُعطي الدور الاكبر في تكوين الهوية القومية للأرض أو الجغرافية على أنها صانعة الجماعة القومية ذات المتحد الجغرافي والثقافي والتاريخي، ويرى بأن مقومات القومية السورية هي وحدة الجغرافيا ووحدة التاريخ ووحدة الشعب الذي يتكون من مزيج مركب من عدة سلالات وينكر سعادة الأساس العرقي للقومية العربية ويقول بعدم نقاء السلالة أو العرق والدم ويتضح ذلك من قوله : "أن مبدأ القومية السورية ليس مؤسساً على مبدأ وحدة سلالية بل على مبدأ الوحدة الإجتماعية الطبيعية لمزيج سلالي متجانس" ويقول أيضاً : "أما إدعاء نقاوة السلالة الواحدة أو الدم فخرافة لا صحة لها في أمة من الامم على الإطلاق وهي نادرة في الجماعات المتوحشة... وكل الامم الموجودة هي خليط من

---

(١) أنطون سعادة : الآثار الكاملة، ج٢، المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٥.

(٣) ناصيف نصار : تصورات الأمة المعاصر، المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

سلالات ... ومن عدة اقوام تاريخية" (١) ، ومن هنا يتضح ان تصور سعادة للأمة جاء في سياق الدفاع عن الوطنية السورية ضد النزاعات الطائفية والدينية والتيار القومي العربي والسياسة الإستعمارية الأوروبية.

وكما إستبعد سعادة العنصر أو العرق كمقوم أو دعامة من دعامات الامة القومية إستبعد كذلك اللغة ولكنه عدها عامل ضروري تكميلي لنشوء الأمم وهي ليست العامل الأول والتأسيسي لنشوء الأمم (٢) ، وكذلك استبعد العامل الديني، حيث دعا إلى العلمانية والعدالة الإجتماعية، وقال بأن الدولة القومية لا تتأسس على الدين بل أن الدين منافٍ للقومية بشكل عام وفي سوريا بشكل خاص، ويورد سعادة ذلك بقوله : "أن فكرة الجامعة الدينية السياسية منافية للقومية عموماً والقومية السورية خصوصاً، فتمسك السوريين المسيحيين بالجامعة الدينية يجعل منهم مجموعاً ذا مصلحة متضاربة، مع مصالح دينية أخرى ضمن الوطن، ويعرض مصالحهم للذوبان في مصالح الأقوام التي تربطهم بها رابطة الدين، وكذلك تشبث السوريين المحمديين بالجامعة الدينية يعرض مصالحهم للتضارب مع مصالح أبناء وطنهم الذين هم من غير دينهم، وللتلاشي في مصالح الجامعة الكبرى، المعرضة أساساً لتقلبات غلبة العصبيات، كما تلاشت في العهد العباسي والعهد التركي". (٣)

أما عن موقف الحزب السوري القومي الإجتماعي من القومية العربية والإنتماء العربي، فقد جاء مضطرباً حيث دعا الحزب إلى تنظيم العلاقة بين الوطنية السورية "الأمة السورية" والإنتماء العربي، وذلك بالدعوة إلى جبهة عربية منظمة يكون للأمة السورية فيها دور السيادة والقيادة والتوجيه لتميزها وأهليتها على المحيط العربي الذي توجد فيه (٤) ، وبالرغم من التعارض والإضطراب الذي نلاحظه بين الفكرتين السورية والعربية في مبادئ الحزب، وبالرغم أيضاً من التركيز على الامة السورية والوطن السوري، إلاّ أن سعادة ومن خلال شرحه لمبادئ الحزب السياسية يقول : "إن مبدأ الامة السورية التامة لا يُنافي مطلقاً أن تكون الامة السورية

---

(١) أنطون سعادة : المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) عز الدين ذياب : التحليل الإجتماعي لظاهرة الإنقسام السياسي في الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢١٦.

(٣) أنطون سعادة : نشوء الامم، ط٢، دمشق، ١٩٥١م، ص ١٧٤. / أنظر سعادة : الآثار الكاملة : ج٢، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٤) أنطون سعادة : الآثار الكاملة، ج٢، المصدر نفسه، ص ١٠٢.

إحدى أمم العالم العربي، أو إحدى الامم العربية، كما أن كون الأمة السورية امة عربية لا ينافي أنها أمة تامة لها حق السيادة المطلقة على نفسها ووطنها، ولها بالتالي قضية أخرى". (١)

وفي سياق العلاقة العربية والإنتماء العربي فقد جاء في غاية الحزب وخطته تلميحاً آخر لهذه العلاقة : "إن غاية الحزب السوري القومي الإجتماعي بعث نهضة قومية إجتماعية تكفل تحقيق مبادئه وتعيد إلى الامة السورية حيويتها وقوتها، وتنظيم حركة تؤدي إلى إستقلال الأمة السورية إستقلالاً تاماً وتثبيت سيادتها وإقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها، والسعي لإنشاء جبهة عربية" (٢) ، وفي هذا السياق أيضاً يردف سعادة قائلاً : "اننا لن نتنازل عن مركزنا في العالم العربي ولا عن رسالتنا إلى العالم العربي. ولكننا نريد قبل كل شيء، ان نكون أقوياء في أنفسنا لنتمكن من تأدية رسالتنا، يجب على سوريا أن تكون أمة قوية بنهضتها القومية الإجتماعية لتستطيع القيام بمهمتها الكبرى". (٣)

ولكن سعادة كان قد سبق ذلك بالقول : "يعلن الحزب السوري القومي الإجتماعي أنه لا يعترف لأية شخصية أو هيئة غير سورية بحق التكلم بإسم المصالح السورية في المسائل الداخلية والخارجية أو بحق إدخال مصير المصالح السورية في مصالح أمة غير الأمة السورية" (٤) ، وهنا يظهر التناقض واضحاً إذ أن هذا الكلام يعني أن لا علاقة لغير السوريين بالتدخل في قضايا سورية وإن سورية بمعزل عن الآخرين وبهذا فهو ينفي أي تماس في العلاقات الداخلية والخارجية بين سورية وبين بقية البلدان العربية، ويبدو من هذا الكلام الذي يعطي حق القيادة والتوجيه لسوريا على بقية العرب وتفضيلها عليه، إن سعادة كان متأثراً بالنظريات العرقية والأفكار الفاشستية والنازية التي راجت في ذلك العصر والتي تقول بالتفوق العرقي والتمايز بين الأجناس وتصنيفها للأمم حسب معايير معينة، وقد وجهت لزعيم الحزب أنطون سعادة عدة تُهم تشير إلى تعامله مع إيطاليا والمانيا مثل : وضع المدارس الألمانية تحت تصرف الحزب قبل حصوله على رخصة رسمية، وتواجد القنصل العام لإيطاليا في السراي الحكومي في بيروت أثناء إعتقال أنطون سعادة عام ١٩٣٥م، ومشاهدته في نفس العام برفقة قنصل عام المانيا في بيروت ووجود شك بمبلغ أربعة آلاف مارك الماني بحوزة أحد أعضاء الحزب الموقوفين، عدا

---

(١) أنطون سعادة : المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٥.

عن إبداء سعادة إعجابه بالنظامين الإيطالي والألماني آنذاك لحلهما مشكلة البطالة وتقدم شعوبهما بسبب العقيدة المتفوقة لكل منهما. (١)

منظمة النجادة :

ولمواجهة تحركات منظمة الكتائب اللبنانية وما نادت به من الإنعزالية السياسية للبنان عن المحيط العربي، شكّلت مجموعة من قيادات بيروت الإسلامية منظمة شبه عسكرية في أواخر عام ١٩٣٦م، غلب على عضويتها الطابع الإسلامي (٢) ، ومن أبرز مؤسسي منظمة النجادة :عدنان الحكيم، أنيس الصغير، محي الدين النصولي، حسين سجعان، وعبد الله دموس، عماد الصلح، وجميل مكّاوي (٣) ، وقد شكّلت هذه المنظمة على غرار ونمط منظمة الكتائب، من حيث التنظيم شبه العسكري، والطائفية الغالبة والعمل السياسي تحت التيار الكشفي والرياضي والإعتماد على العنصر الشبابي. (٤)

وكنقيض لمنظمة الكتائب اللبنانية التي ظهرت قبلها دعت منظمة النجادة في بداية تأسيسها إلى المناداة بلبنان الحر العربي المستقل وإلغاء الطائفية وتكافؤ الفرص بين جميع اللبنانيين، ففي أول قانون أساسي لمنظمة النجادة جاء في المادة الرابعة منه : "أن غاية المنظمة جمع كلمة الشباب وتوحيد صفوفهم وإيقاظ الوعي القومي فيهم وترويضهم على الطاعة والنظام والتضحية وإنماء الروح الرياضية فيهم، وتوجيه جميع قواهم لرفع شأن لبنان وربطه بإتحاد مع بقية الأقطار العربية الشقيقة. (٥)

وقد حددت منظمة النجادة المبادئ العامة لسياستها الداخلية في المادتين الاولى والثانية من نظامها الأساسي :

١– أن النجادة حزب لبناني سياسي ديمقراطي عربي تحرري.

---

(١) عاصم الموصلي : الحزب حرب على العروبة ومؤامرة على سورية، د.ت.، ص ٢٠.

(٢) فضل شرور : الأحزاب والتنظيمات والقوى السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٣٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٨.

(٤) الأزمة اللبنانية : أصولها، تطورها أبعادها المختلفة، المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

(٥) القانون الأساسي للنجادة عام ١٩٣٧، ص ١٢.

٢- إلغاء الطائفية وتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص والعمل على تحرير المجتمع اللبناني من الرواسب بإشاعة روح الديمقراطية والعدالة الإجتماعية. (١)

وفي المادة الخامسة جاء : "تعتبر النجادة أن لبنان بلد عربي له ما لبقية الأقطار العربية من الحقوق وعليه ما عليها من الواجبات" (٢) ، وقد رفعت منظمة النجادة شعار "بلاد العرب للعرب" وهي جملة مقتبسة من أقوال الشريف حسين بن علي عندما أعلن الثورة العربية الكبرى على الأتراك عام ١٩١٦م، وتعبيراً عن موقفها الداعي لعروبة لبنان مع الإحتفاظ بخصوصية الكيان اللبناني، حملت معظم الفرق النجادية عدة أسماء لها دلالاتها في تاريخ العروبة والإسلام ولبنان، فكان من أسماء هذه الفرق : الوليد - الهاشمية - يوسف العظمة - فخر الدين المعني - ميسلون - الأنصار - بدر الكبرى - اليرموك - صلاح الدين الأيوبي - الأرز - لبنان - الرشيد - غازي الأول وغيرها من الأسماء، وقد إنتشرت فروع الحزب في المناطق ذات الكثافة السكانية الإسلامية. (٣)

وبعد نيل لبنان الإستقلال تخلت النجادة عن فكرة الإتحاد بطرح بديل وعدلت في مبادئها وجاء فيه : "لبنان بلد عربي له ما للبلاد العربية من حقوق وعليه ما عليها من واجبات وتؤمن بأبعد حقوق التعاون المعقولة بينه وبين الأقطار العربية على أساس تأمين مصالحه الحيوية وإحترام حرية سكّانه في تقرير مصيرهم وسيادتهم". (٤)

الإتجاه القومي العربي :

عصبة العمل القومي :

قام زعماء الحركة القومية العربية بمحاولة تجميع صفوفهم بعد أن أثار قلقهم الإنصراف نحو النزعة الإقليمية، وأنتهزوا فرصة إنعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس أواخر عام ١٩٣١م، فاتفقوا على ميثاق عربي قومي، أكّدوا فيه على وحدة البلاد العربية وتوجيه الجهود في كل قطر

(١) القانون الأساسي للنجادة : ص ١٢

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٣) علي شعيب : تاريخ لبنان من الإحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٤) القانون الأساسي للنجادة عام ١٩٣٧، ص ٥٩-٦٠.

نحو رفض السياسات الإقليمية والعمل على تحقيق الإستقلال والوحدة العربية. وكان من ضمن هذه الجهود قيام "عصبة العمل القومي" بعد عقد مؤتمر سري في قرنايل-بلبنان عام ١٩٣٣م، على يد مجموعة من الشباب المثقف في سوريا وفلسطين ولبنان والعراق (١) ، وكان من حضر مؤتمر عصبة العمل القومي آنذاك المرحوم أكرم زعيتر (فلسطيني)، فريد زين الدين (سوري)، عبد الرزاق الدندشي (سوري)، واصف كمال (فلسطيني)، علي ناصر (لبناني)، ثابت العزاوي (عراقي)، أصدروا بنهاية الإجتماع بياناً " إلى العرب من عصبة العمل القومي" جاء فيه التأكيد على الوحدة العربية وليس الوحدة السورية فحسب، وأعتبر أن الوصول إلى السيادة والإستقلال والإزدهار الإقتصادي والإجتماعي موقوف على تحقيق هذه الوحدة، كما رفض المؤتمر الصهيونية ومبادئها، ورفض كذلك مفهوم وصيغة الأقليات الطائفية والعرقية، وبهذا الشأن جاء في بيان المؤتمر : "أن ذريعة الأقليات كانت وما تزال سلاحاً ماضياً بيد المستعمرين يبررون بها تدخلهم في شؤون الأمم المستقلة فيتوصلون بذلك إلى إستعمارها، وحيث انه لا فرق في الحقوق والواجبات بين مواطن ومواطن أياً كان مذهبه أو منبته أو لغته، فإننا ننكر ولا نعترف بوجود الاقليات المذهبية أو العنصرية أو اللغوية، وليس لسكان البلاد العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربية ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية... ". (٢)

وفي ضوء تحليل المؤتمر لواقع العرب، تبين له أنهم سائرون في طريق التدهور في مختلف مجالات حياتهم، وأصبحت المطالبة بالوحدة العربية ضرباً من الخيال، وعدّد البيان نقاط الضعف في العرب بدءاً من كثرة النفعيين أو الفردية، وتغلب روح الأثرة، وحب التزعم، والتشبث بالرأي الشخصي، وعدم الرضوخ لسنن العمل المشترك، وتقليد الغرب تقليداً اعمى وغيرها من الأمور، وفي المقابل بين البيان مواطن القوة في العرب، ممثلة في عظمة التاريخ وروابط اللغة، واستعداد العرب القومي للتفوق، والتعصب العربي لعقائده. (٣)

---

(١) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي، قرنايل لبنان، ١٩٣٣م، ص ١٢-١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢.

لقد كانت العصبة تمثل النزعة القومية والعروبية المتصلبة وتدعو إلى العلمنة الكاملة للإدارة والقيام بإصلاح إجتماعي فعّال يحقق المساواة ولكن من غير أن يقبل بالشيوعية، وانتقل مركز العصبة ونشاطاتها إلى سوريا منذ عام ١٩٣٥م، حيث كانت مدينة حمص المنطقة الرئيسية لتواجد العصبة، وقد ثابرت العصبة في التعبير عن وجهة نظرها عبر الإجتماعات والخطب والبيانات والمظاهرات الجماهيرية، وخلقت مزيد من المتاعب أمام حكومة الكتلة الوطنية في دمشق وأتهمتها بمسايرة فرنسا على حساب القضية العربية والوحدة السورية العربية (١) ، كما أنها لعبت دوراً هاماً في الدفاع عن قضية لواء الإسكندرونة منذ عام ١٩٣٦-١٩٣٩، والقضية الفلسطينية في مؤتمر بلودان وغيرها من المواقف. (٢)

أعتبرت العصبة أن الإستعمار الأوروبي أساس البلاء، وأن اهدافه بالنسبة للعرب تأتي على وجهين :

الأول : يتعلق بالبلاد نفسها (إستعمار فكري ومادي)

الثاني : يتعلق بإتخاذها قاعدة لإستعمار الشرق في آسيا وإفريقيا ودوام السيطرة عليه عن طريق تجزئة البلاد العربية مادياً ومعنوياً، وإفساد خلق الشعب العربي وروحه وعقله. (٣)

وقد حددت العصبة أهدافها العليا بهدفين يتمم كل منهما الأخر، وتحقيق أحدهما شرط لتحقيق الآخر، وهما :

أولاً : سيادة العرب وإستقلالهم المطلقين.

ثانياً : الوحدة العربية الشاملة التي تتجسد في إنشاء كيان قومي عربي موحد مستقل وعددت عصبة العمل القومي أن مقومات الوحدة العربية تقوم على "وحدة التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والغايات ووحدة الموقع الجغرافي". (٤)

وفي الحقيقة لم تكن العصبة حزباً سياسياً بالمعنى الصحيح للحزبية ولكنها كانت تمثل في برنامجها رأي الفئة المثقفة آنذاك كما أنها تعتبر بذرة هامة لنشوء الأحزاب القومية بعد الحرب

---

(١) Longrigg Op. Cit P. 287 .

(٢) مصطفى بلاوني : عصبة العمل القومي واسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩، مجلة دراسات تاريخية، العددان (٢٣، ٢٤)، كانون أول، جامعة دمشق، ١٩٨٦م، ص ١٩٦.

(٣) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي، المصدر نفسه، ص ٥-٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨.

العالمية الثانية، لتقف في وجه التيارات الطائفية والإقليمية خاصةً الحزب القومي السوري الإجتماعي الذي وقف موقفاً معادياً للوحدة العربية الشاملة بحجة أن القومية العربية التي يسعى لها هؤلاء ليست مجردة من الدين الذي يعتبر عامل مفكك للقومية السورية خاصةً.

حركة القوميين العرب :

كانت بيروت احدى مراكز الحركات الفكرية في الوطن العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث كانت الجامعة الأمريكية ملتقى الطلبة العرب من مختلف المناطق، الذين تأثروا بالأفكار الثورية التحررية والسياسية بشكل عام وبمختلف إتجاهاتها ومساراتها، فقد شهدت مدينة بيروت ولادة حركة قومية عربية جديدة في عام ١٩٣٨م، بين أعضاء "نادي العروة الوثقى" في الجامعة الامريكية ببيروت في ذلك الوقت، حيث ضم النادي مجموعة من الطلبة العرب الذين كانوا يتلقون تعليمهم في الجامعة الأمريكية في بيروت. (١)

ويبدو أن فكرة إنشاء حركة القوميين العرب السرية ولدت بسبب التباين في نظرة خريجي الجامعة القوميين حول مفهوم القومية العربية التي كانت تتخذ معاني مختلفة في أذهان الشباب القومي العربي في كافة البلاد العربية (٢) ، فقد تعددت الدعوات القومية واختلف تصورها للبعض ما بين قومية لبنانية او سورية أو عربية شاملة، كما إختلفت هذه الدعوات في موقفها من الدين والطائفية، فبعضها غلب عليه الطابع الديني وبعضها تنصّل من الدين وغير ذلك من التباين والإختلاف عند هذه الحركات، وقد وصف هذا الإضطراب بقوله : "فمنا من يربط قوميته بدين خاص من الأديان السماوية فيطغى في نفسه الشعور الطائفي على الفكرة القومية، ومنا من يجعل القومية على أنقاضهما، وبين هذا وذاك ألوان من التفكير وضروب من الأهواء لا تدخل تحت عدٍ أو حصر". (٣)

كما يظهر أن البعض كان قد إنتسب أو تبنى الدعوة إلى القومية العربية عن إقتناع بها كسبيل للتحرر من الإستعمار الأجنبي، وكطريق للوحدة العربية الشاملة في حين رأى فيها البعض متنفساً لهم من الكبت والظلم الإجتماعي في بلادهم حيث أثارت فكرة القومية روح التطلع إلى مستقبل أفضل لبلادهم عن طريق نشر هذه الدعوة والإيمان بها، بالإضافة إلى وجود فئات أخرى أرادت أن تساير الركب خوفاً من إتهامهم بالرجعية والخيانة في نظر القوميين. (٤)

---

(١) توفيق المقدسي ، لوسيان جورج : الأحزاب السياسية في لبنان ١٩٥٩. د.ط.، ص ٥٦. / أنظر باسل الكبيسي : حركة القوميين العرب من قوة ضاغطة إلى حزب سياسي، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٨٨

(٢) عبدالله حنا : الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان، ط٢، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٤) توفيق المقدسي، لوسيان جورج، المصدر نفسه، ص ٥٧.

مارست الحركة نشاطها دون أن يُرخَص لها بالعمل قانونياً داخل لبنان، عن طريق "النادي الثقافي العربي" (١) ، واعتمدت في نشاطها على طلاّب المدارس والجامعات وأوساط اللاجئين الفلسطينيين، كما اعتبرت الحركة أن للبنان وضع خاص من حيث بذل مجهود كبير من أجل الإيمان بعروبة لبنان ومستقبله الذي يتحدد ضمن المجتمع العربي لا بالإرتباط بالغرب ومعاداة العروبة مما يستدعي شرح مفهوم الفكرة العربية والوحدة العربية في لبنان.

كما كانت القضية الفلسطينية محوراً رئيسياً للقوميين العرب، حيث كانت القومية العربية آنذاك في صراع مباشر مع الصهيونية، ولكن هذا المحور سرعان ما أنتقل إلى "نادي العروة الوُثقى" في الجامعة الأمريكية في بيروت بعد محنة فلسطين عام ١٩٤٨م.

الحركة العربية السرية :

وفي إطار نشاط التيار القومي أمام التيارات الطائفية والإقليمية المعادية للعروبة والحركة العربية عموماً، شهدت مدينة بيروت كالعادة ولادة حركة قومية عربية في عام ١٩٣٥م، عُرفت "بالحركة العربية السرية" حيث عقد بعض الشبان اللبنانيين والعرب من سوريا ومصر وفلسطين والمغرب العزم على تشكيل حركة عربية سرية تعمل من أجل العرب والعروبة في ظل تنامي التيارات الأخرى المعادية لها سواء في لبنان أو في الأقطار العربية الأخرى، وبعد عدة إجتماعات سرية إنبثق عنها تأسيس هذه الحركة القومية، التي أصدرت كتاباً سري عُرف بإسم الكتاب الأحمر أو كتاب "القومية العربية" الذي تضمن الأفكار الأساسية للحركة (٢) ، من مؤسسي هذه الحركة : كاظم الصُلح، قسطنطين زريق، تقي الدين الصُلح، محمد علي حمادة، أكرم زعيتر، محمد شقير، أحمد بلفريج. (٣)

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٢) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

وتقوم الأفكار الأساسية لهذه الحركة على ضرورة الوحدة العربية الفدرالية، وعلى تثبيت مفاهيم القومية العربية في السياسة والثقافة والإجتماع والإقتصاد، ومحاربة العصبيات والطائفية والعنصرية وكل ما من شأنه الإخلال بفكرة القومية العربية. وجاء في البند الخامس من الأفكار الأساسية للحركة ما يلي : "يحرم العربي العصبيات التي تضعف العصبية العربية كالعصبيات الطائفية والعنصرية والطبقية والإقليمية والقبلية والعائلية وأشباهها، والعربي يعلم أن الأديان السماوية ليست في ذاتها عصبية دنيوية، فهو لذلك يحترمها ولا يرى فيها ما يحمله على إنقاص ولائه التام لقوميته العربية" كما جاء في الأفكار الأساسية للوحدة : "الدولة العربية دولة قومية لا دولة دينية". (١)

وقد جاءت هذه الحركة للقضاء على الطائفية التي أصبحت أداة في يد السلطات الفرنسية والمحلية الوصولية التي ترى أن تثبيت وجودها السياسي والإقتصادي يتطلب بقاء هذه الأوضاع الطائفية واستمراريتها.

---

(١) حسان حلاق : المصدر نفسه، ص ١٥٦.



الفصل الثالث

الفصل الثالث

أثر السياسة الفرنسية على الإتجاهات السياسية اللبنانية

١٩١٨-١٩٣٩

تعود علاقة فرنسا وإرتباطها بلبنان إلى ما قبل دخول القوات الفرنسية إليها بعد خروج الدولة العثمانية منها بزمن طويل، حيث ترجع هذه العلاقة في جذورها إلى القرن الثالث عشر الميلادي، في عهد لويس التاسع ملك فرنسا الذي بعث برسالة من عكّا أيام الحروب الصليبية إلى موارنة جبل لبنان في عام ١٢٥٠م تضمنت إستعداد فرنسا وتعهدها لحماية الطائفة المارونية في جبل لبنان والمناطق المجاورة ويُفهم من الرسالة أنه كان هناك تفاهم ودي بين الفرنسيين والموارنة خاصة في ظل الحروب الصليبية آنذاك، فقد جاء في الرسالة : "إن هذه الأمة التي قامت تحت إسم القديس مارون (١) ، هي قسم من الامة الفرنسية، لأن محبتها للفرنسيين تشبه محبة الفرنسيين بعضهم لبعض، وعليه من قبيل العدل ان تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا ... " (٢) ، والقديس مارون هو قديس وراهب متقشف عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي ومات حوالي عام ٤١٠م، وقد عاش في المنطقة الواقعة بين أنطاكيا وقورش، وبعد وفاته نقل تلامذته رفاته إلى منطقة أفامية على نهر العاصي بسبب خلافهم مع كنيسة الروم الأرثوذكسية التي كان مركزها أنطاكيا، وفي هذا المكان "أفامية" أقام أتباعه دير على إسم القديس مارون، الذي يُعتبر مؤسس الطائفة المارونية وشفيعها وإليه تنتسب هذه الطائفة.

وفي عام ١٥٣٥م كانت فرنسا اول دولة نالت إمتيازات في الإمبراطورية العثمانية، فقد وقّع السلطان العثماني سليمان القانوني معاهدة الإمتيازات الأجنبية مع فرانسوا الأول ملك فرنسا (٣) ، وإتخذت هذه الإمتيازات شكلاً قانونياً في تعامل فرنسا والدول الأوروبية الاخرى مع

---

(١) أسطفان الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية، بيروت، لبنان، ١٨٩٠م، ص ١٩-٢٠. / أنظر مسعود ضاهر، بعض السمات الأساسية لتطور النظام المقاطعجي اللبناني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٥م، بدون أعداد، ص ٤٣ فما بعد.

(٢) أسطفان الدويهي : المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠.

الدولة العثمانية، حيث شكلت الحاميات التجارية لهذه الدول مع قناصلها جاليات كبيرة تمتعت بسلطات مستقلة عن السلطة المحلية تحت حماية الدول الأوروبية، تلك الحماية التي إمتدت لتطول حماية الطوائف المسيحية بوجه عام والكاثوليكية بوجه خاص، تحت الحماية الفرنسية بإعتبارها حامية الكاثوليك في الشرق، وهكذا حصلت فرنسا ليس فقط على مغانم تجارية بل حصلت على حق حماية المسيحيين لتتخذ منها ذريعة التدخل في جبل لبنان والمنطقة العربية الخاضعة للدولة العثمانية. (١)

وفي الفترة الممتدة من عام ١٥٣٥م إلى عام ١٧٤٠م جدد الباب العالي هذه الإمتيازات الممنوحة لفرنسا، وثبتها ثمان مرّات متوالية، وفي النصف الأول من القرن السابع عشر، تبين لفرنسا أن حجتها الخاصة بحماية التجارة الاوروبية في الإمبراطورية العثمانية لم تكن تكفي، بل إنها أخذت بالتلاشي، خاصة بعد حصول إنجلترا وهولندا على إمتيازات تجارية خاصة بهما في الإمبراطورية العثمانية منذ عام ١٥٨٠م، ولذلك لجأت فرنسا إلى حجج أخرى، فانتحلت صفة حامية الكاثوليك خاصة الموارنة في جبل لبنان، وأصدر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام ١٦٤٩م بشأن ذلك إعلاناً تعهد فيه للبطريرك الماروني بحماية الموارنة بجبل لبنان وجاء في التعهد : " نحن لويس بعناية الله، ملك فرنسا، إلى كل من تصله هذا، ايكن معلوماً أننا ... نض حمايتنا ورعايتنا الخاصة من ساعة توقيع هذا، بطريرك ورعايا وإكليروس المارونية المس الذين يعيشون ويعملون في جبل لبنان ... ومن أجل ذلك فقد أمرنا سفيرنا ومستشارنا في وكل من يليه في منصبه لكي يُظهر لهم كمجموعة او كافراد كل عناية وكل إهتمام وك سواء أمام الباب العالي أو أمام أي جهة أخرى، بحيث يتاكد انه لا يمسهم ضرر، بل أن تكون لهم دائماً الحرية لممارسة شعائر دينهم وأعمالهم ...". (٢)

---

(١) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ١٨٦٤-١٩١٤
١٩٦٩، ص ١٨٧، / أنظر زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط
he Near and Middle East", A Documentary Record, 1535-1914, (2)
nd Co. INC., 1956, P. 24.
(٢) ... موقف فرنسا، المانيا، ايطاليا من الوحدة العربية
١٥٠، / أنظر فيليب حتي : لب

غير أن الصراعات والاحداث الطائفية التي عصفت بجبل لبنان بين الدروز والموارنة إبتداءاً م عام ١٨٤٠م واستمرت بشكل متقطع حتى عام ١٨٦٠م كانت بمثابة النقطة الاساسية التي أعطت الدول الاوروبية وبشكل أساسي فرنسا حجة للتدخل في شؤون الجبل، فعلى أثر هذه الصراعات الطائفية وتدخل القوى الأجنبية، قُسّم جبل لبنان عام ١٨٤٢م إلى قائمقاميتين درزية ومارونية، على أسس طائفية وكان هذا التقسيم الطائفي بجبل لبنان بناءاً على إقتراح الدول الاوروبية التي تدخلت بحجة حماية النصارى والقضاء على الفتن الطائفية في جبل لبنان، ونظرا لفشل هذا التقسيم بسبب وجود فئات مسيحية في المنطقة الدرزية، ووجود فئات درزية في المنطقة المسيحية، تجددت الصراعات والفتن الطائفية في جبل لبنان ووصلت ذروتها عام ١٨٦٠م، وعلى اثرها حملت الدول الاوروبية الأخرى الدولة العثمانية على إنشاء متصرفية جبل لبنان عام ١٨٦٠م. (١)

ونتيجة لأحداث عام ١٨٦٠م، وجدت الدول الاوروبية الفرصة سانحة للتدخل في شؤون لبنان من خلال الأحداث والصراعات الطائفية بين أبنائه، حيث عقدت الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، والنمسا) مؤتمراً في باريس في نفس العام، تقرر فيه شرعية التدخل الاجنبي في جبل لبنان بحجة القضاء على الفتن والإضطرابات وحماية المسيحيين (٢) ، وبسبب الخلافات الاوروبية تعرقل هذا القرار ونفّذ فقط من قبل فرنسا، التي تدخلت بشكل عسكري مباشر في الجبل وأنزلت قواتها في لبنان في شهر آب عام ١٨٦٠م، متذرعة بحجة حماية الكاثوليك في جبل لبنان، والقضاء على الفتن بعد إتهام الدولة العثمانية بالوقوف إلى جانب الدروز ضد النصارى، إلاّ ان التدخل المباشر لفرنسا في جبل لبنان، أثار حفيظة منافستها التقليدية بريطانيا، التي اخذت تعمل بكل قواها ونفوذها من أجل إفشال الحملة الفرنسية على لبنان عام ١٨٦٠م، والوقوف في وجه المشروع الفرنسي الذي كان يبحث عن مركز إستراتيجي في المشرق العربي، ويمكن تفسير فشل الحملة أو التدخل الفرنسي المباشر في لبنان على هذا النحو على أنه نتيجة للتدخل البريطاني المنافس لفرنسا في المنطقة، حيث أن المتصرفية التي أنشأت مباشرة في جبل لبنان في اعقاب الاحداث والتدخل الاوروبي عام ١٨٦٠م، لم تكن تعتمد على

---

(١) Hurewitz Op. Cit. p. 165. / أنظر أحمد طربين، لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الإنتداب، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) محمد السماك : القرار العربي في الأزمة اللبنانية، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٣٧. / أنظر مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤-١٩٢٦، دار الآداب بيروت، ١٩٧٥م، ص ٢٠.

الحماية الفرنسية فقط، بل كانت تتمتع بحماية الدول الأوروبية الخمس الكبرى آنذاك (بريطانيا، فرنسا، روسيا، بروسيا، النمسا) شكّلت فرنسا من بينها الأساس.

ولذلك غادرت القوات الفرنسية لبنان في آذار عام ١٨٦١م، وتبعها مباشرة توقيع إتفاقية في الأستانة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية الكبرى، تم بموجبها منح جبل لبنان إستقلالاً إدارياً ضمن إطار الدولة العثمانية، وبضمانة الدول الاوروبية وحمايتها، وتعيّن متصرف مسيحي على الجبل من غير أهله ترشحه الدولة العثمانية، شريطة موافقة الدول الاوروبية عليه، وقد عُرفت هذه الإتفاقية " بالنظام الأساسي للجبل "، أو بروتوكول عام ١٨٦١م، على أنه يجب التذكير أن مناطق بيروت وطرابلس وصيدا والبقاع وجنوب لبنان لم تكن جزءاً من هذه المتصرفية بل بقيت تحت الإشراف التركي المباشر. (١)

وهكذا إكتسب جبل لبنان خصوصية إدارية ومذهبية تمتع خلالها بنوع من الإستقلالية الإدارية عن الدولة العثمانية، تحت حماية الدول الاوروبية الضامنة لنظامه الأساسي، تلك الخصوصية التي إنفرد بها جبل لبنان عن سائر المناطق العربية التابعة للدولة العثمانية، وكان قصد الدول الاوروبية خاصةً فرنسا من إنشاء المتصرفية ومنحها نظاماً أساسياً خاصاً بها، هو إعطاء لبنان وجهاً مسيحياً وغربياً من الناحيتين الدينية والثقافية ليكون حليفاً إستراتيجياً لها في المنطقة، يرتبط بها ويدور في فلكها. (٢)

إن هذه السياسة الفرنسية في الأساس أعطت أهل جبل لبنان شعوراً بالنزوع نحو الإستقلال و الإنفصال عن الدولة العثمانية، ملوحين بالعصا الفرنسية في وجه الدولة العثمانية بتنفيذ رغباتهم ومطالبهم، ولذلك يعتبر العام ١٨٦٠م، وما تخلله من أحداث وقرارات وتدخلات على مستوى جبل لبنان عاماً مهماً بتاريخ لبنان، حيث يعتبر هذا العام النقطة الأساسية التي بدات من عندها التدخلات الاجنبية الفعلية التي غذّت الصراعات الطائفية وركّزت عليها، كما شهد هذا العام نشوء الصيغة الأولى للوطن القومي المسيحي المرتبط بالحماية الفرنسية، وظهور ولاءات جديدة فيه، حيث تأرجحت هوية أبناء الجبل بين الهوية العثمانية والهوية المسيحية المرتبطة بالغرب الأوروبي، وبمعنى آخر عملت فرنسا والدول الأوروبية على اكساب لبنان خصوصية مذهبية وادارية تمتعت بنوع من الإستقلال في ذلك الوقت. (٣)

---

(١) أحمد طربين : لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الإنتداب، ص ١٠٦.

(٢) حمدي الطاهري : سياسة الحكم في لبنان، ط٢، المطبعة العالمية، القاهرة، د.ت.، ص ٤٩.

(٣) محمد السماك : القرار العربي في الأزمة اللبنانية، ص ١٢٥.

ومما يجدر ذكره أن النظام الأساسي لجبل لبنان بضمانة الدول الكبرى شكّل إحراجاً كبيراً للدولة العثمانية التي لم تستطع تطبيق سياستها في الجبل إلاّ بالقدر الذي تسمح لها به الدول الأوروبية، حيث أن تدخل الدولة العثمانية لتنفيذ بعض سياساتها في الجبل، يعني إحتجاج الموارنة والإستعانة بالقوة الاجنبية، الامر الذي يعني للدولة العثمانية مزيداً من التدخل الاجنبي ومزيداً من التنازلات لصالح الموارنة والدول الأوروبية، وتقليص نفوذ الدولة العثمانية وسيطرتها على جبل لبنان، فبموجب النظام الأساسي للجبل لم يعد يُسمح للجنود الأتراك بدخول الجبل، كما اعفي السكان فيه من نظام الخدمة العسكرية الإجبارية، كذلك فإن البطريرك الماروني، كان الرئيس الروحي الوحيد بين جميع رؤساء الطوائف الذي لا يستمد سلطته من براءة رسمية من السلطان العثماني، وقد ظلّ هذا النظام سارياً بجبل لبنان حتى بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م. حيث ألغى القائد التركي جمال باشا إستقلال جبل لبنان والإمتيازات الأجنبية التي كان يتمتع بها ليدخل بعد ذلك أعتاب مرحلة جديدة حافلة بالصراعات السياسية والطائفية. (١)

السياسة الفرنسية وأثرها على الإتجاهات السياسية في لبنان ١٩١٨- ١٩٢٠

إحتلت فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، المرتبة الاولى في الدولة العثمانية، من حيث التوظيفات المالية ومشاريع الأشغال العامة الممنوحة بالإمتيازات، كما إحتلت مركزاً متقدما عن غيرها من الدول الأوروبية في أهمية وكثرة مؤسساتها التعليمية والإجتماعية والطبية، بالإضافة إلى انها كانت أكثر الدول الأوروبية من حيث نسبة السكان المطالبين بحمايتها وعونها في جبل لبنان (٢) ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى الجهود الكبيرة للسياسة الفرنسية في لبنان منذ أواسط القرن التاسع عشر من خلال إنشاء المؤسسات الخيرية التي تأسست من اجل توسيع نفوذها في لبنان، كالمدارس والإرساليات التبشيرية الفرنسية، حيث كانت تعمل لبث الدعاية الفرنسية ونشر الثقافة الفرنسية في المنطقة، كما كانت المؤسسات المارونية السياسية والإجتماعية تلقى الدعم الفرنسي الهائل الأمر الذي أدى إلى إستقطاب فرنسا إلى هذه المؤسسات المارونية، وكسب تاييدها لفرنسا ودعوتها إلى الإنفصال عن الدولة العثمانية، والإستقلال تحت الحماية الفرنسية (٣) ، وقد مثّلت جمعية النهضة اللبنانية واللجنة المركزية السورية هذه المطالب. (٤)

---

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٢) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤-١٩٢٦، المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٣) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٤) فيليب حتي : تاريخ لبنان ، المرجع السابق، ص ٥٥١ / أنظر مسعود ضاهر : المصدر نفسه، ص ١٦٠

وبالرغم من أن المصالح الفرنسية في جبل لبنان كانت من ضمن النفوذ العام في الإمبراطورية العثمانية، إلاّ أنها إكتسبت عناية خاصة في جبل لبنان كموقع إستراتيجي وحليف هام في المنطقة، ولذلك عملت فرنسا على إنشاء عدة طُرق تربط بين لبنان وسوريا وطُرق أخرى ذات أهمية داخل لبنان نفسه من خلال الإمتيازات التي مُنحت لها من الدولة العثمانية، كما إنتبهت فرنسا منذ البدء أن الوجود الثقافي لها في المنطقة مهم في تقرير مصالحها في المستقبل، ومن هنا نلحظ التركيز الفرنسي على المؤسسات التعليمية وتوجيهها المستمر نحو الثقافة الفرنسية، والإرتباط بفرنسا، فكانت كلية مار يوسف الكاثوليكية عام ١٨٧٥م (جامعة القديس يوسف حالياً) من أهم المراكز التعليمية التي أنشأت من أجل العمل على إطلاق نهضة تعليمية ثقافية مرتبطة بفرنسا، كما إمتلك التعليم باللغة الفرنسية حتى أوائل عام ١٩١٤م حوالي (٥٠١) مدرسة وهي نسبة تفوق نسبة المدارس الأجنبية جميعها في كل سورية. (١)

وفي مطلع القرن العشرين وبالتحديد في سنوات ماقبل الحرب العالمية الاولى وما بعدها، نُلاحظ إهتماماً فرنسياً مكثّفاً بأوضاع سورية الإقتصادية، وتركز هذا الإهتمام على زراعة التوت وتجارة شرانق الحرير في متصرفية جبل لبنان بفضل الرساميل الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلاّ أن الإهتمام الفرنسي في بداية القرن العشرين ترافق مع حركة التسابق الإستعماري في المنطقة، مما حدى بفرنسا تجنيد جهازها الدبلوماسي وأجهزة أخرى من علماء وخبراء وأساتذة جامعات وغُرف تجارة ورجال أعمال إستعداداً وترتيباً لخطط فرنسا الرامية للسيطرة على منطقة سورية في محادثاتها مع الدول الأوروبية لتقسيم تركة الدولة العثمانية (٢) ، وهكذا إنطلقت فرنسا في تعاملها مع بعض الفئات اللبنانية بناءاً على مجموعة مصالحها الإقتصادية، من منطلق خططها الإستراتيجية والدبلوماسية الرامية للسيطرة على المنطقة، حيث إنخرطت بعض القوى اللبنانية المستفيدة إقتصادياً في تعاملها مع فرنسا، في المشروع الغربي الرأسمالي، هذه القوى هي التي نمت وترعرعت في إطار النتائج التي أسفرت عنها علاقة الغرب الرأسمالي في المنطقة خاصة المدن التجارية ومرافيء التصدير والإستيراد وبعض المناطق الزراعية التي تنتج سلعاً تحتاج إليها الصناعة الفرنسية كالحرير في جبل لبنان، وتنتمي هذه القوى في الغالب إلى شرائح من طوائف غير إسلامية نشأ مثقفوها في مدارس الإرساليات الأجنبية خاصة الفرنسية، حيث ساهمت العوامل الإقتصادية والثقافة الفرنسية عبر

---

(١) فيليب حتي : تاريخ لبنان ، المصدر نفسه السابق، ص ٤٨٣.

(٢) وجيه كوثراني : بلاد اشام السكان، الإقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

الإرساليات في دعم التوجه اللبناني نحو فرنسا ومحاولة صبغ لبنان بصبغة غربية مسيحية، وهذا ما تمسك به الموارنة بفعل هذه السياسة التي اعطتهم تفضيل ثابت على غيرهم من الطوائف الأخرى في المجالات المختلفة، الأمر الذي جعلهم يتمسكون بمطلب الإرتباط بفرنسا حفاظاً على إمتيازاتهم، التي تعتمد على الحماية الفرنسية في الدرجة الأولى، حيث يرجع الفضل إلى فرنسا في إعطاء لبنان هذه الخصوصية الفريدة في المنطقة. (١)

ويبدو ان الإهتمام الفرنسي المكثف بإمكانات سورية الإقتصادية كان قد مثّل نوعاً من التلاقي بين شبكة المصالح الفرنسية التي تمثلت في تملك وإستثمار عدد من المشاريع التي تلبي حاجة التصدير والإستيراد وتبادل السلع وتسويقها مع مصالح إقتصادية محلية، خاصة الطائفة المارونية ووجهاء المدن والأثرياء الذين إستفادوا كثيراً من هذه العلاقة الإقتصادية مع فرنسا.

وقد شهدت الفترة من عام ١٩١٢-١٩١٣ صراعاً إنجليزياً فرنسياً كان له أثره وإنعكاساته على التعامل الأوروبي مع المسلمين والمسيحيين، حيث شكّلت الحرب الإيطالية التركية عام ١٩١٢م، حدثاً سياسياً هاماً في بلاد الشام، التي أخذت تتأثر بأصداء هذه الحرب، خاصة بعد أن إحتلت ايطاليا ليبيا وعجز الدولة العثمانية في الدفاع عن ولاياتها، الأمر الذي جعل أبناء الشام يفكرون في مصيرهم بعد أن إهتزت ثقتهم بالدولة العثمانية، وبعد أن تكشفت نوايا الدول الأوروبية تجاه المنطقة، ولذلك تنبه السياسيون من أبناء سورية ولبنان إلى مصير بلادهم خاصةً بعد أن قصفت القوّات الإيطالية السواحل اللبنانية بحجة تقديم العون والمساعدة للدولة العثمانية في الحرب، كما ان الهجوم الإيطالي على ليبيا تحت مظلة الرضى الأوروبي كان بمثابة مؤشراً لحلقات أخرى ستتابع في الولايات العربية الاخرى، وكانت فرنسا تراقب عن كثب إتجاهات وردود الفعل في المنطقة خاصة لبنان تجاه الحدث، ويصف القنصل الفرنسي في بيروت في ٢٩ كانون الثاني عام ١٩١٢م هذه الردود والآراء السياسية وتوجهاتها الطائفية في لبنان بقوله : " منذ إبتدأت الحرب التركية الإيطالية، نلاحظ الأفكار إضطربت، وأن شائعات مختلفة أخذت تنتشر حول مصير البلاد والآثار التي يمكن أن تنشأ عن تلك الحرب، فكثير من الناس ليس فقط في وسط المسيحيين، وإنما بين العرب والمسلمين، يعتقد ان هذه الحرب ستؤدي إلى التجزئة النهائية للإمبراطورية العثمانية، ويتمنى ان تكون سورية من نصيب فرنسا، وقد

---

(١) وجيه كوثراني، المصدر نفسه، ص ١٦٧.

سرت شائعات مفادها ان فرنسا ستتولى إدارة سورية ولا سيما إدارة الجمارك كضمان لقرض فرنسي كان قد قُدّم لتركيا وآخر ما شيع، ... ضمها إلى مصر". (١)

لقد ثارت مخاوف الدبلوماسية الفرنسية من توجه بعض الفئات اللبنانية نحو إنجلترا إنطلاقاً من تحديد أهمية الموقع الإقتصادي، والإنجازات التي حققتها بريطانيا في مصر، خاصة في ظل وجود الكثير من السوريين واللبنانيين المقيمين في مصر من ذوي الإتجاهات المختلفة، المعادي بعضها لفرنسا، ويدلل على ذلك إتهام القنصلية الفرنسية في بيروت لأحد الشخصيات الإسلامية (سليم علي سلام) في هذا الصدد حيث تتهمه القنصلية الفرنسية بالإتصال مع بعض اللبنانيين والسوريين في مصر من أجل طلب الإنضمام إلى مصر (٢) ، ولذلك تخوفت فرنسا من بعض الإتجاهات السورية واللبنانية نحو الإتحاد مع مصر تحت سلطة واحدة، معللةً ذلك تاريخياً، إنه كلما قامت قوة في مصر إلتفتت نحو سوريا كما في عهد علي بيك الكبير في مصر، وحالة بونابرت ومحمد علي باشا في مصر في القرن التاسع عشر، ولذلك فإن على فرنسا الدعم الحقيقي للسوريين واللبنانيين الذي يتمثل بدعم سياسي ضروري لإحترام حقوقهم وإمتيازاتهم لثنيهم عن مثل هذه التوجهات كما ترى السياسة الفرنسية. (٣)

ومن المُلاحظ ان المراسلات التي جرت بين القناصل الفرنسيين في سوريا ومصر ولبنان توصلت إلى وجود إتجاه مؤيد للوحدة السورية المصرية غلب عليه الطابع الإسلامي مع تعاطف إنجليزي، ولذلك علّقت فرنسا أهمية على الوجود المسيحي السوري اللبناني في تكوين تيّار مؤيد لفرنسا يقف في وجه ما اسموه السياسة الإنجليزية الإسلامية، ولهذه الغاية إقترح مدير المعتمدية الفرنسية نشر الدعاية المؤيدة لفرنسا في سوريا ولبنان عن طريق الصحافة والإكليروس الكاثوليكي. (٤)

وقد شهدت الفترة ١٩١٢-١٩١٣ صراعاً فرنسياً بريطانياً من خلال تركيز العديد من التقارير الفرنسية الرسمية ومراسلات القناصل على التوجهات السياسية للعرب في بلاد الشام، والتي تارجحت بين المراهنة على الوجود المسيحي كعنصر كسب لفرنسا في بلاد الشام، وبين

(١) وجيه كوثراني: المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٢) حسان حلاق : مذكرات سليم علي سلام، المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٣) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

المراهنة على عداء المسلمين للأتراك، وضرورة عدم التخلي عنهم كي لا يتوجهوا نحو بريطانيا في طلب المساعدة. (١)

ولدفع الإتجاهات السياسية في بلاد الشام ولبنان بشكل خاص، أخذت السلطات الفرنسية بتقصي تحركات الإتجاهات السياسية في المنطقة، وعملت على إيجاد رأي عام يتظاهر لفرنسا، وقد اوردت القنصلية الفرنسية العامة في بيروت تقريراً أوضّحت فيه هذه التوجهات والمواقف لوزارة الخارجية الفرنسية جاء فيه : " عنصران يتوزعان سكّان البلاد : العنصر المسيحي والعنصر المسلم العربي، إنهما يتعارضان ديناً ونزعات، ولكن شعوراً مشتركاً ينزع لتوحيدهما : هو العداء المتزايد للهيمنة التركية " (٢) ، وهناك تقرير آخر من القنصلية الفرنسية في مصر، عام ١٩١٢م إلى وزارة الخارجية الفرنسية جاء فيه : " ... لا أسهل من ان نهيء في الولايات الثلاث السورية حركة رأي عام تتظاهر منْ أجلنا في أول فرصة ونضع الدول الكبرى في وضع أقل ما فيه أنه غير ملائم ". (٣)

وبناءاً عليه أوعزت فرنسا إلى أنصارها في المشرق العربي وفي بلدان المهجر للعمل على كسب أكبر عدد من المطالبين بالحماية الفرنسية على هذه المنطقة، فقد أوعزت فرنسا إلى اللجنة المركزية السورية وحزب الإتحاد السوري وجمعية سوريا الجديدة الوطنية وهي جمعيات سياسية لبنانية ظهرت في مصر غلب عليها الطابع المسيحي، كانت تطالب بوحدة البلاد السورية تحت الحماية الفرنسية، ومن المُلاحظ أن هذه الجمعيات كانت على علاقة وطيدة بفرنسا وربما موّلت غُرف التجارة الفرنسية معظمها للمطالبة بالحماية الفرنسية وبث الدعاية لها في أوساط المغتربين اللبنانيين والسوريين، وفي الإطار نفسه من إهتمامات فرنسا بالمغتربين اللبنانيين والسوريين عملت على بث الدعاية الفرنسية بين أوساطهم، حيث زوّدت وزارة الخارجية الفرنسية (ألكي دورسي) (٤) شكري غانم بمبلغ كبير من المال لتغطية نفقات مقالات تُنشر في الصُحف الأمريكية موجهة إلى المغتربين السوريين واللبنانيين، كما تولت جريدة الهدى لصاحبها نعوم مكرزل الصادرة في نيويورك باللغة العربية، الدعوة إلى قيام لبنان المستقل تحت الوصاية

---

(١) وجيه كوثراني : المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية تركيا مجلد ١١٧، ص ٦٥-٦٨. عن وجيه كوثراني : بلاد الشام السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٤) ألكي دورسي : هي وزارة الخارجية الفرنسية معربة.

الفرنسية، ولم تكن هذه الجريدة أيضاً بعيدة عن الدعم الفرنسي الذي يحاول كسب أكبر عدد من المؤيدين للحماية الفرنسية. (١)

وهكذا كرّست فرنسا سياستها على تمييز العنصر العربي المسيحي على الآخرين لمحاربة المحاولات الوحدوية العربية بالتركيز على دعم العنصر المسيحي وإستقطابه، وقد تحددت الخطوط العامة للسياسة الفرنسية في بلاد الشام، من أجل تثبيت سيطرتها بأمرين :

١- ضرب الحركة العربية في دمشق

٢- تنظيم سورية تنظيماً يضمن السيطرة عليها عبر مشاريع الكنفدرالية والتجزئة.

ولتنفيذ ذلك قامت السياسة الفرنسية بدراسة الترتيبات الطائفية والعرقية في المنطقة من أجل فهمها وتعاملها مع خصوصياتها، وإستقطاب ما يمكن إستقطابه لتلبية مصالحها وتهيئة الظروف لتقبل سياستها في ظل المنافسة البريطانية لها على المنطقة. (٢)

وكانت الخطوة الاولى للسياسة الفرنسية في لبنان بعد خروج الدولة العثمانية منهافي أيلول عام ١٩١٨م، هي ضرب الحكم العربي فيه وإنهاء كافة مظاهره، حيث عملت على تثبيت مجلس إدارة جبل لبنان برئاسة حبيب باشا السعد، أحد الشخصيات السياسية في جبل لبنان، وإنزال العلم العربي عن دار الحكومة العربية في بيروت وبقية المناطق اللبنانية التي أُعلن فيها الحُكم العربي ورفع العلم الفرنسي مكانه، وقد شجّع فرنسا على التمسك بموقفها هذا تصرف بعض المسيحيين اللبنانيين الذين لا يرغبون بالخضوع لحكم دولة عربية يرأسها أحد أعضاء الاسرة الهاشمية في الحجاز. (٣)

ولكن الشيء الذي كان يُثير مخاوف فرنسا عشية الحرب العالمية الأولى، هو منافسة بريطانيا لها على منطقة سورية التي تعتبر الساحة الرئيسية للمنافسة بين بريطانيا وفرنسا، كأفضل غنائم الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من ان إتفاقية سايكس-بيكو قد خصصت منطقة سوريا لفرنسا عام ١٩١٦م، إلاّ أن العلاقات البريطانية مع الشريف حسين والمراسلات السرية

---

(١) توفيق فضل الله ضعوق : في وحي الشبعين، المصدر نفسه، ص ٢١١. / انظر علي شعيب : تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) وجيه كوثراني : بلاد الشام السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية، المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٣) حمدي الطاهري : سياسة الحكم في لبنان، المصدر نفسه، ص ٥٦.

بينهما (مراسلات الحسين–مكماهون) ووعود الحلفاء خاصة بريطانيا للعرب بالتحرر والإستقلال كان لها إعتباراتها في السياسة الفرنسية التي ابدت إستعداداً للتنازل لمنافستها بريطانيا في منطقتي الموصل وفلسطين ومقابل الحصول على سورية ولبنان. (١)

فبعد دخول فرنسا سوريا عل أثر هزيمة القوات العربية في ميسلون في ٢٤ تموز عام ١٩٢٠م، لم يمض وقت طويل حتى تبين للعرب ما كانوا يخشوه، حيث قسّمت سوريا بإستثناء فلسطين التي وضعت تحت الإنتداب البريطاني، إلى خمس وحدات أعلن فيها أربع دول مستقلة، هي دولة لبنان ودولة سوريا وجبل الدروز والعلويين، وأرادت فرنسا من هذه السياسة كسب الاقليات وتشجيع الحركات الإقليمية وإضعاف الاكثرية العربية المسلمة وتفكيك الحركة القومية العربية من أجل إضعاف القاعدة العربية والإسلامية المناهضة لفرنسا، كما سعت فرنسا لتقوية قاعدة التأييد التقليدية لها عن طريق خلق لبنان كبير ضمت إليه أراض جديدة يكون حجمها ضعف حجم جبل لبنان، ليبقى الموارنة أكثرية بعض الشيء على بعض الطوائف الاخرى ضمن هذه الوحدة السياسية الجديدة (لبنان الكبير). (٢)

وبذلك يتضح أثر السياسة الفرنسية على سير الحياة السياسية في لبنان بإتجاهاتها المختلفة منذ بداية الإنتداب، فقد ولّدت فرنسا النظام الطائفي في لبنان إلى الوجود واخذت ترعاه وتحرسه، مشددة على التمييز الديني للطوائف التي يتكون منها المجتمع اللبناني، وذلك لإضعاف التضامن الوطني والتقليل من إحتمال قيام جبهة مشتركة معادية للإنتداب الفرنسي بحيث لا تكون هناك أغلبية بين الطوائف الأخرى غير المسيحية تستطيع أن تشكل معارضة لها نقلها ضد فرنسا، وبمعنى آخر أرادت فرنسا تشتيت الوضع عن طريق إعطاء الطوائف ما يُسمى بحقوقهم وإمتيازاتهم بحجة العدالة والمساواة.

وتأتي مقاومة سلطات الإنتداب الفرنسي للتيار الوحدوي السوري والحركة القومية العربية بشكل عام ضمن هذا الإطار فقد أعطت فرنسا بعض الإمتيازات للأقليات من الشيعة والدروز خاصةً بعد ثورة الدروز عام ١٩٢٥م، ففي أوائل عام ١٩٢٦م أعطت فرنسا الطائفة الشيعية في لبنان وضع " ملّة " منفصلة تسمح لهم بإقامة محاكمهم المستقلة للأحوال الشخصية في

---

(١) علي شعيب : تاريخ لبنان منالاحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ١٦.

(٢) سمير أمين : الأمة العربية وزالصراع الطبقي، المصدر نفسه، ص ٧٨.

مرسوم صدر في كانون ثاني عام ١٩٢٦م، كما منحت فرنسا نفس الهوية القانونية للدروز في آذار عام ١٩٣٦م، وأقامت لهم محاكم خاصة للأحوال الشخصية (١) ، واعطتها صفة رسمية في نفس العام، ويُلاحظ من خلال هذه السياسة أن السلطات الفرنسية نجحت في فصل الطوائف الإسلامية قانونياً عن بعضها البعض فصلاً يكاد يكون تاماً تقريباً، كما أنها بهذه السياسة قللت من إعتماد الشيعة والدروز على السنة في إطار تفكيكها للقاعدة العروبية والإسلامية، وكذلك تشجيع فرنسا والموارنة للإقطاعيين وأصحاب الإمتيازات والمصالح للطوائف الاخرى الموالية له على البروز والتلميع السياسي والإجتماعي عن طريق توليهم بعض المناصب. (٢)

ويظهر أن السلطات الفرنسية أتبعت تلك السياسة مع الشيعة والدروز حيث إستمالت بعد الثورة الدرزية عام ١٩٢٥م، آل جنبلاط (دروز) وعرضت عليهم منافع كثيرة مقابل ولائهم بعد أن كانت تدعم قبل الثورة آل أرسلان، وهكذا إستغلت السلطات الفرنسية حالة المنافسة القائمة بين العائلتين الدرزيتين اللتين يطغى عليهما الطابع الريفي والعائلي من أجل كسب ولائهما لمصالح الإنتداب الفرنسي دون ان تفقد فرنسا نفوذها على أي منهما. (٣)

ولتباين المواقف تجاه المسألة السورية بين بريطانيا وفرنسا أصحاب أكبر نفوذ في المنطقة، وإنقسام السوريين واللبنانيين على أنفسهم، ما بين مؤيد للوحدة السورية مع إختلاف على الدولة المنتدبة والعلاقة مع الحجاز، وما بين رافض للوحدة السورية بل وأية دعوات عربية أخرى، وبين مؤيدين للإتجاه اللبناني فقد توجت هذه المسالة بإنعقاد مؤتمر الصلح في فرساي في بداية عام كانون الثاني عام ١٩١٩م في فرنسا. (٤)

وفي مؤتمر الصلح ظهر أثر السياسة الفرنسية واضحاً في التأثير على التوجهات السياسية اللبنانية، فقد اوعزت فرنسا الى أنصارها من المسحيين في متصرفية جبل لبنان بارسال وفودها الشعبية والرسمية للمطالبة باستقلال لبنان ووضعه تحت الوصاية الفرنسية، ويبدو ذلك

---

(١) سمير أمين : المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٢) زين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط، وولادة دولتي سورية ولبنان،المرجع السابق، ص ١٠٤. / أنظر يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام ، المصدر نفسه، ص ٤٠٢.

(٣) توفيق فضل الله ضعوق : في وحي السبعين، المصدر نفسه، ص ٢١١-٢١٢.

(٤) A. E. V. , ٥, P. ٥٦ (٢٧ NOV. ١٩١٨) ETV. ٦P ١٥٩-١٦٠ (١٧ DEC. ١٩١٨) عن عصام خليفة ص ٧٥

واضحاً من خلال وفود المتصرفية المتكررة الى مؤتمر الصلح والعناية التي كانت تحظى بها من قبل السلطات الفرنسية، بالاضافة الى انشاء الجمعيات السياسية اللبنانية ودعمها لبث الدعاية الفرنسية والاتحاد السوري بما يخدم مصالح فرنسا، وعلى هذا الأساس تم اختيار شكري غانم كممثل للتيار السوري في ظل الحماية الفرنسية برئاسة اللجنة المركزية السورية وتمكينه من عرض وجهة نظر الجمعيات اللبنانية المطالبة باستقلال سوريا لوحدها تحت الوصاية الفرنسية، والوقوف في وجه الأمير فيصل بن الحسين في مؤتمر الصلح وتحديه له على أنه لا يمثل كل العرب والناطقين بالعربية. (١)

وبالاستناد الى الوثائق المنشورة عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (١٩١٨-١٩٢٠)، يظهر أن بوادر الصراع بين الانجليز والفرنسيين بدأ يظهر حول تطبيق اتفاقية سايكس-بيكو، بحيث كان هم السياسة الفرنسية حل المسألة السورية على نحو يتفق مع مصالح الهيمنة الفرنسية وأخذت المسألة السورية تطرح نفسها بالحاح على الأوساط النافذة في وزارة الخارجية الفرنسية، وانطلاقاً من أهمية المسألة التي أخذت تطرح نفسها من أهمية الجمعيات الاستعمارية وغرف التجارة الفرنسية التي لعبت دوراً هاماً في رسم معالم السياسة الفرنسية، ولذلك كان من البديهي العمل على انشاء حزب سياسي يعكس في المهجر وفي سوريا مصالح هذه القوى الاقتصادية، ويأتي اختيار شكري غانم اللبناني الأصل الفرنسي الجنسية والثقافة للقيام بمهمة ترؤس "اللجنة المركزية السورية في باريس والتي كانت تسير وفق الخطوط العامة للسياسة الفرنسية، فقد ركزت في أهدافها على المطالبة في الوحدة السورية، وبث الدعاية الفرنسية في أوساط المغتربين السوريين واللبنانيين في أمريكا ومصر وبلدان الاغتراب، ومساعدة فرنسا لهم من خلال وصايتها عل كامل سوريا. (٢)

ويدلل على تلك السياسة أن اللجان الفرعية التابعة لهذه اللجنة في مصر وجبل لبنان والبرازيل أسست بناءاً على أثر البرقيات المرسلة من وزارة الخارجية الفرنسية لبعض الشخصيات الموالية لفرنسا في هذه البلدان، بحيث جاء نشاط هذه الجمعيات واللجان بما يتفق وتحقيق المصالح الفرنسية في السيطرة على كامل سوريا، فقد جاءت الأسس والأهداف الأولية للجنة المركزية في باريس لغاية حمل مؤتمر الصلح على اضفاء الشرعية الدولية على مطالبهم، وايجاد تيار شعبي في سوريا ولبنان يوحي للمؤتمر بأن السكان في هذه المناطق يطالبون عبر

---

(١) عصام كمال خليفة ، المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٢) (١٧ DEC. ١٩١٨) ETV. ٦P ١٥٩-١٦٠, (٢٧ NOV. ١٩١٨) A. E. V. , ٥, P. ٥٦ عن عصام خليفة ص ٧٦

ممثليهم في المؤتمر بحماية فرنسا، وفي هذا السياق جاء تحرك اللجنة المركزية السورية في باريس وفروعها المختلفة في مصر ولبنان والبرازيل وغيرها من بلدان المهجر أمام مؤتمر الصلح، تمحورت مطالبها حول الأمور التالية :

١- معارضة طروحات الأمير فيصل والتركيز فقط على الوحدة السورية.

٢- الاحتجاج على وفود متصرفية جبل لبنان.

٣- التركيز على دعم فرنسا للوحدة السورية. (١)

وهكذا التقت مطالب الجمعيات الاستعمارية الفرنسية مع مطالب بعض الجمعيات اللبنانية كاللجنة المركزية وفروعها المختلفة بشأن الاتحاد السوري في ظل الحماية الفرنسية، ففي كانون أول عام ١٩١٨ قدم نائب رئيس جمعية الدراسات الاستعمارية والبحرية الفرنسية (M. Paul Bourdarie) تقريراً حول المسألة السورية جاء فيه : "أن الجمعية تعتبر أن الاشراف علىكامل سوريا بما فيها لبنان وفلسطين مع الأماكن المقدسة، هو أمر ينسجم مع المصالح الفرنسية ... وأن الانقسامات الدينية لا تسمح لسوريا أن تكون قادرة على حكم نفسها بنفسها ضمن نظام جمهوري ولا يوجد بالتالي أمير سوري يفي بالمقام، وحتى اذا أردنا الاستعانة بأحد أحفاد أسرة عبدالقادر الجزائري، فان ذلك يثير حتماً صراعاً بين العصبيات القبلية، ومن هنا يبدو من المفضل تعيين أمير مسيحي على لبنان وأمير مسلم على سوريا". (٢)

وفي اطار جمعها للمؤيدين والأنصار لتدعيم موقفها في مؤتمر الصلح واضفاء شرعية على تدخلها في المنطقة، لجأت فرنسا الى الايعاز الى أبناء متصرفية جبل لبنان بأن يظهروا تمسكهم بمطلب الاستقلال والحماية الفرنسية في ربيع عام ١٩١٩م، حيث قامت حركة شعبية تظاهرية تطالب باستقلال لبنان ومعاداة الوحدة السورية، مغتنمين مرور الأمير فيصل في بيروت آن ذاك بعد عودته من فرنسا ليعبروا له عن نزوعهم نحو الاستقلال والارتباط بالغرب وراحوا ينشدون :

عيشي بذلي ما منحبا نتظاهر ما منتخبا

يا منال الاستقلال يا منرحل عاأوروبا (٣)

---

(١) زين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط، المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٢) A. E. V., ٥, P. H ١٥٦-١٦٦ عن عصام خليفة ص ٧٦

(٣) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص ٩٥.

ولزيادة اسلحتها في ميدان التفاوض مع بريطانيا والدول الأوروبية في مؤتمر الصلح، ساهمت الدبلوماسية الفرنسية أيضاً بتسهيل مهمة سفر وفد متصرفية جبل لبنان برئاسة البطريرك الماروني الياس الحويك الى باريس لتقدير مطالب الجبل الى رئيس وزراء فرنسا كليمنصو الذي أجاب الوفد : "أؤكد لغبطتكم أن وطنكم لبنان سينال منفذاً الى البحر أسوة بغيره من البلدان الصديقة التي تسعى وراء هذه الغاية"، (١) وتبدو هنا تشجيع السياسة الفرنسية للمطالب الاستقلالية والانفصالية لجبل لبنان.

وعندما أُخفق مؤتمر الصلح في حل المسألة السورية نتيجة لتضارب الآراء والأهداف والمصالح بين بريطانيا وفرنسا حول المسألة السورية، تم اعلان وحدة البلاد السورية بما فيها لبنان في المؤتمر السوري العام بدمشق في عام ١٩٢٠، وتتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها ويبدو أن هذا الاعلان جاء نتيجة لمماطلة الدول الأوروبية في حل المسألة السورية ونتيجةً لتكشف نيات الدول الأوروبية الاستعمارية في المنطقة، وقد اعتبر هذا الاعلان صدمة لأنصار الكيان اللبناني (الموارنة) ولفرنسا وبريطانيا وذلك لمخالفة قرارات المؤتمر السوري لأهدافهما، كما اعتبرت الدول الأوروبية هذا التصرف تحدياً لها، كما اعتبره أبناء متصرفية جبل لبنان تدخلاً في شؤونهم وحرماناً لهم من حلم طالما حلموا به ألا وهو الكيان اللبناني المستقل. (٢)

وفي خضم هذه الأحداث قامت الدول الأوروبية بالرد على قرارات المؤتمر السوري في ٨ آذار عام ١٩٢٠م، وذلك بضرب الحركة العربية حيث سارعت بريطانيا وفرنسا لعقد مؤتمر سان ريمو في ٥ أيّار عام ١٩٢٠م، والذي بموجبه وقعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ووقعت العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني. (٣)

---

(١) عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، المصدر نفسه، ص ٥٣٢.

(٢) سليمان تقي الدين : التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، ١٩٢٠-١٩٧٠، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٣٠.

(٣) محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان، المصدر نفسه، ص ٨٧.

السياسة الفرنسية في لبنان من اعلان دولة لبنان الكبير الى اعلان الدستور (١٩٢٠-١٩٢٦)

بدأت فرنسا منذ احتلالها للبنان عام ١٩٢٠ باطلاق يدها حرة فيه وبدون قيود في تنظيم شؤونه ورسم سياساته، ولضمان بقائها بدأت فرنسا تعمل منذ أن حلت بلبنان على تكريس الطائفية بحجة المحافظة على التوازن الطائفي، فوضعت القواعد والأسس التي مازالت ماثلة الى اليوم كوصمة عار في جبين السياسة الفرنسية وأنصارها.

ولتنفيذ هذه السياسة قامت فرنسا بتلبية مطالب أنصارها الخاصة بتوسيع حدود لبنان بضم مناطق جديدة اليه، ولذلك جاء اعلان الجنرال الفرنسي غورو عن تأسيس دولة لبنان الكبير في ٣١ آب ١٩٢٠م، بناءاً على الخطة الفرنسية المتبعة من أجل السيطرة على المنطقة، وضمن الدور الذي أرادته فرنسا ورسمته للبنان في سياستها الرامية لضرب حركة التحرر العربي خاصة بعد معركة ميسلون ٢٤ تموز عام ١٩٢٠م (١) ، ويبدو أن هذه السياسة الفرنسية كانت تهدف الى خلق وطن قومي مسيحي يعتمد في وجوده وبقائه على تقديم العون والضمانات الكافية له من فرنسا للمحافظة على لون لبنان الطائفي وعلى الهيمنة السياسية المارونية عليه بوجه عام، وكذلك لتأكيد ارتباط الموارنة بفرنسا بعد أن ضمت الدولة الجديدة طوائف أخرى تقارب النسبة العددية للموارنة الأمر الذي يزيد من اعتماد الموارنة على فرنسا في مواجهة الأغلبية.

وفيما تبدو هذه السياسة في الظاهر استجابة لمطالب أنصار لبنان الكبير من اللبنانيين الذين كانوا يطالبون بضم المناطق الساحلية الى متصرفية الجبل من خلال وفودهم المتكررة الى عصبة الأمم ومؤتمر الصلح، الاّ أنها تأتي انسجاماً مع المصالح الفرنسية التي تسعى الى خلق لبنان كبير تنطلق منه المصالح الفرنسية لحاجتها الى دولة تستطيع البقاء والاستمرار وبحدود تضمن لفرنسا دوراً هاماً في المنطقة ضمن المخطط الاستعماري. (٢)

---

(١) سليمان تقي الدين : التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، المصدر نفسه، ص ٣٣. / أنظر فيليب حتي : لبنان في التاريخ، المصدر نفسه، ص ٥٩٨.

(٢) محمود كامل المحامي : الدولة العربية الكبرى، المصدر نفسه، ص ٤٨٩. / أنظر جورج انطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٤٩١.

وبضم المناطق الساحلية الى جبل لبنان اختل التوزن الطائفي في الدولة الجديدة حيث لم يعد الموارنة يشكلون الطائفة الأكثر عدداً، بسبب أن المناطق التي ألحقت بجبل لبنان كانت ذات أغلبية اسلامية ويبدو أن فرنسا قصدت من ذلك بالاضافة الى ما سبق تقليص حركة المد العربي في سوريا بشكل عام لأن معظم سكان المناطق التي ألحقت بجبل لبنان عام ١٩٢١م كان من أنصار التوجه الوحدوي مع سوريا، ولذلك لجأت فرنسا الى الامعان في اشعار الموارنة بأن وجود الكيان اللبناني يعتمد أساساً على فرنسا، كما ملكتهم مهام الأمور في الدولة لتعميق الانقسام الطائفي (١) ، وهكذا قصدت سياسة الإنتداب الفرنسي إلى ترسيخ الهيمنة المارونية على دولة لبنان الكبير، والإنحياز السافر لها من أجل تأهيل فريق طائفي يحكم بإسمها ويحرس مصالحها، وينظر دائماً إلى فرنسا على أنها المحامي والمدافع عن بقائه وتميزه.

كانت الصعوبة السياسية الناشئة عن تمزيق سوريا، أن الدولة اللبنانية الجديدة بما ضم إليها من أراض لم تكن تابعة من قبل إلى جبل لبنان، قد إنطوت في حدودها الجديدة على مجموعات لم تكن ترغب في أن تنتمي إليها، خاصةً المسلمين وبعض الطوائف المسيحية غير الكاثوليكية، ولذلك عمدت السياسة الفرنسية إلى محاولة إسترضائهم بتوزيع الوظائف العامة على الطوائف المختلفة على أساس نسبة أهمية هذه الطوائف وموقفها من فرنسا، ولذلك بقيت السلطة الحقيقية منحصرة في أيدي الفرنسيين والموارنة، بالرغم من أن قسماً كبيراً من السكان كالمسلمين غير راضين عن بقاء لبنان خاضعاً لفرنسا والموارنة. (٢)

ويُلاحظ أن فرنسا إعتمدت على الموارنة كسند لهم في لبنان، وكحليف إستراتيجي يمكن المراهنة عليه أفضل من المسلمين، ويرجع ذلك إلى جذور السياسة الفرنسية في جبل لبنان منذ أواسط القرن التاسع عشر على الأقل، في حين نظرت للطوائف المسيحية الأخرى غير الكاثوليكية على أنها تقف على الحياد، وأن المسلمين كانوا يكرهون الفرنسيين من صميم قلوبهم، وتيسيراً لمهمتهم إتبعت فرنسا سياسة "فرّق تسد" بإستغلال الخلافات الدينية وتوسيع شقة الخلافات التي كان لبنان يشكو منها أكثر من أي قطر آخر من أقطار الوطن العربي، حيث تشكل بعض الأقليات والطوائف أقليات جغرافية متماسكة، فبجبل لبنان يوجد الموارنة والدروز وفي المناطق الساحلية من لبنان توجد طوائف مسيحية أرثوذكسية وبرتستانتية، بالإضافة إلى الأغلبية الإسلامية

---

(١) سليمان تقي الدين : المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

التي تسكن معظم المناطق الساحلية، وقد شجعت السياسة الإستعمارية الفرنسية نتيجة لهذه التقسيمات الجغرافية، الإتجاهات الإنفصالية لبعض الأقليات. (١)

ولتثبيت التجزئة في البلاد السورية وتفتيت قواها، حرصت السياسة الفرنسية في لبنان بحجة حماية حقوق الأقليات على تمثيل كل طائفة دينية يزيد عدد أفرادها عن عشرين ألف نسمة في المجلس التمثيلي (النواب) اللبناني، وقد كشف غابريل بيو (Gabriel Puaux) المفوض السامي الفرنسي في بيروت، عن دوافع هذه السياسة الفرنسية في مذكراته حيث قال : ((لقد تشبعنا من خلال تربيتنا التقليدية بمبدأ "فرّق تسد" كما ان تقسيم الطوائف والتنافس على المصالح الشخصية يبدوان للفرنسي العادي فرصة ثمينة لحكم البلاد بسهولة ويسر. كان كثر من معاوني، والعسكريون منهم بخاصة يعتقدون بذلك وكنت أعرف منهم الميكافيلي الذي لا يتورع عن إذكاء نار الفتنة والأحقاد بين الأقليات ولم يكن من السهل علي دوماً إحباط مؤامراتهم، وكنت أعتبر مثل هذه الأساليب الإدارية أساليب حقيرة وخطيرة. إذ لا بد من تحقيق التوازن الضروري في ظل السلام والإنسجام، وليس عن طريق خلق المنازعات المعدة إعداداً دقيقاً)). (٢)

وعلى الواقع الفعلي أجرت السلطات الفرنسية التعداد السكاني الأول في لبنان في عهدها في ١٧ كانون الثاني عام ١٩٢٢م، وفي ظل المقاطعة الإسلامية في الغالب لهذا التعداد، حاولت فرنسا إظهار الغلبة المسيحية للسكان وعلى هذا الأساس وضعت السياسات بناءاً على هذا الإحصاء الذي تم على أسس طائفية، حيث قسّمت لكل طائفة فيما بعد حصتها من النواب في المجلس التمثيلي اللبناني الذي أجريت إنتخابته أيضاً في نفس العام، لتزيد بذلك من حدة التنافس والإنشقاق الطائفي في لبنان، وذلك كي لا يصل في يوم من الأيام إلى أي نوع من الإتفاق والإنسجام الذي يعني تداعي حجج فرنسا في حماية حقوق الأقليات والطوائف، وأن هذه الحجج والمبررات التي على أساسها تدخلت فرنسا في لبنان قد إنتهت.

لقد أدت السياسة الطائفية الفرنسية إلى إثارة مخاوف المسيحيين ومعارضتهم الشديدة لكل شكل من أشكال الإتحاد مع سوريا، حيث كونت لديهم قناعات بأن الوسيلة الوحيدة للحفاظ على إستقلالهم هي الحماية الفرنسية، فاتجهوا إلى فرنسا كأم حامية لهم وحانية عليهم، فأخذوا يسيرون

(١) سليمان تقي الدين : المصدر نفسه، ص ٢٧. / أنظر علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) د.علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٢٧. عن
Gabreil Puaux, Deux Annees AU Lavant: Souvenirs DE Syricet DU Liban, 1939-1940, Paris, 1952, P. 28.

في خط السياسة الفرنسية الساعية إلى إماتة فكرة القومية العربية، وتعزيز فكرة الطائفة- الأمة. (١)

ولتكريس سياسة الطائفية والتجزئة وقطع الطريق على أية محاولات للوحدة مع سوريا، بدأت السلطات الفرنسية منذ أواخر العام ١٩٢٥م بوضع دستور للبنان، ويبدو أن الدستور اللبناني الذي أعلن في ٢٦ أيار عام ١٩٢٦م جاء للأسباب التالية :

١- إمتداد ثورة الدروز عام ١٩٢٥م إلى المناطق اللبنانية التي ألحقت قسراً بجبل لبنان عام ١٩٢٠م.

٢- حرص الدولة المنتدبة على تلبية رغبات أنصار الكيان اللبناني بوضع دستور للبنان لتأكيد إستقلاله وقطعاً للطريق على أية محاولات او دعوات وحدوية خارج أو داخل لبنان.

٣- إستمالة العناصر الإسلامية والوحدوية نحو تقبل الكيان اللبناني، وذلك بإحتواء الدستور على مواد لا تمانع من وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية وبعض المواد الأخرى التي يفهم منها العدالة والمساواة والحرية.

٤- العمل على زيادة أعداد المسلمين والأرثوذكس المقتنعين ضمنياً أو علنياً بالعمل في إطار الكيان اللبناني، الذين أصبحوا يميلون لهذا الكيان تمشياً مع سياسة الأمر الواقع. (٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن معارضة أبناء الطوائف الإسلامية لسن الدستور اللبناني وامتناعهم عن المشاركة في وضعه قد ادى إلى صبغه بصبغة فرنسية طائفية حيث شارك في وضع نصوصه ممثلون عن المفوضية الفرنسية وفريق لبناني موالي لها أمثال بترو طراد وميشال شيحا وشارل دبّاس الذي أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦م. ولذلك كرّس الدستور اللبناني وجود الإنتداب الفرنسي حيث أُتخذ العلم الفرنسي مع إضافة أرزة عليه علماً للبنان، وجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية للدولة إلى جانب اللغة العربية، كما حرص الدستور اللبناني على تأكيد حدود لبنان كما أعلنت عام ١٩٢٠م، وبذلك تكرّس إنفصال لبنان عن سوريا دستورياً وبالرغم من أن هناك مادة في الدستور تنص على أن : " لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة، لا ميزة لأحد على الآخر إلاّ من حيث الإستحقاق والجدارة حسب

---

(١) د.علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٢) فيليب حتّي : المصدر نفسه، ص ٥٩٨.

الشروط التي ينص عليها القانون " (١) ، إلاّ أن هناك مادة أخرى في الدستور تناقضها تناقضاً تاماً إذ تكرس الطائفية بقولها : "بصورة مؤقتة وعملاً بصك الإنتداب والتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة، وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة" (٢) ، وإعتماداً للطائفية فقد وُزّعت المقاعد في مجلسي الشيوخ والنواب في لبنان عام ١٩٢٦م على النحو التالي :

- موارنة : (٥) مقاعد
- سنة : (٣) مقاعد
- شيعة : (٣) مقاعد
- روم أرثوذكس : (٣) مقاعد
- روم كاثوليك : مقعد واحد
- دروز : مقعد واحد
- الأقليات الأخرى : مقعد واحد. (٣)

ومنذ ذلك التاريخ نشأ تقليد بموجبه يصبح رئيس الجمهورية اللبنانية مارونياً ورئيس الوزراء مسلماً سنيّاً ورئيس المجلس النيابي شيعياً ووزير الدفاع درزياً هذا بالرغم من أن أول رئيس للجمهورية كان شارل دبّاس وهو مسيحي أرثوذكسي (٤) ، ويبدو أن تنصيب شارل دبّاس لهذا المنصب جاء لإعتبارات في السياسة الفرنسية وهي أن شارل دبّاس الأرثوذكسي تربط عائلته وطائفته بالمسلمين علاقات حسنة وله رصيد أفضل من الموارنة، حيث تمكن تقبله والإجماع عليه بدلاً من أي شخصية مارونية أخرى في ذلك الوقت، بالإضافة إلى الصداقة التي تربط شارل دبّاس بفرنسا.

وهكذا جاء إعلان الدستور اللبناني عام ١٩٢٦م لتكريس التجزئة النهائية للبنان والقضاء على أمل الوحدة والعودة إلى أحضان الدولة العربية التي يطمح إليها الوحدويون من أبناء لبنان.

---

(١) ملحم قربان : تاريخ لبنان الحديث، ج١، المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(٢) فيليب حتّي : لبنان في التاريخ، المصدر نفسه، ص ٥٩٩.

(٣) باسم الجسر : ميثاق ١٩٤٣م لماذا كان؟ وهل سقط؟، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٥٥.

(٤) محي الدين النصولي : مجلة العرفان، مجلد (٣٢)، ج٥، نيسان، ١٩٤٥م، ص ٤٤.

ومن المُلاحظ ان إعلان الدستور اللبناني كان قد عدّل من مسار بعض الإتجاهات السياسية اللبنانية سواء الوحدوية أو اللبنانية، حيث أضحى القبول بالكيان اللبناني المستقل أمراً واقعاً بالنسبة لدعاة الوحدة ومعاداة الكيان اللبناني، وبذلك تكون فرنسا على الأقل قد خففت من قوة هذه الدعوات الوحدوية في إطار سعيها لإماتة الفكرة العربية في نفوس أصحابها، ومحاولة تحسين صورتها أمام كارهيها من أبناء لبنان، ويدلل على ذلك ظهور إتجاه ثالث في لبنان إلى جانب التيار الوحدوي والتيار الإنفصالي اللبناني، فقد ظهر تيار جديد متوسط (لا طائفي) في الفترة التي تلت إعلان الدستور وإعلان الجمهورية عام ١٩٢٦م، فمع الحياة الدستورية تعززت الحياة الحزبية والصراع على الحكم في لبنان، الامر الذي أوجد تيارات مسيحية معارضة للسلطة الفرنسية ومنفتحة على الحركة الوطنية في سوريا وغيرها من الحركات الوطنية في البلدان العربية في البلدان المجاورة ملتقين بذلك مع السياسيين المسلمين في لبنان (١) ، وفي هذا الإطار يمكن تفسير الكتل البرلمانية والأحزاب اللبنانية التي ظهرت بعد إعلان الدستور والجمهورية عام ١٩٢٦م، حيث موقف الكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري المتعاطف مع أنصار الوحدة السورية والإنفتاح على سورية وبقية الأقطار العربية، وموقف الكتلة الوطنية بزعامة إميل أده المغرقة في عدائها للحركة الوطنية المناهضة للإنتداب الفرنسي في لبنان والرافضة لكل علاقة سياسية مع البلاد العربية. (٢)

ويُلاحظ أن التقارب في وجهات النظر هذه عند اللبنانيين من مسلمين مسيحيين لا يعني تخلي المسيحيون وخاصة الموارنة عن تعلقهم بالكيان اللبناني والإنتداب الفرنسي، كما لا يعني تخلي المسلمون عن مطالبهم الوحدوية والإرتباط بسورية ورفض الكيان اللبناني، حيث أن مثل هذا التقارب ربما املته مصالح شخصية ونفعية أكثر مما هي مصلحة وطنية، حيث بات في ظل الإنتخابات الرئاسية والنيابية حاجة بعض السياسيين إلى أصوات توصلهم إلى الرئاسة أو إلى النيابة، إلاّ أن الذي يستشف من الغزل السياسي بين التيارين الوحدوي والإنفصالي يظهر وكأنه يسير بإتجاه التوفيق والتعايش عن طريق تخلي كل منهما عن ما يثير حنق الآخر وكراهيته، وبمعنى آخر تخلي المسيحيون عن طلب الحماية الأجنبية مقابل تخلي المسلمون عن دعوتهم للوحدة السورية، وهذا ما حصل بالفعل في ميثاق عام ١٩٤٣م. (٣)

---

(١) باسم الجسر : المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

موقف فرنسا من تولي مسلم رئاسة الجمهورية

كان موقف المسلمين السلبي من الكيان اللبناني منذ نشأته عام ١٩٢٠م، قد جرّ عليهم الكثير من المصائب والخسائر. حيث أن إعتزالهم للسياسة اللبنانية وعدم مشاركتهم وإندماجهم بالكيان اللبناني أدى لصبغ لبنان بصبغة مسيحية طائفية، وأضحى المسلمون وكأنهم غرباء في هذا الكيان، فقد رفضوا المشاركة بالتعداد السكاني عام ١٩٢٢م والذي على اساسه وزعت المقاعد في المجلس التمثيلي ورُسمت على أساسه الكثير من السياسات الطائفية، كما ان رفضهم للمشاركة في سن الدستور اللبناني عام ١٩٢٦م، وتنكبهم عن إستلام الوظائف والمناصب العامة في الدولة، أدى إلى سير لبنان والسياسة اللبنانية بإتجاه واحد طائفي يصب في مصلحة الموارنة وأنصار الكيان اللبناني وفرنسا. (١)

وقد حرصت فرنسا إبتداءً من عام ١٩٢٨م على تصفية خلافاتها مع الحركة الوطنية في سوريا، بحيث لا يكون لبنان ثمن هذا الإتفاق السوري-الفرنسي، إثر المحادثات التي جرت بين الحكومة الفرنسية والحركة الوطنية في سورية، حيث عمدت السلطات الفرنسية إلى إتخاذ إجراءات وخطوات دستورية غريبة، إذ سنّت دستوراً سورياً عام ١٩٢٨م ثم علّقته، كما عدّلت الدستور اللبناني عام ١٩٢٧م واوقفت العمل به عام ١٩٣٢م، بحيث أثرت هذه السياسة في عدم الإستقرار الدستوري وفي تطور الحركات الوطنية في سوريا ولبنان (٢) ، ويمكن تفسير ذلك على أنه إجراء مؤقت لدرء خطر رفض العناصر الوطنية للسياسة الفرنسية التي أخذت تستميل بعضهم، والمطالبة بتطبيق الدستور الفعلي الذي قد يوصل الوطنيين وأنصار التوجه الوحدوي إلى سدة الحكم خاصة في لبنان. (٣)

وفي إطار موقف فرنسا من تولي مسلم رئاسة الجمهورية وشعور المسلمين بالغبن الذي أصابهم بالسابق نتيجة مقاطعتهم للكيان اللبناني، أخذ المسلمون يتطلعون إلى إصلاح ما فسد وإستعادة بعض مواقع الوجود على صعيد الدولة اللبنانية، ولما كان الدستور اللبناني لا يُمانع دون وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية فقد رأى المسلمون أن من حقهم الوصول إلى منصب

---

(١) محمد بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) حسان الحلاق : التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢، المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٣) محمد بيهم : النزعات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٣٠.

الرئاسة التي يجب أن تنتقل بالمناوبة من طائفة إلى أخرى، وبمعنى آخر رأوا أن من حقهم بعد تبوؤ النصارى لرئاسة الجمهورية مرتين، أن يُرشحوا أحدهم لهذا المنصب. (١)

وكانت اول الاعمال التي سارع المسلمون لإنجازها هو التعامل الإيجابي مع الدولة اللبنانية، حيث أبدوا تقبلاً للكيان اللبناني وذلك بإعتراضهم على بعض السياسات التي تقوم بها الدولة اللبنانية، مطالبين بإصلاحها كالمقاعد النيابية والمساواة بين الطوائف في المجالات التعليمية والجمركية والضرائب وغير ذلك، إلاّ أن أهم تلك الأعمال وعلامات تقبل الكيان اللبناني كانت قد تجلت بمطالبة أبناء الطوائف الإسلامية بإجراء إحصاء عام للسكان عام ١٩٣١م، وترشيح شخصية إسلامية لمنصب رئاسة الجمهورية في إنتخابات عام ١٩٣٢م. (٢)

وقد تبنى الشيخ محمد الجسر (مسلم سني) وأحد أعضاء المجلس التمثيلي اللبناني المؤيدين للكيان اللبناني الدعوة التي وجهتها جمعية إتحاد الشبيبة الإسلامية في بيروت، لإجراء الإحصاء السكاني وترشيح مسلم لرئاسة الجمهورية، ولهذه الأسباب تكونت لجنة إسلامية للعمل على الوصول إلى رئاسة الجمهورية حيث حثّ بيان الجمعية في كانون الثاني عام ١٩٣٢م، أبناء الطوائف الإسلامية جميعاً على إختلاف مذاهبهم إلى المشاركة في الإحصاء الجديد، ويذكرهم بأن الإجحاف والغبن الذي يعيش فيه المسلمون كان سببه الإمتناع عن المشاركة في الإحصاء السابق عام ١٩٢٢م، والإعراض عن المشاركة في السياسة العامة والإندماج في الكيان اللبناني. (٣)

وبالمقابل كان إهتمام النصارى بالإحصاء كبيراً جداً، وعلى رأسهم البطريرك الماروني أنطوان عريضة، ووصل الامر بتسجيل أسماء المهاجرين اللبنانيين في الخارج في قوائم الإحصاء، وكانت المنافسة على أشدها بين شخصيتين مارونيتين هما : بشارة الخوري وإميل أده، بالرغم من وجود مرشحين آخرين من الطوائف المسيحية أمثال حبيب باشا السعد (ماروني) والدكتور أيوب ثابت (بروتستانتي) إلاّ أن هؤلاء كان نصيبهم بالفوز أقل من نصيب بشارة الخوري وإميل أده، حيث أن لكل منهما كتلة نيابية تؤازره عدى عن مدى ثقة فرنسا بهؤلاء أكثر من غيرهم.

---

(١) محمد بيهم : قوافل العروبة، ج٢، المصدر نفسه، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٣) د. علي محافظة : موقف فرنسا، المانيا، ايطاليا، المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

وفي خضم هذا الصراع نشط الشيخ محمد الجسر في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية معتمداً على صداقته لفرنسا، وعلى الكتلة الإسلامية المتماسكة التي تقف خلفه وتدعمه، خاصة بعد أن جاءت نتيجة الإحصاء لعام ١٩٣٢م مفاجئة للجميع، حيث بلغ عدد نفوس الطوائف المسلمة ٣٨٦,٤٠٩ نسمة وهو رقم يساوي نصف عدد سكان الجمهورية تقريباً الذي بلغ ٧٩٣,٣٩٦ نسمة، ويبدو أن السلطات الفرنسية وانصارها وكذلك المسلمين لم يتوقعوا هذا الرقم بسبب بقاء هذه النسبة مكتومة إلى ذلك الوقت، حيث لم يشارك المسلمين في تعداد عام ١٩٢٢م، مما أدى إلى بقائها في طي الكتمان وعدم معرفة النسبة الحقيقية لعدد السكان المسلمين. (١)

وفيما كان الشيخ محمد الجسر وهو نائب في المجلس النيابي ومن ثم رئيساً له بمساعدة فرنسا مستمراً في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، أوضح له المفوض الفرنسي إستحالة إنتخابه لرئاسة الجمهورية (٢) ، وفي نفس الوقت عارض البطريرك الماروني وبعض القوى المارونية ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية، لان رئاسة الجمهورية في نظرهم يجب أن تكون للموارنة حسب الوعود الفرنسية، وحسب إدعائهم بان الكيان اللبناني قام على أكتافهم وأنه وطن للنصارى والرهبان وسيبقى كذلك. (٣)

ويبدو من خلال هذه السياسات المعارضة لتولي مسلم رئاسة الجمهورية من قبل السلطات الفرنسية والموارنة، أن الكيان اللبناني كان قد أُنشأ فعلاً كوطن للمسيحيين في المنطقة، ويُلاحظ ذلك من خلال المشاحنات السياسية والطائفية حول موضوع منصب رئاسة الجمهورية، حيث قام المفوض السامي الفرنسي "بونسو" (Ponsot) بتعليق الدستور اللبناني في ٩ أيار عام ١٩٣٢م، وحل المجلس النيابي والوزارة وتثبيت الرئيس شارل دبّاس رئيساً للجمهورية لأجل غير مسمى، بعد أن طلب من الشيخ محمد الجسر سحب ترشيحه، إلاّ أن الاخير رفض هذا الطلب وعزم على خوض معركة إنتخاب رئيس الجمهورية. (٤)

وتأتي هذه السياسة الفرنسية تأكيداً لإبعاد المسلمين عن هذا المنصب حتى ولو كان المرشح صديقاً لفرنسا ومؤيداً لسياستها في لبنان كالشيخ محمد الجسر، فقد ضرب المفوض

---

(١) محمد بيهم : قوافل العروبة، ج٢، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام، ج٢، المصدر نفسه، ص ٧٩٣.

(٣) محمد بيهم : قوافل العروبة، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٤) د.علي محافظة : المصدر نفسه، ص ١٢٧.

السامي الفرنسي "بونسو" صفحاً بكل أماني المسلمين المستندة إلى حقائق الأرقام، ورفض حقهم في المناصفة مع الطوائف المسيحية، ويبدوا ان السياسة الفرنسية كانت تسير على وتيرة واحدة بشأن ضرب أماني المسلمين والحفاظ على الوجه المسيحي للبنان. فقد أتت سياسة تعليق الدستور اللبناني وحل المجلس التمثيلي والوزارة عام ١٩٣٢م، لأسباب لم تكن تخفى على أحد في السياسة الفرنسية، فبالرغم من موالاة الشيخ محمد الجسر لفرنسا وتأييده للكيان اللبناني إلاّ أنها وقفت بكل عناد امام ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية، ذلك الترشيح الذي خوّله الدستور الذي وضعته فرنسا نفسها عام ١٩٢٦م للبنان، ولكن الواضح أن فرنسا وأنصارها من المسيحيين رأت أن كفة الشيخ الجسر بدأت ترجح لصالحه وبات على قاب قوسين أو ادنى من الرئاسة، ولذلك قامت السياسة الفرنسية بالعمل على إحباط هذا المشروع للحيلولة دون وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية. (١)

ومن الملاحظ أن كفة الشيخ الجسر كانت قد رجحت فعلاً بسبب تنافس النصارى فيما بينهم، فقد تنافس أربعة مرشحين على منصب الرئاسة، مما جعل وصول أحدهم إلى الرئاسة أمراً صعباً في ظل إنقسام الطوائف المسيحية على انفسهم، وفي ظل تفكك القواعد الشعبية وتوزعها بينهم، في حين أن المسلمين شكّلوا كتلة واحدة متماسكة تقف وراء الشيخ محمد الجسر بحماس، عدا عن دعم بعض العناصر المسيحية (أرثوذكسية وبروتستانتية) للشيخ محمد الجسر، الذي أظهر كفاءة أثناء فترة رئاسته لمجلس النواب اللبناني.

لقد بذلت وزارة الخارجية الفرنسية في باريس والمفوضة الفرنسية في لبنان كل جهودهما لإفشال حملة الشيخ محمد الجسر وإبعاده عن منصب الرئاسة رغم ولائه لها، وتأييده لسياسة فرنسا في خلق الكيان اللبناني، فقد سارع المفوض السامي الفرنسي " بونسو" في لبنان إلى إرسال برقيتين عاجلتين إلى وزارة الخارجية الفرنسية في ٢٢ آذار عام ١٩٣٢م، تعبران عن قلقه بشأن مسألة إنتخاب رئاسة الجمهورية اللبنانية، وإحتمال توصل أحد المسلمين إلى هذا المركز وجاء في البرقية الاولى : "بأن رئيس المجلس النيابي اللبناني شخصية إسلامية من طرابلس الشام، وقد قدّم حتى الآن كل الضمانات للإنتداب الفرنسي واحتفظ مع الفرنسيين بعلاقات وثيقة

(١) د.علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٧٧.

جداً ومستقيمة" (١) ، وجاء في البرقية الثانية : " إنه في حال إستمرار الشيخ محمد الجسر مرشحا لرئاسة الجمهورية فإن ذلك سيحرج الموقف الفرنسي رغم أن الدستور يسمح له بالترشيح" (٢)

وفي نيسان عام ١٩٣٢م، أكد المفوض الفرنسي في رسالة إلى الخارجية الفرنسية خشيته من إمكانية وصول الشيخ الجسر لرئاسة الجمهورية بسبب تماسك الكتلة السياسية الإسلامية، غير أن نجاحه "سيضع فرنسا في مواجهة سياسية صعبة جداً لأن نفوذنا في المشرق يرتكز أساساً على المسيحيين اللبنانيين أعواننا التقليديين" (٣) ، وفي رده على هذه الرسالة ارسل وزير الخارجية الفرنسية إلى المفوض السامي "بونسو" طلب منه فيها وضع كامل ثقل فرنسا من أجل إنتخاب رئيس مسيحي للبنان لان وصول الشيخ محمد الجسر إلى الرئاسة سيؤلب المسيحيين ضدنا، بالرغم من أنهم وحدهم يتحملون تبعات الهزيمة الناتجة عن إنقسامهم، ثم أردف في نفس البرقية قوله بأن الحفاظ على الإنتداب الفرنسي يقضي بترسيخ هيمنة مسيحية في لبنان. (٤)

ويُلاحظ خلال هذه المراسلات والتقارير التصميم الفرنسي على إبعاد الشخصيات الإسلامية رغم ولائها لفرنسا عن منصب رئاسة الجمهورية، الأمر الذي يشير إلى أن مرتكزات دولة لبنان الكبير قامت على أساس أن هذه الدولة إنما أقيمت لإنشاء وطن قومي مسيحي يحفظ الوجود الفرنسي الذي يعتمد في الأساس على ترسيخ الهيمنة المسيحية في لبنان ولأن وصول مسلم إلى منصب رئاسة الجمهورية يزيد من حماس السوريين وأنصار الوحدة ضد فرنسا. (٥)

وهكذا إستمرت فرنسا في سياستها التقليدية بالتمييز بين اللبنانيين والتركيز على الطائفة المارونية وتغذية النعرات الطائفية والمذهبية بينهم كعامل إرتكاز أساسي لوجودها في المنطقة، وقد ساعدهم على ذلك تعلق الموارنة بفرنسا حيث تعود هؤلاء على خصوصية وإستقلال منذ أيام المتصرفية إبان الحكم العثماني بفضل فرنسا التي أشعرتهم منذ عام ١٨٦٠م (تارخ إنشاء المتصرفية في جبل لبنان) بصيغة الوطن القومي المسيحي الوحيد في الشرق، ولذلك لم يتوانى

---

(١) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٨.

(٢) علي شعيب : تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء، المصدر نفسه، ص ٨٢ / أنظر حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٣) محمد بيهم : قوافل العروبة، ج٢، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٤) د. علي محافظة : المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٥) حسان حلاق : التيارات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ٧٧.

البطريرك أنطوان عريضة بطريرك الطائفة المارونية في لبنان عام ١٩٣٣م، عن قوله : "أن المسيحيين لم يبق لهم وطن في الشرق كله إلاّ لبنان إزاء بقية الأوطان الأخرى لا سيما وقد لجأ إلى لبنان أغلب بطاركة المسيحيين ... " (١) ، هذا في الوقت الذي أخذ فيه المسلمون بتقبل الكيان اللبناني الجديد والمشاركة فيه.

ولم تكتف فرنسا بهذا الحد من التمييز بين المسيحيين والمسلمين، بل إمتد ذلك إلى أبسط الحقوق الأخرى كالتعليم مثلاً، حيث وزّعت أكثر المساعدات على المدارس والإرساليات الأجنبية المسيحية وإهمال المناطق الريفية والمدينية ذات الطابع الإسلامي في كافة المجالات الخدمية ... (٢)

ومن الملاحظ أن المفوضية الفرنسية في بيروت كانت تتقصى واقع السياسة اللبنانية بين مختلف الفرقاء، وتعالج تحركاتها حسب خططها المدروسة بما يتفق مع مصالحها في لبنان والمنطقة السورية بشكل عام، ولذلك لم تلجأ المفوضية الفرنسية إلى إجراء الإحصاء إلاّ لأنها تريد أن ترسخ به الإنقسام الطائفي بعد أن وجدت تقارباً في وجهات النظر بين أنصار الكيان اللبناني وأنصار الوحدة السورية، ضد سياسة الإنتداب الفرنسي، فقد سبق إجراء التعداد السكاني في لبنان عام ١٩٣٢م، ولادة حزب " الإستقلال الجمهوري " في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٣١م برئاسة دعيبس المر، وضم في عضويته قيادات من مختلف الطوائف الدينية في لبنان، أمثال عادل الصلح (نائب رئيس الحزب) والشيخ عزيز الهاشم (مسلم) وقد أشارت مباديء الحزب إلى إلغاء الطائفية في لبنان، فقد جاء في أدبيات الحزب : " أن النظام الطائفي يوجد التنافر والتفرقة بين العناصر الوطنية، وأن الطائفية تقضي على الكفاءة وتقف حجر عثرة في سبيل أي تقدم، ولا يجوز القول أن النظام الطائفي يحمي الأقليات، فليس في لبنان على شكله الحاضر طائفة تجمع وحدها نصف سكانه او اكثر من النصف. فكل طائفة هي بنفسها أقلية بالنسبة إلى المجموع. ومصلحة البلد تقضي بأن يُستعاض عن هذا النظام بنظام الكفاءة والجدارة " (٣) ، كما دعا الحزب إلى إعادة النظر في الدستور اللبناني الصادر في عام ١٩٢٦م، كونه أرسى قواعد الطائفية في البلاد والإعتراف بلبنان ضمن حدوده الجديدة التي رسمها غورو عام ١٩٢٠م (٤) ، وتتلخص

(١) علي شعيب : المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢) سليمان تقي الدين : المصدر نفسه، ص ٣٣ وما بعد

(٣) باسم الجسر : ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ ....، المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٩-٦٠.

مبادىء الحزب في الإستقلال والتقدم، والديمقراطية وعروبة لبنان وإلغاء الطائفية، وتأتي هذه المبادىء دليل صارخ على ما يعانيه لبنان من جراء السياسة الطائفية البغيضة التي تمارسها السلطات الفرنسية. (١)

وفيما كانت المفاوضات جارية بين المفوض السامي الفرنسي والحكومة السورية، بشأن معاهدة بين البلدين في مطلع الثلاثينات، أعد حزب الإستقلال الجمهوري مشروعاً إستعداداً لتقديمه إلى الحكومة اللبنانية في حال إجراء مفاوضات بينها وبين فرنسا، وكانت أهم بنود هذا المشروع تنص على أن لبنان دولة عربية مستقلة ذات سيادة. (٢)

ويُلاحظ أن فرنسا لم يكن يهمها من قضية رئاسة الجمهورية سوى مصالحها دون أي إهتمام بالمصلحة الوطنية اللبنانية رغم أنها تذرعت لدى عصبة الامم ومؤتمر الصلح بالعمل على بناء هذا البلد ورقائه، ولكنها في الحقيقة جاءت بممارسات كان من شأنها خراب هذا البلد وشقاء أبنائه إلى هذا اليوم. فلو تركت فرنسا الأمور على طبيعتها وكانت قادرة على ذلك لحصلت سابقة جيدة في السياسة اللبنانية وخدمت اللبنانيين لفترات قادمة على إختلاف طوائفهم ومذاهبهم.

ويبدو أن فرنسا نظرت إلى مسألة إنتخاب رئاسة الجمهورية على أنها مسألة متعلقة بالعلاقات السورية-الفرنسية، لان وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية سيؤدي في نظرهم إلى تشدد السوريين في مباحثاتهم مع الفرنسيين بالوحدة مع لبنان، وهذا ما أكده المفوض الفرنسي بونسو في نيسان من عام ١٩٣٢م لوزارة الخارجية الفرنسية ناصحاً بإنتخاب رئيس مسيحي للبنان لان ذلك يخدم المصلحة الفرنسية، ومما قاله بونسو : " ... فنجاح الشيخ محمد الجسر لن يلبث أن يلهب شعور الوطنيين السوريين ويزيد من حماسهم ضدنا، كما أن وصول الشيخ الجسر إلى الرئاسة سيؤلب المسيحيين ضدنا أيضاً " (٣) ، ومن هنا تبدو قضية إنتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٣٢م، قضية سياسية في الدرجة الأولى حيث كانت فرنسا تعمل وفق مصالحها الإستراتيجية مستغلةً الإنقسامات الطائفية كذريعة ومبرر لسياستها، ومن هنا نلحظ تأثيرها على توسيع شقة الخلاف بين اللبنانيين بمختلف طوائفهم وإتجاهاتهم السياسية، حتى أن الشيخ الجسر نفسه والذي كان صديقاً لفرنسا ومواليًا لها ويرفض إنضمام أي جزء من لبنان لسوريا، قال بعد

(١) حسان حلاق : التيارات السياسية في لبنان، المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧.

(٣) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر نفسه، ص ١٣٧.

مسألة الإنتخابات الرئاسية منتقداً ممارسات السياسة الفرنسية : " على أنها تقوم على مبدأ إقامة وطن قومي مسيحي يضم أغلبية إسلامية في لبنان، ويستند في أساسه على نظام برلماني مشوه وغير قابل للتصحيح، ويسمح دوماً أن تبقى هذه الأكثرية الإسلامية مغلوباً على أمرها " (١)

ويمكن القول ان السياسة الطائفية التي إتبعتها فرنسا في لبنان كانت قد أدت إلى ظهور تيار جديد لا طائفي إلى جانب التيارين الطائفيين " المسيحي-اللبناني " " والمسلم-العروبي". فقد كشف وقف العمل بالدستور عن نية الإنتداب الفرنسي في خنق الحريات العامة والنقابية والصحفية والديموقراطية بالإضافة إلى مرور لبنان بأزمة إقتصادية حادة تذمر منها معظم أبناء الشعب اللبناني وكذلك وضع السلطات الفرنسية حواجز جمركية بين سوريا ولبنان والبلدان المجاورة مما أدى إلى إضمحلال التجارة وتراجع المستوى الإقتصادي والمعيشي للسكان حيث طال هذا التراجع معظم فئات الشعب ومن مختلف الطوائف. (٢)

وقد أدت الازمة الإقتصادية في لبنان إلى الإلتقاء في وجهات النظر بين أنصار الامة اللبنانية وأنصار الوحدة السورية، لإلغاء الهيمنة الفرنسية المباشرة، وفي هذا الإطار شهد شهر تموز عام ١٩٣٣م، إنعقاد مؤتمر وطني في دار رشيد نخلة تميز بعدم حضور النواب والوزراء وأصحاب العلاقة بالحكومة اللبنانية والمفوضية العليا الفرنسية، وقد حضر المؤتمر ما يقارب مائتي من أصحاب المهن الحرة ورجال الأعمال وأصحاب الوجاهة في البلاد من مختلف الطوائف وقد عالج المؤتمر المواضيع التالية :

١- تقرير المعاهدة اللبنانية الفرنسية او تقرير الإنتداب.

٢- وضع دستور يقدم إلى جمعية الامم ووزارة الخارجية الفرنسية يكون على غير أساس الطائفية ومبني على الجدارة فقط.

٣- تقرير الوحدة اللبنانية أو الوحدة السورية.

٤- طلب تخفيض ثلث الضرائب.

كما طالب بالحفاظ على اللغة العربية كلغة رسمية للبلاد. (٣)

---

(١) حسان حلاق : التيارات السياسية ، المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٢) باسم الجسر : ميثاق ١٩٤٣ ....، المصدر نفسه، ص ٧١-٧٢.

(٣) حسان حلاق : التيارات السياسية، المصدر نفسه، ص ٧٩-٨٠.

وقد شهدت هذه الفترة أيضاً ظهور بعض القوى المسيحية ومن بينهم الموارنة، التي أخذت تطالب بإستقلال لبنان ووحدته مع سوريا، ففي ٣ حزيران عام ١٩٣٣م، ارسل أمين الريحاني مضبطة من بيروت معنونة بإسم "الشباب اللبناني العربي" إلى الملك فيصل بالعراق بمناسبة سفره إلى أوروبا، وقد طالبه ببذل جهده في أوروبا بالعمل على إنهاء الوضع الإستعماري الفرنسي على لبنان، كي يستعيد هذا البلد حقوقه الطبيعية المشروعة. (١)

كما توالت البرقيات والرسائل التي تطالب بالوحدة السورية وإنهاء الوضع الإستعماري من قبل بعض الرموز اللبنانية في بلدان المهجر، فقد وصلت إلى محمد جميل بيهم رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت رسالة من إلياس فرحات (مسيحي ماروني) أحد المغتربين اللبنانيين في البرازيل في حزيران عام ١٩٣٣م، تطالب بتأليف حزب سياسي لبناني يعمل للوحدة السورية، وفي هذه الفترة أيضاً أرسل خليل كرم رئيس جمعية الإتحاد السوري في ولاية بارانا في البرازيل إلى محمد جميل بيهم رسالة أكد فيها تأييده للوحدة السورية وخاطبه في الرسالة قائلاً: "إن الذي يكتب إليك هذه السطور هو لبناني المولد، مسيحي ماروني المذهب من إحدى قرى كسروان، لبناني ينشد الوحدة السورية بما فيها لبنان ... " (٢) وفي عام ١٩٣٤م، أجريت إنتخابات نيابية أعادت إلى لبنان نوع من الحرية السياسية والدستورية، وتم تعيين ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٣٦م موعداً للإنتخابات، وكانت الفترة الواقعة ما بين الفترة النيابية وموعد إنتحابات الرئاسة عام ١٩٣٦م فترة صراع جديد بين اللبنانيين خاصة بين جناحي المارونية آنذاك إميل اده (زعيم الكتلة الوطنية) وبشارة الخوري (زعيم الكتلة الدستورية) الذين تمحور حولهما اللبنانيين آنذاك. (٣)

أصداء المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦م وأثرها على سير التوجهات السياسية في لبنان حتى بداية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م :

بالرغم من ظهور تقارب في وجهات النظر عند اللبنانيين تجاه المسألة الوطنية اللبنانية المتجاوزة للطائفية، إلاّ أن الإنقسام الوطني والطائفي كان لا يزال قائماً على المستوى الشعبي في لبنان حتى عام ١٩٣٦م، فالطروحات الوطنية المتناقضة كانت لا تزال مطروحة ولها جذورها،

---

(١) سامي الصُلح : أحتكم إلى التاريخ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٤٦.

(٢) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت لبنان، ١٩٧٢م، ٢٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

فمن جهة أراد المسيحيون تدعيم أركان الكيان اللبناني المستقل، ومن جهة أخرى تمسك المسلمون بإنتمائهم العضوي بسورية والعروبة فوق كل إعتبار، وإزاء هذه المواقف المتضاربة كانت هناك ثمة أحداث داخلية وخارجية كان لها أثرها على مواقف الفريقين اللبنانيين المتناقضين، فعلى صعيد الأحداث الخارجية شهد العام ١٩٣٦م، توقيع المعاهدة السورية-الفرنسية في ٩ أيلول عام ١٩٣٦م، بعد سنوات عديدة من الصراع بين الوطنيين السوريين وسلطة الإنتداب الفرنسي، حيث تبنت الحركة الوطنية في سوريا فكرة إستبدال الإنتداب بمعاهدة على غرار ما جرى بين العراق وبريطانيا عام ١٩٣٠م، حيث ألغت بريطانيا إنتدابها على العراق وتوسطت لإدخاله في عضوية عُصبة الامم كدولة مستقلة. (١)

لقد سعت سورية للوصول إلى مثل هذا الإتفاق مع فرنسا منذ الفترة ١٩٣٢-١٩٣٣ ولكن لعقبات كثيرة إعترضت ذلك من الجانبين أخرت مثل هذا الإتفاق إلى العام ١٩٣٦م، ففي الشهرين الأولين من عام ١٩٣٦م، عم الإضراب معظم المناطق السورية مطالبين بعقد معاهدة بين فرنسا وسورية، وقبلت فرنسا آخر الامر إجراء مفاوضات مع سورية في آذار عام ١٩٣٦م (٢)، ووجدت المباحثات السورية-الفرنسية في باريس عام ١٩٣٦م صدى لها في لبنان خاصة عند المسلمين في المدن الساحلية، الذين جددوا مطالبتهم بالإنضمام لسورية ودعوا للوحدة السورية، فقد إضطربت الاحياء الإسلامية في بيروت، وكانت على أشدها في طرابلس وصيدا، كما تشجعت الكتلة الدستورية في لبنان بزعامة الشيخ بشارة الخوري على تقديم مطالبها إلى مجلس النواب في ١٣ آذار عام ١٩٣٦م لإجراء مفاوضات مماثلة بين لبنان وفرنسا. (٣)

وفي الوقت الذي تطلع فيه أنصار الوحدة السورية الفرنسية في باريس عام ١٩٣٦م، لعلها تحقق وحدة البلاد السورية وسيادتها، فقد ساورت الشكوك أنصار الكيان اللبناني من أن تعترف فرنسا بوحدة سورية، فنشطوا على كافة الأصعدة للحيلولة دون تحقيق ذلك، ووضعت البطريركية المارونية كل ثقلها السياسي لدى الإنتداب الفرنسي لعقد معاهدة مع لبنان تكون على غرار المعاهدة مع سورية، بل أن المغالين بالتعصب للكيان اللبناني المسيحي رفضوا الدعوة لعقد معاهدة لبنانية فرنسية، بل وطالبوا بالحماية الفرنسية المباشرة على لبنان، لأن المعاهدة في

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب، المصدر نفسه، ص ٥٠٥.
(٢) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الإستعمار، المصدر نفسه، ص ٤١٨.
(٣) توفيق وهبة : لبنان في حبائل السياسة، د.ت.، ص ١٢.

نظرهم ستضع وجهاً لوجه دولتين غير متكافئتين من حيث القوة (١) ، ولذلك ربطت هذه الفئة المغالية بالكيان اللبناني المسيحي نشاطها بمخططات مكتب المعلومات الفرنسي في بيروت، الذي أشاع بأن نزاعاً سوف ينشب إثر جلاء القوات الفرنسية عن المشرق، وبالتالي سيشجع الأتراك المطالبين بسنجق الإسكندرونة وتحقيق أطماعهم التاريخية في سورية ولبنان. (٢)

وعلى ما يبدو هدف نشاط مكتب المعلومات الفرنسي الذي يتابع الوضع السياسي العام في لبنان عن كثب إلى إعادة اللحمة بين القيادات المسيحية في لبنان بعد إنقسامها في الرأي حول مسألة العلاقة مع فرنسا، حيث صور للمسيحيين بأن خطراً حقيقياً سيلحق بمصالحهم في حال إبتعادهم عن سياسة باريس، وممارسة نوع من الضغوط على الوفد السوري في باريس كي لا يتشدد في مطالبه الوحدوية والقبول بالطروحات الفرنسية. (٣)

وخلال هذه الفترة أمطر اللبنانيون من أصحاب الإتجاهين العروبي والمسيحي اللبناني الخارجية الفرنسية واللجنة الدائمة للإنتداب في جنيف والكتلة الوطنية في دمشق ووفدها المفاوض في باريس بالعديد من البرقيات والمذكرات التي تعبر عن أمانيهم وآمالهم، بالإتصال والإنفصال، ويظهر أن كلا الفريقين المتناقضين كانا قد تخوفا من المحادثات الجارية في باريس بين سورية وفرنسا، فقد تخوف النصارى من موافقة فرنسا على مطالب الكتلة الوطنية الساعية للوحدة السورية بما فيها لبنان، كما تخوف المسلمون من تخلي سورية عن مطالبها الوحدوية في لبنان، مقابل إلغاء الإنتداب والإعتراف الشكلي بإستقلال سورية (٤) ، خاصةً بعد أن سرت شائعات فرنسية تشير إلى ذلك.

وقد كان للمعاهدة السورية الفرنسية التي وُقعت في ٩ ايلول عام ١٩٣٦م تأثيرها على العلاقات الفرنسية اللبنانية، وعلى مواقف المسلمين والمسيحيين اللبنانيين تجاه بعضهم البعض، حيث كان توقيع الوطنيين السوريين على المعاهدة السورية الفرنسية في ٩ أيلول عام ١٩٣٦م،

---

(١) توفيق وهبة : المصدر نفسه، ص ١٣. / أنظر كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، المصدر نفسه، ص ٢٢٦-٢٢٧

(٢) ذوقان قرقوط : المصدر نفسه، ص ٤٠٦. / أنظر حسان حلاق : التيارات السياسية، المصدر نفسه، ص ٨٠

(٣) هاني فارس : النزعات الطائفية في لبنان الحديث، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩١.

(٤) باسم الجسر : ميثاق عام ١٩٤٣ لماذا كان ؟ ...، المصدر نفسه، ص ٦٨.

يعني ضمناً تنازلهم عن مطالبتهم بالمناطق الساحلية التي سُلخت عن سورية وضُمت إلى لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، الأمر الذي زاد من تقبل المسلمين والوحدويين إلى الكيان اللبناني والإنخراط فيه.

وهكذا كان توقيع المعاهدة السورية-الفرنسية حدثاً هاماً أثر على مجرى الاحداث في لبنان، فقد ساهمت هذه المعاهدة إلى حد كبير في التقريب بين وجهات النظر عند الفريقين المتنازعين في لبنان، وكانت البرجوازية الإسلامية وخاصة في بيروت آخذة بالإقتناع بأهمية الكيان اللبناني، حيث وجدت ان الفترة التي قضتها في كنف هذا الكيان عادت عليها بمردود إقتصادي كبير، خاصة بعد إتخاذ فرنسا لمدينة بيروت مركزاً لنشاطها الإقتصادي على صعيد الشرق. (١)

وهكذا لم تعد الدعوة للوحدة السورية القضية الأساسية أو المركزية عند القيادات الإسلامية اللبنانية، ويبدو أنها بقيت كوسيلة للمعارضة من قبل البعض في وجه الحكم اللبناني وإستغلالها لغايات إنتخابية نيابية أو رئاسية.

أثر توقيع المعاهدة الفرنسية-اللبنانية ١٩٣٦م على موقف المسلمين السياسي

كان توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٦م بداية تحول داخلي في لبنان، فالمصادقة على المعاهدة بإجماع النواب بإستثناء صوت النائب خير الدين الاحدب (مسلم سني) الذي إحتج على الكيان اللبناني والذي سرعان ما قبل بمنصب رئاسة الحكومة اللبنانية بعد توقيع المعاهدة والتصويت عليها، حيث أُعتبر تكليفه برئاسة الحكومة خطوة هامة نحو إندماج المسلمين في الدولة اللبنانية عن طريق مشاركتهم المباشرة في الحكم على مستوى رئاسة الحكومة، التي أصبحت تقليدياً من حق المسلمين السنة منذ ذلك التاريخ، فقد تعاقب المسلمون السنيون على هذا المنصب حيث جاء عبدالله اليافي عام ١٩٣٧م ثم الامير خالد شهاب عام ١٩٣٨م واحمد الداعوق عام ١٩٤٠م وسامي الصُلح عام ١٩٤٢م. (٢)

---

(١) هاني فارس : المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٢) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، المصدر نفسه، ص ١٤١.

ويتضح أن توقيع المعاهدة السورية-الفرنسية والمعاهدة اللبنانية-الفرنسية كانت من بين الأسباب الهامة التي حملت المسلمين على دخول الحكم والمشاركة في المسؤولية اللبنانية على مستوى المناصب العليا في الدولة وبالتالي إحتواء الصوت المطالب بالوحدة السورية إلى مركز ثانوي يُثار أحياناً نتيجة للإجحاف بحق المسلمين وللضغط على سلطات الإنتداب الفرنسي من أجل مساواتهم بالطائفة المارونية وإنهاء الإنتداب حيث تعهدت فرنسا بأنهم سيُعاملون بالمثل، كما أعطت السياسة الفرنسية الأمل للمسلمين في تغيير جوهري عن طريق المشاركة الفعّالة في إدارة البلاد (١) ، خاصةً بعد عودة الحياة الدستورية عام ١٩٣٤م وتولي خير الدين الاحدب رئاسة الحكومة اللبنانية كأول مسلم يتولى هذا المنصب وبهذا تكون الحياة الدستورية والإنتخابات النيابية قد ساعدتا بعد توقيع المعاهدة الفرنسية-اللبنانية على إندماج المسلمين في الحياة السياسية على مستوى الوطن اللبناني، وألزمت المناضلين العروبيين والوجهاء المسلمين في لبنان على صرف النظر أو على الأقل التخفيف من إلحاحهم بالمطالبة بالوحدة مع سورية، والتفكير في التعاون مع المسيحيين. (٢)

وبعد إبرام المعاهدة اللبنانية -الفرنسية عام ١٩٣٦م أعاد المندوب السامي الفرنسي في لبنان العمل كلياً بالدستور المعلن عام ١٩٢٦م وأتجهت السياسة الفرنسية وأنصارها الموارنة إلى القيادات الإسلامية التي تعاطفت وأشتركت في توقيع المعاهدة لتسلمها بعض المناصب الهامة في الدولة كتعبير عن حُسن النية، وإستجابة للمطالب التي كان يُنادي بها المسلمون من أجل المساواة والحرية والعدالة على مستوى الكيان اللبناني، وكمكافئة لهذه القيادات على دورها في تقبل الكيان اللبناني الذي تحرص فرنسا كل الحرص على صونه ورعايته، لكونه القاعدة الأساسية والحليف الإستراتيجي التقليدي في المنطقة. ولذلك إستلم خير الدين الأحدب وهو مسلم سني رئاسة الحكومة، ويعاونه ثلاثة أعضاء آخرين من المسلمين هم : إبراهيم حيدر والأمير خالد أبي اللُمع وحبيب أبي شهلة، وأعتبرت الحكومة في بيانها الوزاري أن المعاهدة اللبنانية-الفرنسية وإعادة العمل بالدستور رسخا على المدى البعيد أسس قوية بين فرنسا ولبنان. (٣)

كما عملت فرنسا على مورنة رئيس الجمهورية اللبنانية لتعزيز الحكم المركزي الذي ساهم في خلق تكتلين إنتخابيين كبيرن عند الموارنة هما الكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري

---

(١) باسم الجسر : ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ ...، المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٢) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، مرجع سابق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) بشارة الخوري : حقائق لبنانية، ج١، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

والكتلة الوطنية بزعامة إميل أده اللتين شكلتا نواة لأحزاب سياسية لبنانية لعبت دوراً سياسياً كبيراً في لبنان فيما بعد، فقد إقتضت حاجة كل منهما إلى الإنفتاح على المسلمين والتعامل معهم، حيث أبدوا رغبة بالإنفتاح على البلاد العربية تلبيةً لمصالحهم، وإستمالةً للطوائف الاخرى وخاصة المسلمين، لان النظام الإنتخابي يوجب عليهم البحث عن حلفاء لهم من أجل الوصول إلى كرسي الرئاسة، كما تطورت مواقف الفريقين فيما بعد إلى طلب الإستقلال غير المحمي من الدولة المنتدبة والإنفتاح على التعاون العربي خاصة بعد أن إمتنعت فرنسا عن التصديق عن المعاهدة المذكورة حيث بقيت المعاهدة السورية الفرنسية والمعاهدة الفرنسية اللبنانية حبراً على ورق. (١)

وبعد إبرام المعاهدة التي لم تنفذ من قبلّ فرنسا في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٦م، أعاد المندوب السامي الفرنسي "دي مارتل" في لبنان العمل بالدستور المعلن عام ١٩٢٦م كلياً، وأتجهت السياسة الفرنسية إلى إستغلال هذه التحولات في مواقف المسلمين، حيث إتجهت سياستهم إلى القيادات الإسلامية لتدخلها في فلك السياسة اللبنانية المحضة.

(١) باسم الجسر : ميثاق عام ١٩٤٣م، مرجع سابق، ص ٦٩-٧٠.

الخاتمة :

حاولت في هذا البحث دراسة الإتجاهات السياسية في لبنان، منذ عام ١٩١٨م، وهو العام الذي شهد نهاية الحرب العالمية الاولى، وانتهاء الحكم العثماني عن المنطقة العربية، وحتى عام ١٩٣٩م، عام بداية الحرب العالمية الثانية، وقد حاولت جهدي للوقوف على الاحداث البارزة التي مرّ بها لبنان خلال هذه الفترة، تمثلت في ظهور الإتجاهات السياسية في لبنان أواخر الحكم العثماني، وحدوث تطورات هامة على الساحة اللبنانية بعد إنتهاء الحكم العثماني، بالإضافة إلى أثر سياسة الإنتداب الفرنسي على مجريات السياسة اللبنانية.

وقد تميزت الفترة (١٩٠٨-١٩١٨) في لبنان في ظل الحكم العثماني بنشاط سياسي واسع رافق إعلان دستور ١٩٠٨م، الأمر الذي أدى إلى ظهور جمعيات وأحزاب سياسية كشفت عن نفسها وبرهنت على يقظة اللبنانيين ونزوعهم نحو الإصلاح والتغيير في بنية الدولة العثمانية ومؤسساتها المختلفة.

كما تميزت هذه الفترة باستلام الإتحاديين الحكم في الدولة العثمانية واتباعهم سياسة التتريك العنصرية، مما زاد من تنامي الشعور القومي العربي، وانخفاض الصوت المؤيد للرابطة العثمانية، الأمر الذي أدى إلى قلق العرب على مصيرهم واقتناعهم بصعوبة الإستمرار ضمن الرابطة العثمانية وضرورة الإستقلال عنها.

ومن القضايا الهامة التي توصلت لها الدراسة في فترة ما بين الحربين، أن هذه الفترة تميزت بتباين الإتجاهات السياسية في لبنان على أسس طائفية ما بين المسلمين والمسيحيين، حول قيام الحكومة العربية في دمشق. وبرهنت هذه الدراسة على أن الطائفية داء جلب للبنان الكثير من المصائب، وجعلته مسرحاً للتدخلات الاجنبية خاصة الفرنسية، بل وجعلته دولة ضعيفة تعتمد في بقائها واستمرارها على دعم السياسة الفرنسية، مما ادى إلى بروز إتجاهات سياسية لبنانية ذات إرتباطات خارجية تخدم مصالح هذه الدول على حساب المصلحة الوطنية اللبنانية والمصلحة العربية بشكل عام، فقد شهدت هذه الفترة ظهور عدد من اللجان والجمعيات السياسية التي نظرت إلى مستقبلها في إطار المصالح الأجنبية الفرنسية والبريطانية في لبنان، مثل اللجنة المركزية السورية وفروعها المختلفة، ومنظمة الكتائب اللبنانية، وحزب الإتحاد اللبناني، والحزب السوري المعتدل وغيرها.

ومن النتائج الاخرى التي توصلت لها الدراسة، ان سياسة الإنتداب الفرنسية هي المسؤولة عن تغذية الصراعات الطائفية في لبنان، وان الإتجاهات السياسية اللبنانية تأثرت إلى حد كبير في سياسة الإنتداب الفرنسي، التي عملت على انشاء كيان لبناني مسيحي يرتبط بها اقتصادياً ودينياً وثقافياً، الامر الذي أوجد فئات لبنانية مستفيدة من هذا الإرتباط أعطت لنفسها لعب دور الطائفة-الامة، والعمل لمصلحتها الشخصية باسم المصلحة الوطنية.

وعلى مستوى الموقف العربي وخاصةً السوري من لبنان، فقد كان لتوقيع المعاهدة السورية-الفرنسية عام ١٩٣٦م، وتنازل سورية ضمناً عن المطالبة بالمناطق الساحلية التي ألحقت بجبل لبنان عام ١٩٢٠م، أصداء هامة على الساحة اللبنانية، الأمر الذي أدى إلى تدعيم الكيان اللبناني والإسهام في دفع عملية التقارب والتعايش اللبناني بمختلف الإتجاهات السياسية، وتراجع الصوت اللبناني المطالب بالوحدة السورية، وظهور أحزاب لبنانية لا طائفية مثل حزب الإستقلال الجمهوري عام ١٩٣١م والتحول في مواقف المسلمين والمسيحيين من الوحدة السورية ومن سياسة الإنتداب الفرنسية .

كما توصلت الدراسة إلى أن تضارب المصالح البريطانية-الفرنسية على المنطقة العربية في فترة ما بين الحربين زاد من تعقيدات الأزمة اللبنانية وأدى إلى ظهور عدة إتجاهات سياسية ذات إنتماءات مختلفة، تراهن على مستقبلها في إطار مصالح سياسة الدول الأجنبية خاصة الفرنسية والبريطانية في لبنان والمنطقة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

- الأزمة اللبنانية، أصولها، تطورها، أبعادها المختلفة، د.ط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨م.

- الاعظمي، أحمد عزت، القضية العربية، ج٤، ط١، بغداد، ١٩٣٢م.

- آل صفا، محمد جابر، تاريخ جبل عامل، د.ط.، بيروت، بدون تاريخ.

- أمين، سمير، الأمة العربية والصراع الطبقي، جزءان، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة د. ناصر الدين الأسد وإحسان عبّاس، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦م.

- الكبيسي، باسل، حركة القوميين العرب، من قوة ضاغطة الى حزب سياسي، بيروت، ١٩٧٤م.

- برّو، توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري، (١٩٠٨-١٩١٤)، د.ط.، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠م.

- بولس، جواد، تاريخ لبنان، دار النهار للنشر، د.ط.، بيروت، ترجمة جورج حاج، ١٩٧٢م.

- بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي، قرنايل-لبنان، ١٩٣٣م.

- بيهم، محمد جميل، النزعات السياسية في لبنان، عهد الانتداب والاحتلال، (١٩١٨-١٩٤٥)، دار الاحد، بيروت، ١٩٧٧م.

- بيهم، محمد جميل، العهد المخضرم في سوريا ولبنان، (١٩١٨-١٩٢٢)، بيروت، ١٩٦٨م.
- بيهم، محمد جميل، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج٢، بيروت، ١٩٥٠م.

- بيهم، محمد جميل، لبنان بين مشرق ومغرب، (١٩٢٠-١٩٦٩)، بيروت، ١٩٦٩م.

- تاريخ حزب الكتائب اللبنانية، (١٩٣٦-١٩٤٠)، ج١، دار العمل للنشر، ١٩٧٩م.

- تقي الدين، سليمان، التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، (١٩٢٠-١٩٧٠)، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٧م.

- تويني، جبران، في وضح النهار، مقالات مختارة، بيروت، ١٩٣٩م.

- ثورة العرب، مقدماتها، اسبابها، ونتائجها، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩١٦م.

- الجسر، باسم، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان ؟ وهل سقط ؟، بيروت، ١٩٧٨م.

- الجميّل، بيار، لبنان بين واقع ومُرتجى، بيروت، ١٩٧٠م.

- حتّي، فيليب، لبنان في التاريخ، منذ أقدم العصور إلى وقتنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، نيويورك، ١٩٥٩م.

- الحصري، ساطع، يوم ميسلون، بيروت، ١٩٤٨م.

- الحكيم، يوسف، سوريا والعهد الفيصلي، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- حلاّق، حسّان، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، (١٩١٣-١٩٤٣)، من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني اللبناني، دار اللنهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

- حلاّق، حسّان، التيارات السياسية في لبنان، (١٩٤٣-١٩٥٢)، مع دراسة للعلاقات اللبنانية العربية والعلاقات اللبنانية الدولية، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٨م.
- حلاّق، حسّان، مذكرات سليم علي سلاّم (١٨٦٨-١٩٣٨)، بيروت، ١٩٨٢م.

- حلاّق، حسان، مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦، بيروت، ١٩٨٣م.

- حنّا، عبدالله، الإتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان، (١٩٢٠-١٩٤٥)، بيروت، ١٩٦٨م.

- حوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩)، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨م.

- خاطر، لحد، عهد المتصرفية في لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

- خبّاز، حنّا، فرنسا وسوريا، ج١، مطبعة علم الدين، مصر، ١٩٢٨م.

- خدّوري، مجيد، الإتجاهات السياسية في العالم العربي، دور الأفكار والمُثل العليا في السياسة، ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

- الخطيب، أنور، الاصول البرلمانية في لبنان وسائر الدول العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م.

- خليفة، عصام كمال، أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، ط١، الجليل، بيروت، ١٩٨٥م.

- الخوري، بشارة، حقائق لبنانية، ج١، ج٢، درعون، حريصا-لبنان، (١٩٦٠-١٩٦١).

- داغر، أسعد، مذكراتي على هامش القضية العربية، القاهرة، ١٩٥٩مز

- دروزة، محمد عزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧١م.

- الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط١، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

- الدويهي، أسطفان، تاريخ الطائفة المارونية، بيروت، لبنان، ١٨٩٠م.

- دياب، عبد العزيز، التحليل الإجتماعي لظاهرة الإنقسام السياسي في الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.

- رستم، أسد، لبنا في عهد المتصرفية، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.

- الريماوي، سهيلة، جمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية (١٩٠٩-١٩١٨)، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٨م.

- الريماوي، سهيلة، الإتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة، منشورات لجنة تاريخ الاردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، عمان، ١٩٩٢م.

- زيادة، نقولا، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ط١، بيروت، ١٩٧١م.

- زين، زين نور الدين، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت، ١٩٧١م.

- زين، زين نور الدين، القومية العربية، ط١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

- سالم، يوسف، خمسون سنة مع الناس، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥م.

- سرحال، أحمد، النُظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، ط١، دار الباحث، بيروت، ١٩٨٠م.

- سعادة، أنطون، الآثار الكاملة، ج٣، ١٩٣٧م، ط١، بيروت، ١٩٧٨م.

- سعادة، انطون، الآثار الكاملة، ج٢، (١٩٣٢-١٩٣٦)، ط١، بيروت، ١٩٧٦م.

- سعادة، أنطون، نشوء الامم، ط٢، دمشق، ١٩٥١م.

- سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، مجلد ٣، مصر، دون تاريخ.

- سلطان، علي، تاريخ سوريا (١٩٠٨-١٩١٨)، دمشق، ١٩٨٢م.

- السمّاك، محمد، القرار العربي في الازمة اللبنانية، ط١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٨٤م.

- السودا، يوسف، في سبيل الإستقلال، ج١، (١٩٠٦-١٩٢٢)، بيروت، ١٩٦٧م.

- شرور، فضل، الأحزاب والتنظيمات والقوى السياسية في لبنان، (١٩٣٠-١٩٨٠)، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨١م.

- شعيب، علي عبد المنعم، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء، (١٩١٨-١٩٤٦)، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠م.

- الشهابي، مصطفى، القومية العربية، تاريخها وقوامها ومراميها، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.

- صايغ، أنيس، لبنان الطائفي، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م.

- الصلح، سامي، احتكم إلى التاريخ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

- الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

- الصيّاد، محمد محمود، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

- ضاهر، مسعود، الدولة والمجتمع في المشرق العربي، (١٨٤٠-١٩٩٠)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١م.

- ضعوق، توفيق فضل الله، في وحي السبعين، (١٨٨٣-١٩٥٣)، منشورات مطابع دار صادر وريحاني، بيروت، ١٩٥٣م.

- الطاهري، حمدي، سياسة الحكم في لبنان، ط١، المطبعة العالمية، القاهرة، بدون تاريخ.

- طربين، أحمد، لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الإنتداب، (١٨٦١-١٩٢٠)، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.

- عازوري، نجيب، يقظة الامة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، تعريب أحمد ابو ملحم، بيروت، ١٩٧٨م.

- العيّاشي، غالب، الإيضاحات السياسية وأسرار الإنتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، مطابع الأشقر، بيروت، ١٩٥٥م.

- عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤)، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

- فارس، هاني، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، بيروت، ١٩٨٠م.

- فارس، وليد، التعددية في لبنان، مطبعة الكسليك، لبنان، ١٩٧٩م.

- قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق، (١٩١٨-١٩٢٠)، بيروت، ١٩٨٢م.

- القانون الاساسي للكتائب اللبنانية لعام ١٩٣٨م، مطبعة عازار، بيروت، ١٩٨٢م.

- القانون الاساسي للنجادة لعام ١٩٣٧م.

- قربان، ملحم، تاريخ لبنان السياسي الحديث، ج١، ط٢، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨م.

- قرقوط، ذوقان، المشرق العربي في مواجهة الإستعمار، قراءة في تاريخ سورية المعاصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

- قرقوط، ذوقان، تطور الحركة الوطنية في سورية، (١٩٢٠-١٩٣٩)، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٥م.

- الكواكبي، عبد الرحمن، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٣١م.

- كوتلوف، تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي، ترجمة سعيد أحمد، بيروت، ١٩٧٨م.

- كوثراني، وجيه، الإتجاهات السياسية والإجتماعية في جبل لبنان والمشرق العربي، (١٨٦٠-١٩٢٠)، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦م.

- كوثراني، وجيه، بلاد الشام السكان، الإقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروتن ١٩٨٠م.

- الكيالي، عبد الرحمن، المراحل في الإنتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني (١٩٢٦-١٩٣٠)، ج١، حلب، سوريا، ١٩٥٨م.

- ليفين، زلمان أزاكوفيتش، التنوير والقومية، تطور الفكر الإجتماعي العربي الحديث، ترجمه عن الروسية بشير السباعي، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ.

- مركز دراسات الوحدة العربية، تطور الفكر القومي العربي، ندوة فكرية، ط١، ١٩٨٦م.

- مزهر، يوسف، تاريخ لبنان العام، ج٢، بيروت، بدون تاريخ.

- محافظة، علي، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤)، الإتجاهات الدينية والسياسية والإجتماعية والعلمية، ط١، ط٢، الدار الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٥م، ١٩٧٨م.

- محافظة، علي، موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، (١٩١٩-١٩٤٥)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

- المحامي، محمود كامل، الدولة العربية الكبرى، ط٢، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

- معاليقي، منذر، الفكر العربي في عصر النهضة، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٦م.

- معطي، علي، تاريخ لبنان السياسي والإجتماعي، دراسة في العلاقات العربية التركية (١٩٠٨-١٩١٨)، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

- المقدسي، أنيس، الإتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، ط٢، جامعة الدول العربية، بيروت، ١٩٦٠م.

- المقدسي، توفيق؛ ولوسيان، جورج، الأحزاب السياسية في لبنان ١٩٥٩م.

- المؤتمر العربي الاول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر، القاهرة، ١٩١٣م.

- موسى، سليمان، الحركة العربية (١٩٠٨-١٩٢٤)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

- الموصلي، أنيس، عشت وشاهدت، بيروت، ١٩٥١م.

- الموصلي، عصام، الحزب حرب على العروبة ومؤامرة على سوريا، د.ط.، بدون تاريخ.

- نخلة، رشيد، كتاب المنفى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٦م.

- نصّار، ناصيف، تطورات الامة المعاصرة، دراسة تحليلية لمفاهيم الامة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٤م.

- نوّار، عبد العزيز، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، (١٥١٧-١٩٢٠)، بيروت، ١٩٧٤م.

- وهبة، توفيق، لبنان في حبائل السياسة، بدون تاريخ.

- يحيى، جلال، العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، ١٩٣٦م.

المصادر الاجنبية :

- J. H. Hurewitz : "Diplomacy in the near and middle east", a documantary record, 1535-1914, Princeton, D. Van Nostrand Co., Inc, 1956.

- Longring. Stephen Hemsley, : "Syria and Lebanon under French Mandate", University Press- London, New York, Toronto, 1958.

- Haddad, George, : "Revolutions and Military Rule in the Middle East", Vol (11), New York, 1970.

- Suleiman, Michael, : "Parties in Lebanon" : The Challenge of A fragment Political Culture, New York, 1967.

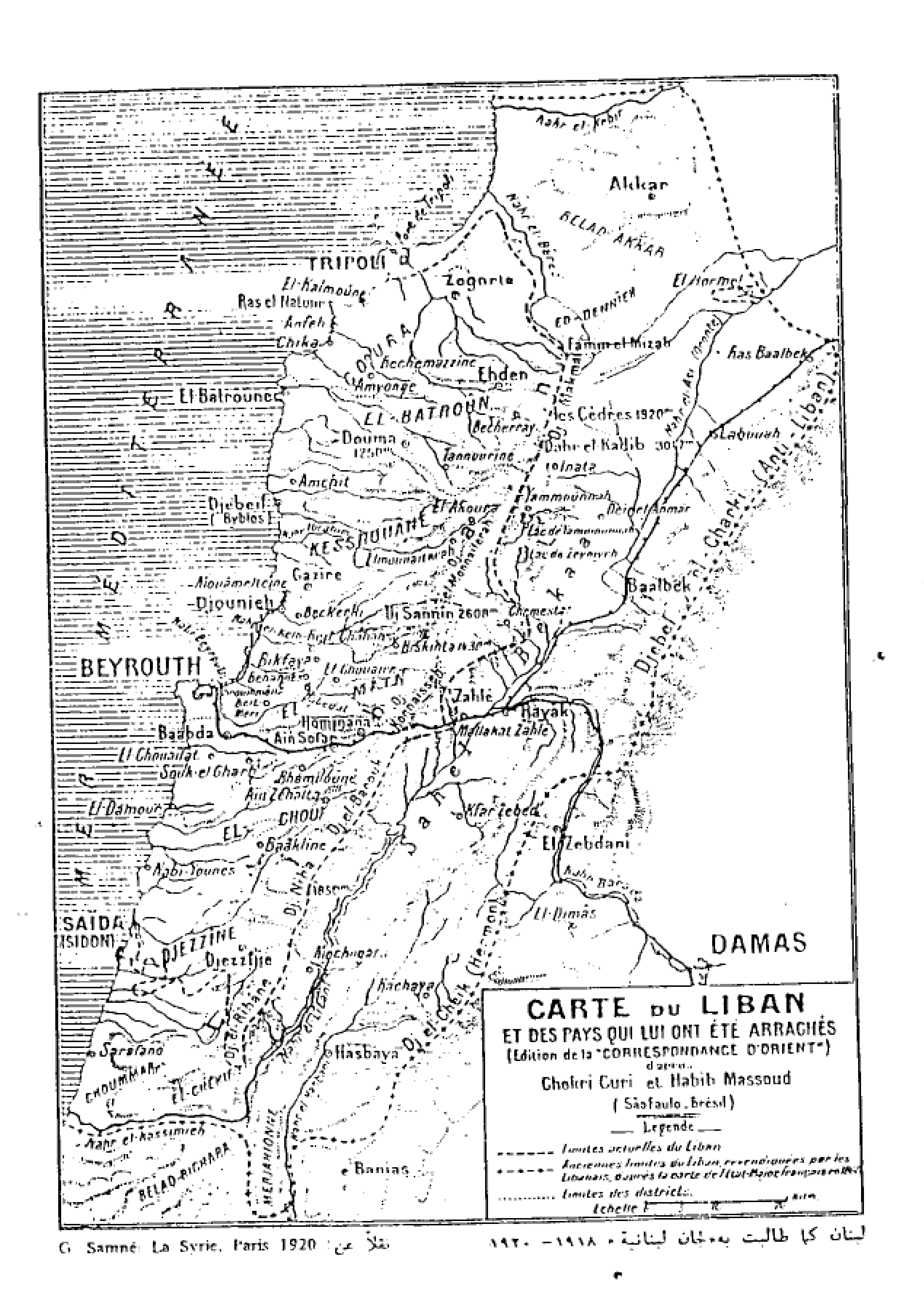
الوثائق :

- وثائق منشورة عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في كتاب وجيه كوثراني، بلاد الشام : السكان والإقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠م.
- وثائق منشورة عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في كتاب عصام كمال خليفة، أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٥م.

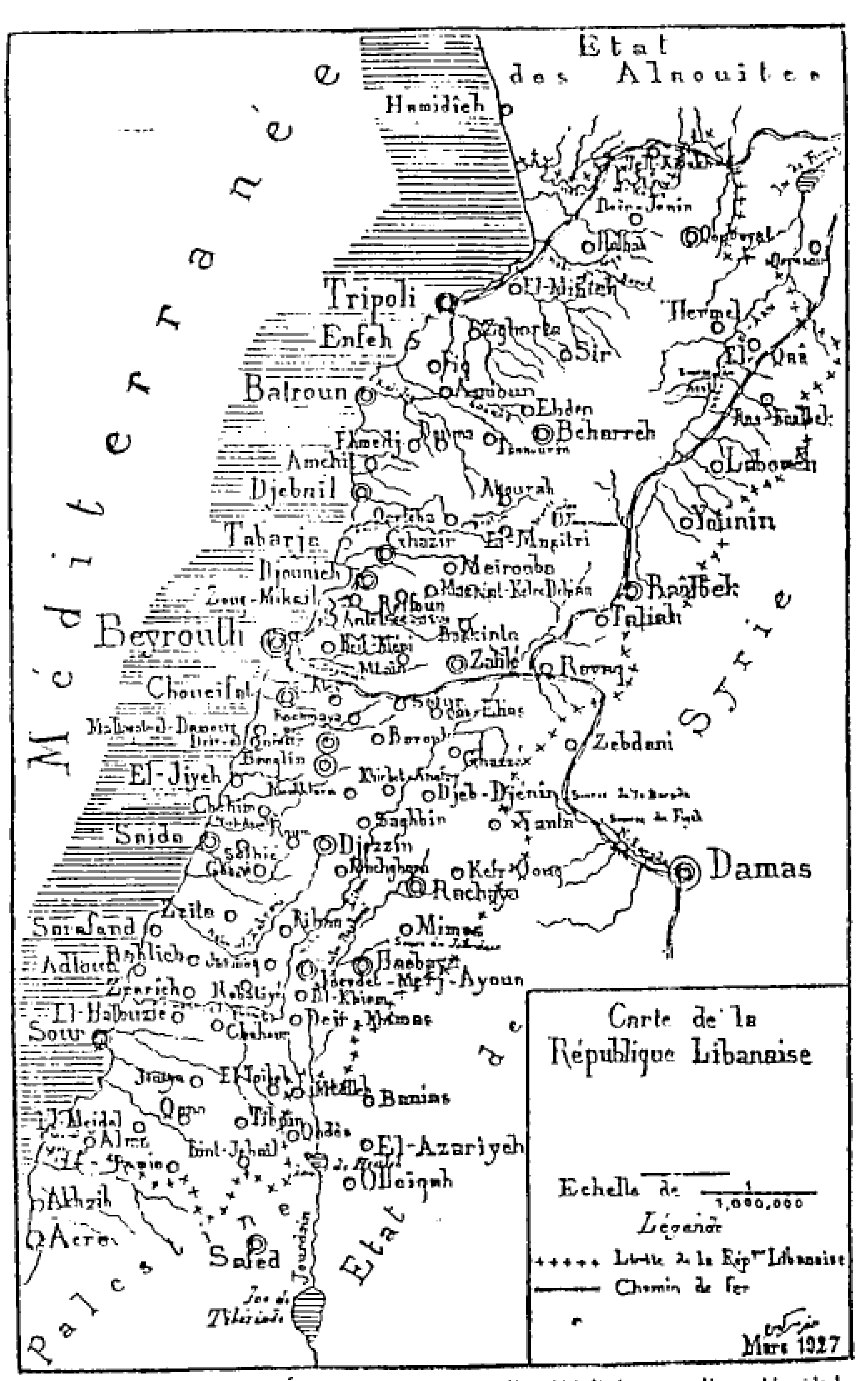
الدوريات :

- مجلة دراسات تاريخية، الاعداد (٢٣، ٢٤)، كانون الاول، دمشق، ١٩٨٦م.
- مجلة المقاصد، الأعداد (١٥، ١٦، ١٧)، تموز، ١٩٨٣م.

- مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، العدد (٢٨)، السنة الرابعة، أيلول، ١٩٨٢م.
- مجلة الشراع البيروتية، العدد (٦٠)، أيّار، ١٩٨٣م.
- مجلة العرفان، المجلد (٣٢)، الجزء الخامس، نيسان، ١٩٤٥م.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، بدون أعداد، بيروت، ١٩٧٥م.



لبنان كما طالبت به لجان لبنانية ١٩١٨ – ١٩٢٠ نقلاً عن: G. Samné: La Syrie, Paris 1920



• لبنان بالحدود التي رسمتها السلطات الفرنسية عام ١٩٢٠ . نقلاً عن: جاك ادة: جغرافية سوريا.

١٧٦

Abstract

Political Trends In Lebanon 1918-1939

Ahmad moh'd Hassan Al-Tarawneh

Supervised by :
Dr. : Abdul-Majid Al-Shunnaq

This study investigates political attitudes in Lebanon from 1918 to 1939 focusing on the rise of political trends in Lebanon at the end of ottoman Era, and the development of Lebanese political attitudes between the Two World Wars.

The study will clarify the effects of French policy on the political attitudes in Lebanon during that time.

This study contains three chapters, an introduction and a conclusion. The first chapter tackles with political attitudes in Lebanon (1908-1918) showing the effected of ideological vigilance in Lebanon on the emergence of the political, scientific, literal associations, in addition to the announcement of the Ottoman constitution in 1908 and its effects toward activating the political life and manifestation of secret and public parties.

This study also reviews the different political attitudes for these associations, such as Islamic Ottoman trend which calls for giving Arabs a

decent position in Ottoman community and offering them equitable rights with Ottomans.

It also reviews the Arab National attitude towards independence and establish an Arab Empire in Ottoman-controlled Arab states, and the Lebanese attitudes which call for independent state under the European support.

The second chapter studies the development of Lebanese political trends and their changes between the Two World Wars.

This chapter describes the general political status in Lebanon after the World War I, and the end of the ottoman rule and the establishment of the Arab Government in Damascus in 1918 and the Lebanese position toward it.

It tackles the contradictory political attitudes in Farsy conference in 1919 as well as the most important associations and Lebanese parties (1918-1939) concentrating on political attitudes and their different changes influenced by internal and external events in Lebanon.

The third chapter is dedicated to discuss the effects of French policy on Lebanese political attitudes from the end of the Ottoman Era in 1918 till the beginning of the world war II in 1939. Reviewing the French - Lebanese relationship with the attempt to connect it with France in terms of religion, culture and economy showing the effects of international conflict in Lebanon and the role of France to attack the Arab movement in Syria and Lebanon through division policy and the adjunction and promotion of sectarian affiliation and its attempt to establish a national for Christians in Lebanon in

1920, and the stand of Muslims and Christians towards the new Lebanese Government.

It also surveyed the reaction which accompanied the announcement of Lebanese constitution in 1929 and its role in stressing and promoting sectarianism.

The study also analyzed the French position towards ruling the Republic of Lebanon by a Muslim in 1932. Lastly the study showed the reaction of Syria - France treaty and the Lebanon - France treaty in 1936 and their effects on political changes in Lebanon till the beginning of the World War II in 1939.